

الجزء الثالث

بقلم
عبد الكريم الجهيمان

دار أشبال العرب
الرياض - المملكة العربية السعودية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهيمان، عبدالكريم بن عبدالعزيز

أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب.- ط٦.- الرياض.

٤٠٠ ص ؛ ١٧×٢٤

ردمك : ×-٤٦٤-٣٦-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-٤٦٧-٣٦-٩٩٦٠ (ج٣)

١- الأدب الشعبي السعودي ٢- الحكايات الشعبية السعودية

٣- الأساطير السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١٣,٠٩٦٥٣١ ٢٠/٣٠٢٩

رقم الإيداع : ٢٠/٣٠٢٩

ردمك: ×-٤٦٤-٣٦-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-٤٦٧-٣٦-٩٩٦٠ (ج٣)

الطبعة السادسة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار أشبال العرب

الرياض - المملكة العربية السعودية

ذيل الذيل ..!!

صدر الجزء الأول من "أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب" فاستقبل استقبالاً حافلاً ما كنت أتصور حدوث بعضه... ثم تبعه الجزء الثاني فاستقبل بمثل ما استقبل به أخو له من قبل.!!

وهذه هي المجموعة الثالثة من هذه الأساطير.. أقدمها لقراء العربية في جميع أقطار العروبة.. راجيا أن أكون حققت هدفا ونهجت طريقا فيه خير ونفع عامين...

قد يقول معترض وما هو الخير والنفع في هذه الخرافات التي تسلي بها العجائز أولادها.. ويملأ بها الفارغون أوقاتهم.. ويتعلل بخيالاتها الفاشلون في الحياة ؟؟!

وأنا أقول لمن قد يعترض بهذا الاعتراض رويداً !! رويداً.!! انني أنا وأنت قد لا نقدر هذه الأساطير حق قدرها... وقد نرى فيها رأيك.. ولكن العارفين بشوؤن الحياة يقولون غير ذلك...

يقولون إن أساس كل الصناعات كانت أحلاما وخيالات ثم

ما زال المفكرون يعملون المحاولة تلو المحاولة حتى أصبح كثير. من تلك الأحلام والخيالات حقائق

تتمتع بمنافعها البشرية ويجني ثمارها الخاص والعام.!!

خذ مثلا الطيران: فالطيران كان حلما من الأحلام.. وقد تحقق!! ومثالا ثانيا الكنوز التي كان يجدها بعض المحظوظين في الأرض بكميات لا حد لها .. أصبحت واقعا لا يماري فيه أحد...

والأنهار والأشجار والزهور والأثمار التي كانت الأحلام تفيض بها .. وتخوض في غمارها.. أصبحت الآن ميسرة يتمتع بمنافعها الكبير والصغير...

ولا اكتمك أيها القارىء الكريم أنه كان بجانبي صديق عند كتابة هذه المقدمة فأشار علي بالغائها.. وقال انه لا حاجة لمقدمة.!! ان وضع المقدمة اسلوب قديم بال.. قد هجره الكتاب.. وتجافى عنه الأدباء.!!وأنت إذا ألقيت نظرة سريعة على المؤلفات الحديثة لم تجد في معظمها مقدمات.. بل ان الكاتب يشرع في كتابه منذ البداية ويسير فيه حتى النهاية بدون أن يعلن عنه في مقدمة أو يشوق إليه فيها ببعض العبارات المؤثرة.!!

وافترقت أنا وهذا الصديق.. وقد صممت أن لا أضع لهذه المجموعة مقدمة...

ونازعتني نفسي لمخالفة هذا الصديق عدة مرات.. لكني

كنت أقنعها بأن لا تكون هكذا مذبذبة تارة تميل إلى هنا.. وتارة تميل إلى هناك.. وكانت تقتنع ظاهرا ..! أما باطننا فان رواسب العادات والتقاليد والشكليات كانت تتفاعل فيها داخليا وتعمل في صمت.. وتتهيأ للوثبة في الفرصة المناسبة...

وأخيراً لم أشعر بنفسي ذات يوم إلا وأنا آخذ القلم وأشرع في كتابة مقدمة لهذه المجموعة التي تراها بين يديك أيها القارى الكريم.!.

قد يقول قارىء ان معظم ما قلت حتى الآن هو مقدمة عن المقدمة فأين مقدمة هذه المجموعة.!!؟

فأقول له لقد اقتنعت بقول ذلك الصديق الذي نصحني بأن لاأجعل لهذه المجموعة مقدمة.. ولهذا فانها سوف تبقى بلا مقدمة.. اللهم إلا اشارة عابرة إلى قارىء اتهمني بأن كتاباتي لهذه الأساطير ليس لها هدف.. ولا تخدم هدفا ساميا... من الأهداف الوطنية.!!

وأنا أمام هذه التهمة الخطيرة لا أجد جوابا .!! لأنني من الأشخاص الذين اذا جادلتهم في البديهيات ارتج عليهم باب الكلام وتبخرت من أذهانهم دوافع الاقناع.. وتركوا الأمور تسير بحسب اتجاه الريح.!!

وكل ما أستطيع أن أقوله في مثل هذا الموقف هو ترديد هذا الدعاء فيما بيني وبين نفسي فان شئت أيها القارىء أن تردده معي فافعل وإن لم يعجبك فلا ضير عليك أن لا تفعل.!! وهذا هوالدعاء:-

اللهم اجعل باطننا خيرا من ظاهرنا وسرنا أفضل من

علانيتنا وأعذنا من الهوى فانه يعمي العيون عن رؤية الحق.. ويصم الآذان عن سماعه.. واهدنا اللهم إلى النهج الذي فيه نفعل الخير.. ونتجنب الضير ونسلك مناهج الأبرار... الهداة المهتدين غير الضالين ولا المضلين.!!

واشغل انفسنا بالحق لئلا تشغلنا بالباطل.. واجعل حياتنا مليئة بالأمل.. مليئة بالعمل.. معمورة بالحب.. سليمة من العجب.. فواحة الشذى.. أخاذة الرواء.!!

وارزقنا راحة الضمير ونظرة البصير.. وحكمة المشير.. إنك على كل شيء قدير.!!

وهيء لنا سبل الرشاد.. ولا تكلنا إلى أنفسنا فنضل ولا إلى خلقك فنضعف.!!

واجعل يومنا خيرا من أمسنا.. وغدنا خيرا من يومنا.. واجعل عملنا كله طيبا حتى لا يدري الناظر إليه او المتتبع له آآخره خير من أو له أم أوله خير من آخره.!! انك على كل شيء قدير.. وبالاجابة جدير.. بك المستعان.. وعليك التكلان.!!

بيروت في ١٣٨٩/٦/٣ هـ عبد الكريم الجهيمان

سالفـــــة:

١- من مكايد الزوجة لأقارب زوجها

جاء الأطفال كعادتهم إلى جدتهم وقالوا لها قصي علينا سالفة فقالت الجدة حباوكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي.. وإلى هنا هاك الرجال اللي له أخت... وهي الأخت الوحيدة التى خلفها له والداه فكان هذا الأخ هو أبوها وهو أمها.. وهو كل شيء لها في الحياة..

وقد نشأت عاطفة من الشفقة والحب والرعاية من هذا الأخ لأخته.. وكان يكرمها ويرعى خاطرها... ويأتي لها بكل ما تطلب... ولا يبخل عليها بشيء تملكه يداه.!!

وضاق الرجل بحياة العزوبة واستشار أخته في الزواج .. فقالت ان هذا أمر لا بد منه.. ولكن عليك بالتحري والتثبت قبل الإقدام على هذا الأمر لأن بعض الزوجات تعمل من البيت الذي تعيش فيه جحيما لا يطاق.. وبعضهن تجعله جنة وارفة الظلال.!!

وقال لها أخوها إنك صادقة في كل ما تقولين يا أختاه.!! وسوف أعمل كل الاحتياطات من جانبي.. والتوفيق بيد الله.!!!

وبذل الرجل جهدا في البحث عن زوجة صالحة.. وبعد البحث الطويل والتحري الدقيق.. وفق الى زوجة.. فخطبها ووافق أهلها وتمت مراسيم الزواج وانتقلت الزوجة الى بيت زوجها.!!

كانت الأخت هي التي تقوم بجميع أعمال البيت.. وهي السيدة المطلقة فيه.. فلما جاءت هذه الزوجة سلبتها هذا الحق فانزوت الفتاة وانطوت على نفسها.!!

وكانت الزوجة تحمل كل هذا الانقباض على أنه عداوة صامتة.. ومحاربة سلبية.. فانقبض خاطرها من جهة هذه الأخت أيضا.!!

ومضت الأيام تباعا والخواطر تزداد في كل يوم انقباضا والشك تتكاثف ظلماته فوق النفوس.. وكانت الأخت في معظم أوقاتها تتمارض.. وتلجأ الى حجرتها.. وتقفل على نفسها الباب من الداخل!

وكان الأخ نتيجة لهذا الانطواء والانزواء الذي لا يعرف له أسبابا، دائم السؤال عن أخته وعن صحتها !! ودائم التفقد لأحوالها. وتحقيق رغباتها وطلباتها...

وكان ذلك يحز في نفس الزوجة... ويزيد من كرهها لهذه



أخت الرجل تهرب من بيت أخيها بعد أن رأتهم يحفرون حفرة لها وسمعتهم يقولون انهم سوف يدفنونها فيها!!

الأخت.. فهي تريد ان تستبد بكل عطف ورعاية واهتمام من زوجها.. إلا أن زوجها يوجه كثيرا من هذه العواطف لأخته... نظرا لحالتها النفسية السيئة وانعزالها في غرفتها.. وانحراف صحتها نتيجة لهذه الحالة التي تعيش فيها.!!

والزوجة لا تريد شريكا ولا تريد منافسا.!! بل تريد ان تمتلك الرجل كله ... فكانت أي بادرة من العطف أو أي سؤال من الزوج عن أخته أو أي بر يوجه إلى هذه الأخت يزيد من حقد هذه الزوجة على تلك الأخت ويدفعها إلى التفكير في طريقة تتخلص بها من هذه المنافسة التي هي دائما مصدر آلام وهموم لا حد لها.!!

وكان هذا الزوج والأخ صاحب أسفار وروحات وجيئات فكان اذا أراد أن يسافر يجب أن يكون وداع أخته هو مسك الختام واذا قدم كانت الأخت هي أول من يسأل عنه.. وهي أول من يزوره!!. وهي أول من يعطى الهدايا والتحف.!!

كل هذا يفعله الأخ ترفيها عن أخته ورعاية لظروفها السيئة ونفسيتها المنقبضة.. وصحتها المنحرفة.. إلا أن الزوجة كانت تنظر إلى هذا كله نظرة حسد وغيظ.. وعداء... الأمر الذي دفعها إلى أن تفكر جديا في الكيد لهذه الأخت.. ومحاولة الإقاع بها عن طريق الدس.. وإلصاق الدنس بشرفها وعرضها.!!

وأجالت الزوجة فكرها واستعرضت أنواع الحيل والألاعيب التي تستطيع أن تدخل على هذه الأخت من طريقها فلم تجد شيئا لأن هذه الأخت لا تروح ولا تجيء... وانما هي ملازمة لبيتها.. أو على الأصح ملازمة لغرفتها لا تكاد تخرج منها إلا في

سويعات معدودات من النهار.!! أما بقية الساعات فهي تقضيها وحدها في غرفتها .. تكابد آلامها وتكابد هواجسها القاتمة وتفكر في هذه الحياة وتفكر في مستقبلها هي بالذات... وكيف سيكون.؟! وتوجه الى نفسها بعض التساؤلات التي لا تجد لها جوابا.. بل تقف أمامها صامتة ساهمة واجفة القلب شاردة البصر.!!

وهي لا تفكر في زوجة أخيها أو تكيد لها أو تحسدها .. وانما هي تتألم من مظاهر الجفاء الذي تلاحظه منها ... ولا شيء غير الألم الصامت الذي تعانيه دون شكوى.. ودون تظاهر بالألم.!

ولكن الزوجة كلما انسد باب في وجهها من أبواب الكيد والدس حاولت أن تفتح بابا جديدا... وهكذا بقيت تعمل فكرها وذكاءها وحيلها حتى اهتدت إلى طريقة تستطيع بها أن تبلغ مرادها.!!

فصارت إذا سافر زوجها لبست ثيابه وصعدت إلى السطح الذي يكون فيه مؤذن المسجد المجاور لمنزلهم في منارته فتصعد في ثياب رجل وتدق باب غرفة أخت زوجها على مرأى من المؤذن.!!

وتكررت هذه الفعلة عدة مرات.. وهي تلبس هذا اللباس وتدخل على أخت زوجها على مرأى من المؤذن.. وتجلس عندها وتقفل الباب عليهما.. وتقول انني ألبس هذا اللباس لأسليك ولأرفه عنك ولأجلب لك السرور.!!

ولما قدم الزوج من سفره ذات مرة سأل أول ما سأل عن أخته وعن صحتها.. وعن حالتها النفسية.؟! فقالت له الزوجة ان أختك

لها قصة ويظهر أنها عاشقة واعتزالها في غرفة في أعلى البيت واصفرار لونها وانعزالها عن الناس كل ذلك يدل على أنها تهوى وتحب.!!

وتتابع الزوجة دسها هذا ووشايتها فتقول:-

انني ما كنت أطلع على أسرارها ولا أعرف شيئاً من أخبارها حتى سافرت هذه السفرة.. فرأيت رجلاً يصعد اليها من السطح ويبقى عندها فترة من الزمن ثم يذهب.. وهو لا يأتي إلا في أوقات الصلاة.. أو قبيل الصلاة.. وقد نصحتها عدة مرات ولكنها لا تقبل نصيحتي بل تقابل كلامي بصمت مطبق.. ينطوي على الاصرار وعدم المبالات بنصائح المحبين والمشفقين.!!

وإذا كنت تشك في كلامي مع أنني لم أعودك إلا قول الصدق فاسأل المؤذن فلعله رأى هذا الرجل عندما يصعد فوق منارته... وبهذا تعلم علماً أكيداً أنني لم أكذب على أختك ولم أفتر عليها زوراً وبهتاناً.!!

وسمع الأخ هذه الأقوال بامتعاض شديد وألم بالغ وصعد إلى أخته في غرفتها وسلم عليها سلاماً فاتراً ورأى اصفرار وجهها وشرود فكرها.!!

فتأكد لديه أن هذه هي أمارات الحب التي ذكرتها له زوجته.. ولكنه مع هذا كله أحب أن يتأكد من المؤذن .. وأن لا يتسرع في هذا الأمر الذي فيه حياة أو موت بالنسبة إلى تلك الفتاة المسكينة.!!

وصلى في المسجد وعندما تفرق الناس ولم يبق إلا المؤذن أصغى اليه وسأله بصوت خافت ذليل.!!

هل رأى رجلاً يدخل غرفة أخته في وقت من الأوقات.؟!

فقال المؤذن نعم لقد رأيت رجلاً يدخل غرفة أختك ولعدة مرات.!!

فقال الأخ وهل تعرف وجهه.. او تعرف اسمه.. فقال المؤذن انني لا أعرف وجهه ولا اسمه.. وكنت أنصرف بوجهي عن هذا المنظر الذي تتقزز منه نفسي وينفر منه ضميري ووجداني.!!

وازدادت آلام هذا الأخ .. وتأكد لديه أن أخته تحب.. وان حبيبها يأتيها في الأوقات التي يسافر فيها.. وصمم هذا الأخ على أمر.. هو الانتقام لشرفه.. الذي دنسته هذه الأخت.. وذلك بقتلها ودفنها في الأرض.!!

وجاء الى زوجته بعد سماع أقوال المؤذن وقال لها لقد أخبرني المؤذن بمثل ما أخبرتني به.. ولم يبق مجال للشك في قذارة سلوك أختي.. ولم يبق أمامي إلا غسل هذا العار.. أو على الأصح دفن هذا العار في التراب.. حتى لا تظهر له رائحة بعد الآن.!!

واستشار الرجل زوجته في الطريقة التي تراها لتنفيذ الخطة.. فقالت الزوجة إن الرأي عندي هو أن نحفر حفرة عميقة في ركن منعزل من المنزل.. ثم نأتي بالفتاة فنكتف يديها ونربط رجليها ثم نلقيها في هذه الحفرة ونهيل عليها التراب.!!

ووافق الزوج على هذه الخطة.. وبدآ يحفران الحفرة.. وكانت الأخت قد أحست بالشر منذ أن قابلها أخوها تلك المقابلة الجافة.. وعلمت أن في الأمر مكيدة لا بد من حدوثها

ولهذا فقد فتحت أذنيها وعينيها وجميع حواسها.. ترقباً لما سوف يحدث!!

وسمعت الحديث الذي دار بين أخيها وزوجته.. فأيقنت بالموت.. ولكنها لم تتسرع في عمل أي شيء... فلما شرع الزوجان في حفر الحفرة علمت أنهما مصممان على قتلها.. فلبست ملابسها بسرعة.. ثم قفزت إلى بيت جيرانها.. وهي على حالة يرثى لها من الرعب والهزال والاضطراب.!!

وسألها الجيران عما جرى لها فأخبرتهم.. بما دبر لها.. فقال لها الجيران.. انه لا قدرة لهم على الوقوف في وجه أخيها لو جاء يطالب بتسليمها إليه.. وأن الشخص الوحيد الذي يستطيع حمايتها من أخيها هو صاحب هذا البيت الذي أمامهم.. فإذا جاءت صلاة العشاء.. وخرج الرجل من بيته قاصداً المسجد. فلتخرج اليه.. والتمسك بطرف ثوبه.. ثم تقول ان رقبتي داخلة على رقبتك.. وأنا في ذمتك وداخلة عليك.!!

وهكذا حصل فعندما خرج الرجل تعلقت بثوبه وقالت انني في ذمتك ورقبتي لائذة برقبتك.!؟

فقال لها الرجل وما شأنك وما اسمك .. فأخبرته باسمها واسم عائلتها.. كما أخبرته بما يحاك لها من مكايد وما ينتظرها من موت محقق.!!

فقال لها الرجل لا عليك.. وهدأ من روعها وطلب منها أن تدله على بيت أهلها فأشارت إليه.. كما أشار إليها بأن تذهب إلى منزل عائلته وتبقى فيه كأحد أفراد الأسرة إلى أن

يتفاوض مع أهلها!!

وصلى الرجل صلاة العشاء.. وجاء إلى بيت أخيها فقرعه وخرج إليه الأخ أشعث أغبر تبدو عليه آثار الغضب والانفعال.!!

فلما رأى الرجل هدأ غضبه واعتذر منه كيف يلقاه وهو في هذه الحالة.. وفتح له الباب على مصراعيه وقال تفضل يا أبا فلان وكان يعرفه حق المعرفة.. ويعرف مقامه في البلد.. وأن كلمته مسموعة عند كل أحد.. وأمره نافذ فيما يريد..

وكرر الرجل الترحيب بهذا الضيف الكبير الذي ما زاره في هذه الساعة من الليل إلاولديه أمر هام.. ولم ينتظر الزائر الا هنيهة حتى قال لأخي الفتاة.. لقد جئتك خاطبا !! فقال الأخ على الرحب والسعة.. انني أرحب بهذه الخطوات وهذا الشرف الذي تريد أن توليني اياه .. ولكنه ليس عندي امرأة تتناسب مع مقامك الرفيع.!!

فقال الضيف إنني لا أريد أن تطيل الكلام فأنا أخطب اليك أختك.. إنني أريدها لنفسي.. وهي الآن في بيتي وبين أفراد عائلتي.!!

فأصاب الرجل كثير من عوامل الفرح.. وعوامل الغضب بحيث امتزج هذا بذاك حتى صار الانفعالان ككفتى الميزان لم ترجح واحدة منهما على الاخرى.!!

ولم يستطع الرجل إلا أن يجيب طلب الزائر .. وأن يوافق على زواج أخته منه الا أنه قال للخاطب إنها لا تتناسب مع مكانتك.!!

فقال الخاطب انني أقبلها.!!
وأريد أن يعقد النكاح حالا.!!

فذهب أخو الفتاة وجاء بامام المسجد ليعقد عقد النكاح.. واشترط مقدار المهر وحدد يوم لدخول الرجل على زوجته.. واقيم احتفال بسيط بهذه المناسبة .. وانتقلت الفتاة من كفالة أخيها إلى كفالة زوجها. وبدأ يهدأ بال الفتاة.. وبدأت أفكارها السوداء تزايلها.. وبدأت تتغذى من أطايب الطعام الذي ما كانت تراه عندما كانت في بيت أخيها.

وكان الرجل لا يعاملها كزوجة بل يعاملها كفتاة مهددة بالموت فأنقذها من هذا المصير الذي ينتظرها... وبقيت على هذه الحالة راضية آمنة مستقرة.. تطعم طيبا وتلبس طيبا وتعامل معاملة كريمة.. ولا تصنع من العمل إلا ما تهوى وتطيق.. مع راحة البال.. والاحساس بالهدوء والاستقرار.!!

وبدأت صحة الفتاة تتحسن.. وبدا شبابها يتفتح.. وبدأت محاسنها تبدو وتبرز للعيان.. وكان زوجها لا ينظر إليها لأنه قد رآها وانطبعت صورتها في الماضي في نفسه.. فهو لا يريدها ولا يهواها.. وانما ينتظر الفرصة التي يطلقها فيها عندما تهدا الأمور ويزول الخطر الذي يهدد حياتها.!!

ورآها ذات يوم وهي تمر من أمامه من باب الصدفة... فرأى ما سحره وبهره.!! وسأل بعض أفراد عائلته عن الفتاة التي مرت به فقيل له انها زوجته فلانة ... فسمع هذا الكلام وهو بين المصدق والمكذب.!!

وأرسل حلا إلى الفتاة من يدعوها ليكلفها بعمل من

الأعمال وجاءته الفتاة أو الزوجة المهجورة.. فرأى فيها من المحاسن شيئا جديدا لم يره في المرة الأولى... فضمها إليه ... وجعلها زوجة حقيقية لا زوجة صورية وعاشت في ظله عيشة كلها سعادة ووفاق وحب.. وصارت هي أم أولاده وهو أبو أولادها.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

مما قالت مويضي البرازيه

ما هوب خافيني رجال الشجاعة
ودي بهم مير المناعير صلفين
أريد مندس بوسط الجماعة
يرعى غنمهم والبهم والبعارين
وإذا نزرته راح قلبه رعاعه
يقول: يا هافي الحشا... ويش تبغين
وإن قلت له هات الحطب قال طاعة
وعجل يجيب القدر هو والمواعين
ولو أضربه مشتدة في كراعه
ما هوب شاكيني ولا الناس دارين

(عن كتاب شاعرات من البادية)



شلهوب ينجو من الموت:

بسبب لحيته البيضاء.!

كان الملك عبد العزيز عليه رحمة الله قد أمر ببناء سبعة قصور لسبعة من أولاده كان كل واحد منهم في سن الزواج .. ويريد الملك أن يسكنهم في يوم واحد وأن يزوجهم في ليلة واحدة.!!

وكان العمل سائرا في بناء هذه القصور على قدم وساق وكان المسؤول عن انجاز هذه القصور شلهوب وطال الوقت دون أن تنجز هذه القصور.. وضاق الملك عبدالعزيز بالتأخير ودعا شلهوب ذات يوم وأصدر عليه أمرا بأن القصور إذا لم تنجز خلال شهر واحد من تاريخه فانه سوف يقطع رأسه.!!

اصدر الملك هذا الأمر بجد وصرامة..! وقال ان عليك يا شلهوب أن تأمر من تحت يدك بالعمل ليلا ونهارا لانجاز هذه القصور.!!

واهتم شلهوب بهذا الأمر.!! فهو يعرف صرامة الملك وجده.! ويعرف أنه أمام مسؤولية عسيرة جدا.؟! ولذلك فقد جعل العمل يسير في القصور ليل نهار..! فريق يعمل في النهار وفريق يعمل في الليل وجدوا وحاولوا أن تكون القصور السبعة جاهزة في خلال المدة التي حددها الملك.!!

لكن العمل كان يتطلب وقتا أطول.. ولهذا فان شلهوب لم يستطع أن يفي بما وعد به.! أو على الأصح ان يتم الأعمال في الوقت المطلوب. وانتهت المدة التي عينها الملك عبد العزيز.!!

وكان من عادة شلهوب أن يحضر الى الملك صباحا ليتلقى منه الأوامر بما يراد عمله.!!

كما أن من عادته أن يصبغ شعر لحيته حتى تبدو سوداء كجناح الغراب.!!

وجاء شلهوب إلى الملك وقد ترك لحيته بدون صبغ فبدت بيضاء شوهاء لا تسر الناظرين.!! واستغرب الملك من شلهوب هذا الإهمال الذي لم يعهده فيه، وسأل الملك شلهوب قائلا:-

لماذا لم تصبغ لحيتك يا شلهوب.؟!

فقال شلهوب أنها يا طويل العمر ليست لحيتي.!؟ انها من الآن لحيتكم.. فقال الملك عبدالعزيز وكيف.!! فقال شلهوب لقد طلب مني جلالتكم أن أنجز القصور في خلال شهر... وقد بذلت جدي واجتهادي وعملت ليل نهار ولم تنجز لأن العمل يتطلب وقتاً أطول.!!

وقد انتهت المدة التي عينها جلالتكم دون أن تجهز القصور.. وقد قال جلالتكم انكم سوف تقطعون رأسي اذا انتهت المدة ولم تنته القصور.!!

ولذلك فانني لم أكلف نفسي بصبغ لحية سوف يقطع رأسها بعد قليل.!!

فضحك الملك عبد العزيز وقال لشلهوب:- جدوا واجتهدوا في اتمام العمل واصبغ لحيتك فهي لك ولن نمسها بسوء.!!

وخرج شلهوب من هذه الورطة بهذا الاسلوب اللطيف...
واستمر في عمله حتى انهى مهمته.!!

شاعرة تعاتب زوجها

كان زوج هذه الشاعرة كثير الأسفار طلبا للرزق.. وقد سئمت هذه الزوجة من طول الوحدة فقالت تعاتب زوجها:-

إلى متى راحت حياتي وأنا أرجيك
الله لا يقطع رجا.. بك رجيته
لو شفت دمع عيوني اللي تراعيك
هلّت على المكتوب ساعة قريته
إن كان جا مستقبلك يشبه لما ضيك
أقول يا خلاف سعي سعيته
إن كان تبغيني مثل ماني أبغيك
لزوم تاطا بالوعر ما وطيته
وإن كان حال الاليأس دون الرجا فيك
أقول ذا ذنب لنفسي جنيته

(عن كتاب شاعرات من البادية)



سالفـــــة:

٢- أهـــل الغُبيَّـــــه

«رويت أصل هذه السالفة عن الأخ سليمان بن فاضل... وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

جاء الليل واجتمع الأطفال عند جدتهم وقال لها أحدهم قصي علينا سالفة أهل الغُبيَّة، فقالت الجدة حبا وكرامة.

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي له سبعة أولاد وابنة واحدة وكبر الأولاد وشبت الفتاة حتى بلغت سن الزواج.. وتقدم رجل يخطبها من والدها.. وكان هذا الخاطب في مستوى تلك الأسرة المخطوب منها إن لم يكن أحسن منها.. فوافق والد الفتاة على هذه الخطبة.!!

وقدم الخطيب مهر الفتاة إلى والدها وعقد عقد النكاح.. وقررت ليلة الزواج.. وكان الخاطب قد بعث مع المهر كسوة لكل ذكر أو انثى من الأسرة، وقسمت الملابس على أفراد

الأسرة وكل واحد منهم أخذ نصيبه ما عدا الصغير الذي لم ينله شيء.. ويظهر أن الخاطب أسقطه من الحساب لصغر سنه بعض الشيء.!!

ورأى الولد الصغير أنه سوف يخرج من هذا العيد بلا حمص.!!

ورأى أن هذه طعنة موجهة اليه سواء عن قصد أو عن غير قصد.. واعتبر أن هذا التصرف قد أسقطه من عداد الأسرة.. وجعله لا قيمة له ولا خطر.!!

لهذا كله صمم على أن ينتقم لنفسه.. وقرر أن يفسد هذا الزواج الذي لا نصيب له فيه.!!

وفكر في طريقة الأنتقام وافساد هذا الزواج.. ووجد الطريقة.. ووقت لها ميقاتها... وهي اليوم الذي يسبق ليلة الزفاف حتى لا لايكون هناك متسع من الوقت للأخذ والرد والتشاور الذي قد تنكشف فيه اللعبة ويفسد فيه التدبير.!!

وعندما جاء اليوم الذي يسبق ليلة الزفاف ذهب إلى أخته العروس.. وقال لها بينه وبينها بحيث لا يسمعهما أحد.. هل تعرفين زوجك من بين هؤلاء الرجال الجالسين.؟! فقالت لا.! انني لا أعرفه.. فقال وهل تحبين معرفته فقالت نعم.. وكان منزلهم يطل على ميدان يجتمع الناس فيه بعد الصلوات.!!

فأشار لها أخوها إلى شيخ طاعن في السن يتكيء على عصاه.. وراقبته الفتاة حتى قام فاذا هو محدودب الظهر أبيض

الشعر.. يدب على ثلاث.!! فقالت الشابة بدهشة بالغة وهل أنت متأكد أن هذا هو زوجي فقال لها انني أعرفه كمعرفتي لك وانهم زوجوه بك لأنه غني.. فهم يطمعون في ثروته.!!

وذهب أخوها من عندها .. وتركها تفكر بطريقتها الخاصة في طريقة الخلاص.. وقد صدمت الفتاة صدمة عنيفة بهذه الحقيقة وفكرت في أمرها فرأت أنه لا يخلصها من هذا الوضع الا التظاهر بالصرع والجنون.!!

ورتبت أمورها على هذا..!!

فلما جاءت ليلة الزفاف صارت العروس تمزق أثوابها.. وتضرب نفسها... وتتظاهر بالغيبوبة عن هذا الكون.. وتتكلم بكلام ليس له معنى.. وتنظر إلى اهلها اذا نظرت إليهم بنظرات زائغة.! شاردة.!!

وجاء أهلها بإمام القرية وجعل يقرأ عليها من آيات القرآن فلا يزيدها ذلك إلا هياجا وجنونا.!!

وقال أهل الزوجة للزوج ان عروسك معها بعض الأثر الذي نرجو أن يزول سريعا.. ولهذا فاننا سوف نؤجل الزفاف إلى ما بعد أسبوع.. فوافق الزوج.. ولكن الجنون استمر ولم تجد فيه قراءة.. ولم يجد فيه علاج..!! وانتهى الأسبوع فأجل الزفاف أسبوعا آخر ثم آخر.!!

وطال الوقت بالزوج وطال الانتظار.. وتركها.!!

وبعد أن علمت أنها طلقت بأيام قلائل تظاهرت بأن الصرع

بدأيخف.. وانها بدأت تطول المدة بين نوباته شيئا فشيئا حتى عادت الفتاة إلى حالتها الطبيعية.!!

وجاء إليها أخوها بعد أن شفيت تماما.. وقال لها هل تعلمين أنني أريتك زوجا غير زوجك.. وهل تحبين أن تري زوجك الحقيقي الذي طلقك.؟! فقالت الفتاة نعم انني أحب أن أراه.!!

وأطل هو واياها على ذلك الميدان الذي يجلس فيه الرجل.! وأراها شابا أنيقا يلبس عباءة قيلان.. ونعال سختيان.. وغترة شماغ فوقها عقال مرعز.! وفي يده عصا من الخيزران يضرب بها الأرض اذا تكلم.. ويشير بها في مواطن الاشارة.!!

وقال لها ان هذا هو زوجك الذي طلقك فقالت له اخته ولماذا كذبت على وجعلتني أتظاهر بالجنون.؟! فقال الشاب لأنه لم يحسب لي أي حساب في هذا الزواج.. فقد أعطى اخواني كلهم كسوة إلا أنا .. وقد صنعت ما صنعت انتقاما من هذا الزوج الذي لم يحسب لي حسابا.!!

فقالت له اخته.. ولكن معظم الضرروقع على أنا يا أختك فقال الشاب انني لم أقصدك بالضرر وانما قصدت الزوج.. واذا كان نالك شيء من الضرر فهو شيء غير مقصود.!!

فقالت الأخت إن معظم الضرر وقع على أختك سواء كان مقصودا أم غير مقصود فقد حرمتني من الزواج من شاب هو أمنية كل فتاة كما أنك ألحقت بى وصمة عار لا تمحى أبد الدهر وهي اشتهار أمري بأنني مجنونة أصرع في اليوم عدة مرات.!!

فقال لها أخوها لا تأسفي فالرزق على الله.. وما وقع لك لم أرده وانما أردت افساد هذا الأمر الذي لافائدة لي فيه.! فقالت له أخته سامحك الله يا أخي.. ولم تظهر له أي بادرة من بوادر الحقد او الكيد.!!

ولكنها في داخلية نفسها تخطط للمكيدة...

ومضت أيام ونسي الأخ صنيعه..!! وقالت له أخته ذات مرة لماذا لا تتزوج يا أخي.. فقال انني لا أعرف امرأةفي هذا البلد تصلح لي... فقالت له انك لا تعرف النساءو لكنني أنا أعرفهن فاذا شئت أن أبحث لك عن زوجة فانني مستعدة.. فقال لها أخوها ابحثي واعملي معروفا.!!

وبعد أيام قالت له أخته.. لقد وجدت لك زوجة في غاية الروعة والجمال.. فقال الأخ بنت من.؟! فقالت انها بنت أهل الغبية.. والغبية اسم لبستان نخل في ضاحية مدينتهم.. فقال الأخ انني واثق من كلامك ولكنني قد رسمت لنفسي خطة وهي أن لا أتزوج زوجة قبل أن أراها.!!

فقالت له أخته.. اذا جاء يوم الاثنين القادم فخذ بندق الصيد واذهب الى بستانهم كأنك تبحث عن صيد من الطير.. وسوف تراها وتأخذ فكرة كاملة عنها.!!

وجاء يوم الاثنين فأخذ بندقيته.. وذهب ليتصيد في بستان أهل الغبية.. ولبست أخته أحسن ملابسها وذهبت مع طريق آخر غير الطريق الذي سلكه أخوها وسبقته إلى البستان وصارت تتجول في ناحية من نواحية وأخوها يتجول في الناحية

الأخرى وينظر إليها وهي تبدي تحفظاً ظاهراً.

إلا أنها من ناحية أخرى كانت تبدي له بعض محاسنها فتارة ترفع يدها وكأنها تريد أن تقطف زهرة وتارة تظهر له صفحة وجهها ثم تستره سريعا مظهرة التستر والتحفظ.. ورأى ما أعجبه.. وصمم على خطبة هذه الفتاة.. وصاد بعض الطيور ثم عاد إلى منزلهم فوجد أخته قد سبقته وخلعت ملابسها النظيفة ولبست ملابس البيت وصارت تعمل عملها اليومي فيه.!!

وجاء إليها أخوها.. فقالت له ماذا رأيت.. فقال لقد رايت فتاة جميلة ذات قوام معتدل وصفحة مشرقة وجمال باهر.!!

فقالت الفتاة اذا فلم يبق أمامك الا أن تخطبها من أهلها قبل أن تسبق عليها.!!

وذهب الفتى إلى أهل الفتاة وخطبها منهم فرحبوا به ووافقوا على خطبته...

فدفع إليهم المهر.. وتقررت ليلة الزواج..وأرسل إليهم الفتى قبل الزواج بيوم أو يومين ظهر جمل ليقيموا لانفسهم حفلة غداء خاصة... ثم أخذ بندقيته وذهب إلى بستانهم لعله يرى زوجته فيتمتع منها بنظرة تسليه إلى أن تأتي ليلة الزفاف.

وعندما دخل البستان رأى فتاة جالسة وقد مدت رجلا وثنت أخرى فجلست عليها.. ورأى أمام تلك الفتاة عظاما وأمامها كلبا ورآها تأخذ العظم فتعرشه مرة وتعطي الكلب الذي

أمامها فيعرشه مرة أخرى.. ومر بالقرب منها.. وأراد أن يحدثها ليعرف من هي وليختبر عقلها وتفكيرها.!!

وقال عندما قرب منها يا طول رجل البنت طولاه.. فقالت الفتاة عونك على المشية.!! وسألها عن اسمها فأخبرته ثم سألها عما تصنع فقالت انني أعرم من هذه العظام عرمة ويعرم كلبي سحمان عرمة.!! فقال واين أبوك.. فقالت انه ذهب إلى السوق ليشتري بعض لوازم زواجي فقال وهل ستتزوجين.؟! فقالت نعم إن زواجي في هذه الليلة...

وسألها عن أمها فقالت انها ذهبت إلي البلد لتأتي لي بحلية وماشطة.! فقال واين ملابس الزواج فقالت انها معلقة على المسطاح.. فقال واين مهرك.. فقالت انه موضوع في القفة المعلقة في المخزن.!!

وذهب الفتى مهرولا الى تلك القفة فأخذ النقود التي دفعها صداقا لهذه الفتاه.. وخرج من البستان عائدا أدراجه إلى البيت.!!

وحينما وصل إلى المنزل صار يبحث عن أخته حتى وجدها... فجعل يعاتبها.. ويتكلم عليها كلاما قاسياً ويقول لها كيف تخدعينني.. وتحاولين أن تربطي مصيري بمصير امرأة عرجاء دميمة كسيحة.؟!

فقالت له أخته بكل بساطة وبرود: وهل نسيت ما عملته بالنسبة إلى زواجي من فلان.. وكان قد نسي.. أو كان لا ينتظر أن تعامله أخته بمثل ما عاملها... فهي أنثى وهو ذكر..

والرجل يغتفر له ما لا يغتفر للفتاة.!!

ولكنها هي لا تؤمن بهذه الفوارق.. ولاسيما في مجال الاساءة فالذي يسيء إلى الأنثى وان كان رجلا لا لوم عليها اذا قابلت الاساءة بإساءة مثلها... والجروح قصاص وواحدة بواحدة والبادي أظلم.! وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

مما قالت الشاعرة نورة الهوشان

كانت نورة الهوشان تسكن في قرية (عين الصوينع) بالسر مع زوجها الذي نشأ بينها وبينه اختلاف أدى إلى طلاقها.. ومرت ذات يوم بمزرعة زوجها القديم فتذكرت الأيام السعيدة التي قضتها بجانبه.. فقالت هذه الأبيات:

يا عين هلي صافي الدمع هليه
وإلى انتهى صافيه هاتي سريبه
يا عين شوفي زرع خلك وراعيه
شوفي معاويده وشوفي قليبه
إن مرني في الدرب ما أقدر أحاكيه
مصيبة يا وي والله مصيبة
اللي يبينا عيت النفس تبغيه
واللي نبي عجز البخت لا يجيبه

(عن كتاب شاعرات البادية)

★ ★ ★

سـالفـة:

٣-عـامر وخويه الذيب

جاء الأطفال إلى جدتهم كالعادة وطلب منها أحد الأطفال الكبار أن تقص عليهم سالفة عامر والذيب... فقالت الجدة حباً وكرامة:

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الأعرابي الذي عيشته في الكسب والنهب والاغارة على أموال الناس وأخذ كل ما استطاع أخذه منها...

وخرج عامر ذات مرة يبحث عن أحد الأحياء ليسرق من مواشيهم ابلا أو غنما... وبينما كان ذات يوم في طريقه يسير وحيدا واذا به يرىذئبا يمشي قريبا منه واستمر الذئب يمشي بحذائه..! وظن عامر أن هذه الصحبة سوف تنفصم عراها بعد ساعة أو ساعتين..!

وكان عامر على راحلته وهو لا يخشى في هذه الحالة من الذئب وواصل عامر السير.. وواصل الذئب السير معه وجاء الليل وأناخ عامر راحلته ليعمل لنفسه عشاء وانتحى الذئب قليلاً وأقعى مقابلاً له.!!

وكان كل واحد من الاثنين يراقب الآخر بخوف وحذر... فلا عامر يأمن الذئب على نفسه.. ولا الذئب يأمن عامراً على نفسه.!!

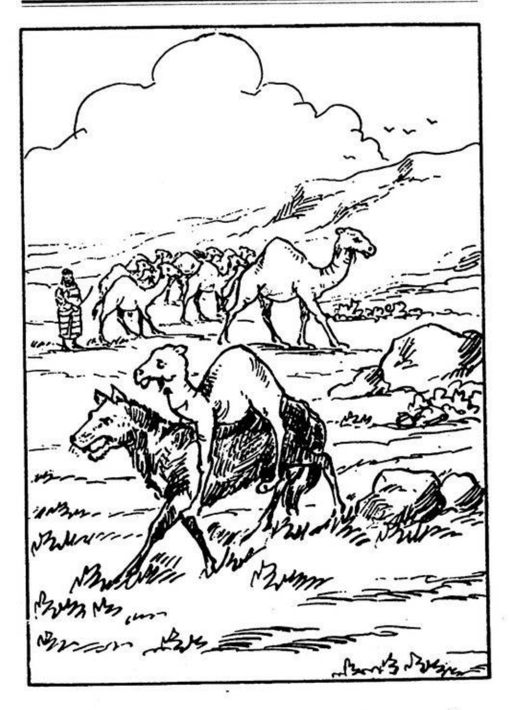
وجهز العشاء فأكل عامر ثم أعطا بقية الأكل للذئب فأكله.. وسرى عامر في الليل وسرى الذئب معه.!!

ان هذا الذئب يتابعه ليل نهار.. وجاء وقت النوم وأناخ عامر راحلته.. وهيأ فراش النوم والتحى الذئب قليلا ومد ذراعيه على الأرض.. ووضع رأسه عليهما واستسلم للهدوء والراحة..!! إن عامراً نام ولكنه لم ينم انه يخشى من الذئب.. فهو يعرفه غادرا فاجرا لا يؤمن.. ولا بد من الوقوف أمامه بحذر شديد.!!

وربط عامر سكينا في بطنه واحتضن بندقيته بعد أن عبأها بالرصاص والبارود... ونام نوما متقطعا... فهو لا يأمن الذئب أن يهجم عليه في أي ساعة من ساعات الليل.!!

وجاء الصباح.. واستيقظ عامر من نومه.. فرأى الذئب في مكانه لم يبرح.. فأخرج بعض الطعام وأكل منه وألقى إلى الذئب بعضه فجاء حتى قرب من الأكل فأكل ثم تنحى في مكانه وأقعى.!!

وحمل عامر متاعه على راحلته ومشى فتبعه الذئب على عادته يمشي بحذائه ولا يبعد عنه إلا بعدة خطوات.!واستمر عامر هو والذئب على هذه الحالة بضعة أيام.. وكل يوم يمر على هذه الصحبة تزول فيه بعض مخاوف كل واحد من الطرفين من الآخر.!! إلى أن أمن في آخر الأمر كل واحد منهما من صاحبه وصارت هذه الصحبة أمرا عاديا بالنسبة إلى هذين الصاحبين...



وأخفق عامر في مسعاه.. ولكن رفيقه الذئب نجح.. وقاد ذوداً من الابل إلى عامر..!!

ووصل عامر إلى مشارف الحي الذين يريد أن يأخذ من مواشيهم. واختفى في النهار في مكان منزو منتظرا مجيء الليل وغفلة الرقيب ليغير.. ويأخذ من مواشي الحي ما يستطيع أخذه.!! واختفى كذلك الذئب في غار من الغيران.!!

فلما جاء الليل خرج عامر من مكمنه وخرج الذئب من غاره وتقابلا كعادتهما .. وصنع عامر طعامه وأكل بعضه وقدم لرفيقه الذئب بعضه الآخر فأكله ثم تهيأ عامر للهجوم على الحي... وسار مختفياً وجال حول الحي فلم يجد منهم غرة.. وما استطاع أن يحصل منهم على شيء.!!

وعاد عامر أدراجه الى راحلته وهو لم ييأس فقد قرر أن يعود.! وأن يقوم بمحاولة ثانية وثالثة... ونظر فيما حوله يبحث عن الذئب فلم يره.. وقال عامر في نفسه لعله رأى الحي فخاف منهم وهرب.! وبينما كان عامر يفكر في الذئب ويتطلع يمينا وشمالا يبحث عنه.! واذا هو يراه مقبلا وقد حمل فوق ظهره بواً وهو جلد الناقة الصغير يحشي أعشابا حتى يكون له شكل الحاشي الصغير.!!

رأى عامر الذئب يحمل البو ورأى قطيعاً من الابل يتبع الذئب.! فعلم عامر أن الذئب قد هجم على الحي.. وأنه أصاب منهم غرة.. فجاء بهذا الكسب.. وحمل عامر متاعه على راحلته وصار الذئب في المقدمة يحمل البو فتتبعه الابل.. وعامر في المؤخرة يسوق هذه الابل بلا هوادة ولا رحمة.!!

وسار الرفيقان سيراً متواصلاً خوفاً من لحاق الحي بهم.. وكانا لا يرتاحان نهاراً ولا ينامان ليلاً. وكان الذئب يعدو أمام الابل بهذا البو..!! فتعدو الابل خلفه..وعامر يجمع شتاتها.. ويسوق متخلفها.!!

وبقوا على هذه الحالة عدة أيام لا ينامون الا غراراً.. ولا يرتاحون إلا سويعات قليلات... حتى أمنوا من الطلب وابتعدوا عن الحي المسروق.. وقربوا من منازل قومهم.. وعندئذ صاروا يسيرون رويداً.. ويرفقون بأنفسهم ويرفقون بذلك الذود من الابل الذي كان لغيرهم ثم صار لهم.!!

وتوثقت العلاقة بين الذيب وعامر فلم يعد عامر يخشى غدره ولم يعد الذيب يخاف عامراً .!! وربط بين الاثنين الهدف الواحد.!! وربط بينهما المصالح المشتركة.. وربط بينهما الاحسان وغذاء المعدة التي يفكر الذئب من طريقها فيحب من أجلها ويكره من أجلها ويعادي من أجلها ويصادق من أجلها.. وقد كسب عامر صداقة هذا الذئب من طريق هذه المعدة.!!

قرب عامر من مضارب حيهم.. وبدأ الذئب يمشي ويتقهقر.! انه لا يريد أن يقرب من الحي أكثر مماقرب لأنه يخشى كل فرد منهم ما عدا عامر الذي تفاهم معه .. وعرف كل واحد منهما صاحبه.. ووثق كل منهما بصاحبه.!!

ونظر عامر إلى رفيقه الذئب... ثم نظر إلى ذلك الذود من الابل الذي كان الذئب هو العامل الرئيسي في كسبه نظر عامر إلى كل هذا ثم قرر أن ينحر لرفيقه الذئب أطيب واحدة في الذود.!! وهكذا وقع فقد عمد عامر إلى أكبر واحدة في الذود وأسمنها.. وطعن في نحرها حتى سقطت على الأرض تتخبط في دمائها.!!

ثم أشار إلى الذئب بأن يتقدم إليها.. وتقدم وصار يأكل من لحمها ويلغ في دمها.. ويدور عليها ليتمتع بمنظرها البهيج وينظر يميناً وشمالاً خوفاً من أن يأتي إليه شريك أو منافس فيما رزقه الله.!!

ووصل عامر إلى قومه وبني عمه يسوق ذلك الذود من الابل فتجمعوا حوله وهنأوه بالسلامة.. وهنأوه بالظفر ونادى فيهم عامر بأن لي رفيقا في المكان الفلاني وأنا مجيره من كل أذى.. ومن أعتدى عليه أو مسه بقطرة ماء فانني سوف أمسه بقطرة دم .!!

وجعل عامر ينشد هذه القصيدة التي أنشأها في رفيقه الذئب في كل مجلس ويقص عليهم قصته معه والقصيدة هي:-

تخاوينا أنا والذيب سرحان
ودعيته يومنا شفته وجاني
وعطيته من طعامي بعض ما زان
واستانس الذيب وكل زادي بأمان
خوي في الخلا من خير الاخوان
الى تعلى على المرقب شفاني
أسري ويسري معي ماهوب كسلان
واصبح ويصبح قريب من مكاني
وعديت أبي صيدتي من جيش عربان
وهو عدا صوبهم أبراه ويبراني
ورجعت خايب وهو قد عاد ربحان
يا حي يوم لقيته والتقاني

وصار حديث عامر في كل مجالسه عن هذا الذئب وعن رفقته معه.. وعن هجومه هو واياه وعن طريقة النجاح في هذا الهجوم الخاطف على الابل.!!

وسمع احد من افراد الحي هذه الأحاديث عن الذئب.! فحسد الذئب وحسد ابن عمه على هذا النجاح الباهر الذي أحرزه.! وعلى تلك المفخرة التي نالها.. وتلك القصة التي هي نسيج وحدها.!

والتي صار عامر يفاخر بها في كل مجلس.. ويتحدث بها في كل ناد...

وأخذ هذا الحاسد بندقيته.. وقصد المكان الذي فيه الذئب.! وتمدد الذئب بجانب فريسته الناقة التي عقرها له صاحبه.!!

ورجع قاتل الذئب وقد شفا غله لا من الذئب ولكن من ابن عمه.. وجعل يفتخر في المجالس بأنه قتل رفيق عامر.!! ونقل الخبر إلى عامر فساءه ذلك وعلم أن في الأمر تحدياً ظاهراً.!! ولكنه كتم غضبه وهدأ أعصابه.. وترك ابن عمه يفاخر بقتل الذئب اذا غاب عامر فإذا حضر أنكر أنه هو قاتله.!!

وطالت تلك المراوغة والمفاخرة حتى نفد صبر عامر.. وحتى شهد جميع أفراد الحي بأن هذا الشخص الذي يدعي قتل الذئب هو قاتله وأنه معتد.. وخافر بذمة ابن عمه عامر..

وعندما بلغت الأمور إلى هذا الحد.. واستعد عامر للانتقام لشرفه المهان... وذمته المخفورة.!! أعد سلاحه.. وترصد لابن عمه حتى ذهب ذات مرة إلى الصيد فمشى على أثره.. ولما ابتعد الاثنان عن منازل الحى... نبهه عامر بأنه قاتله.!!.

والتفت هذا المعتدي إلى ابن عمه مبهوتا حائرا في أمره لأنه يعلم أنه ليس في مستوى عامر.. ولا يستطيع أن يقاومه.. ثم انه يعرف أنه قد اعتدى على عامر وقتل رفيقه .. فهو ان قاتل عامراً وصاوله .! فإنما يقاتل في سبيل باطل .. لا في سبيل حق .. بينما عامر يرى أنه مظلوم وأنه أهين في شرفه وخفر ذمامه فله الحق كل الحق أن يذود عن هذا الشرف وأن ينتقم ممن خفر بذمته كائنا من كان .!!

وقال له عامر معاتبا كيف تخفر بذمام ابن عمك ثم أتغافل

عنك .. فلا يجدي فيك .!! بل تفاخر في المجالس بالغدر وخفر الذمام وتتظاهر بعدم المبالاة ..

وكان هذا الغادر يسمع الكلام ولا يجد جوابا .. فهو قد استسلم وعلم أن نهايته قد حانت.. وأنه لا مجال للمقاومة .!! ولا مجال للاعتذار .!!

وسدد عامر طلقة من بندقيته إلى ابن عمه فقتله في سبيل الوفاء والحفظ على الذمام ...

وجاء الراوي من عندهم وهو لايدري ماذا حدث بين أفراد الحي بعد أن قتل واحد منهم ابن عمه .!! بسبب ذئب .!! وهل مرت هذه الحادثة بسلام أم أحدثت بعدها عقابيل فرقت الحي ولفحت بنيرانها بعض أفراده الذين لا ناقة لهم في الحادث ولا جمل .!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.

للشاعرة حصه العنزية

يا حلو رص الروح بالروح للروح
متوالفين كلهم لا بلينا
مالي بتنطين المحبين مصلوح
بالذكر وإلا عن كذا مادرينا
قلته على نوع التماثيل وفروح
مالي عشير ولا لهذا مشينا
لو كان باب العشق للناس مفتوح
نحمي شرفنا مع رجال غلينا

(عن كتاب شاعرات من البادية)

سبحونـــــة:

٤- الشــاة المتجنّســـة

«رويت هذه السالفة عن الأخ سليمان بن فاضل
وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

كان الأطفال في هذه الليلة تشغل أفكارهم حكايات الجن والعفاريت .. وكانوا يحبون أن يسمعوا شيئا من هذه الحوادث والأخبار و السوالف .. التي يريدون أن يحلقوا معها .... وأن يعيشعوا في أجوائها المغايرة لأجوائهم .. وأن يبتعدوا عن واقعهم ولو كان ذلك لسويعات معدودات ..

وقالوا لجدتهم قصي علينا سالفة الشاة المتجنسة أي الجنية التي تقمصت جلد شاة .!! فقالت جدتهم حباً و كرامة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي .. وإلى هنا هاك الرجال هو وأيا حرمته (زوجته) وعياله ... وإلى هم في هـاك الـديـرة وإلى الـزمـان زمـان فـقـر وحـاجـة .!! ولا مجال للعمل.. ولا كسب الرزق .!!

ضاق الرجل بحياته كما ضاقت المرأة بحياتها ...

واتفق الزوج وزوجته على أن يخرجوا من تلك القرية ...

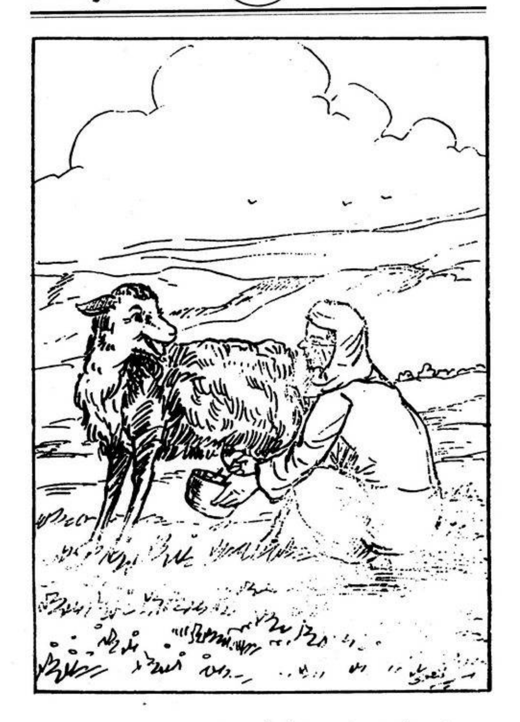
وأن يذهبوا إلى الصحراء، ويسكنوا في القصور.!! وهي مبان تبعد عن البلد بحوالي عشرين كيلا وبها مزارع للحنطة والخضروات!

فبحثوا عن قصر فارغ حتى وجدوه وسكنوا فيه .. وصاروا يخرجون نهارا إلى الصحراء يحتطبون .. ويقطعون الأعشاب .! ويحملونها لقصرهم ويصطادون من صيد البر من يرابيع وضباب وما شابهها .. ويأكلون من أعشاب الأرض وبقولها بعض الأنواع كالبقرا والبسباس والذعاليق والحُوَّاى ...

وجاءت ذات ليلة لم يشعرا فيها إلا بشاة عند باب قصرهم لها ثغاء رقيق كأنه صوت شخص يستعطف ليفتح له الباب .! وقام الرجل مسرعا وفتح الباب فرأى شاة كبيرة سمينة تحمل ضرعا كبيرا قد اكتض بالحليب .!! فأخذها الرجل برقبتها وأدخلها على امرأته فسرت سرورا عظيما وقامت اليها فحلبتها وشربوا من هذا الحليب حتى امتلأت بطونهم ثم تركوا بقيته إلى الغد ليروب .!

وجاء الصباح فوجدوا ضرغها قد إمتلأ مرة ثانية فحلبوها ثم أخرجوها إلى الصحراء لترعى من أعشابها وأشجارها وراقبوها فإذا هي ترعى حول القصر وتدور عليه .. ولا تكاد تبعد عنه إلا قليلا حتى تعود إلى الدائرة التي كانت ترعى فيها ..

وفرح الزوج وفرحت زوجته بهـذا الرزق الذي ساقـه الله



وضحكت الشاة فعلمت المرأة أنها غولة ونصحت زوجها بالهرب
ولكنه لم يصدق.! فكان هو الضحية.!!

إليهم.. فقد شبعت بطونهم وتحنت صحتهم وازداد نشاطهم.. وكثر إنتاجهم.. ولكن بعضا من المخاوف كانت تراود أفكارهم.. وهذه المخاوف هي أن تكون هذه الشاة لقوم آخرين فيهتدون إليها ويسلبونهم هذه النعمة الكبيرة التي يعيشون فيها.!!

وبقوا على هذه الحالة بضعة أيام وهم في سعادة .. وفي نعمة لا يكدرها عليهم إلا الخوف من زوالها...

وفي ذات ليلة كانت المرأة شبعانة ريانة من حليب هذه الشاة وجاءت اليها لتحلبها كالعادة. ورفعت إحدى رجلي الشاة وشدت عليها بين ساقها وفخذها وشرعت تحلبها.!!

وفي هذه الأثناء كان في جوف المرأة رياح عظيمة تتفاعل فيه.. لعل مصدرها كثرة شرب الحليب مع التمر.. ونظرت المرأة يمينا وشمالا فلم تر أحدا فأطلقت لبطنها العنان وأرسلت ضرطة كبيرة كانت مصدرا لعجب الشاة والتفاتها... وابتسامتها

ورأت المرأة هذا الشاة عندما التفتت عند سماع الصوت وضحكت.! وأوجست المرأة خيفة من هذه الشاة التي تضحك وأحست بخطر عظيم يتهددها هي وزوجها وأولادها وعندما جاء الصباح جاءت الشاة كعادتها .. ولكنها كانت في هذه المرة متحفظة حذرة خائفة.!!

وجاء وقت الرعي فخرجت الشاة كعادتها تدور حول القصر وترعى من أعشاب الأرض.. فإذا شبعت بحثت عن ظل شجرة فارتاحت تحتها فإذا أحست بالجوع وأحست أنها أخذت كفايتها من الراحة قامت من مربضها وواصلت الرعي في مدارها حول القصر.!!

وذهبت المرأة إلى زوجها وقالت له إن الشاة متجنسة وإنني قد رأيتها تضحك.. وما علينا الآن إلا أن نرحل سريعا عن هذا القصر ونعود إلى بيتنا بين أهلنا وجماعتنا.. حتى لو فاجأنا خطر منها يكون لنا عون ممن حولنا.!!

وسمع الرجل هذه الأخبار والمخاوف سماع المستهتر الذي لا يبالي ولا يصدق مثل هذه الأخبار وحاول أن يقنع زوجته بأن ما رأته ما هو إلا مجرد أوهام وهواجس لا حقيقة لها.!

فقالت له زوجته إن الذي رأيته حقيقة لا يمكن الشك فيها وإنني أنصحك وألح عليك في النصيحة بأن نسرع ونذهب جميعا إلى البلد ونترك هذه الشاة في مرعاها فلعلها لا تشعر برحيلنا.

فسفه الرجل رأي زوجته.. وقال لها كيف نهرب من رزق ساقه الله إلينا.. ومن نعمة كبيرة هي مصدر صحتنا وسعادتنا؟

وماذا ينتظرنا في بلدنا.. إنه الجوع والعوز.!!

فقالت الزوجة إنني أفضل أن نموت جوعاً على أن نكون فريسة سهله لشاة متجنسة.. وأنت الآن أمام أمر واقع لا محالة. فإما أن ترحل معي أنا وأولادي.. وإما أن تبقى أنت وحدك. وأرحل أنا والأولاد وحدنا؟!

فقال الزوج إنني أختار الرأي الأخير.! وهو البقاء بجوار هذه الشاة والتمتع بشرب حليبها.. إلى أن يفتح الله لنا بابا من أبواب الرزق الذي يكفل لنا معيشة هادئة مريحة.!!

وجمعت الزوجة أغراضها وأغراض أولادها.. ثم انسلت بهم من طريق خفي.. وبهدوء تام.. وتخلف زوجها في القصر وسارت الزوجة في طريقها حتى وصلت إلى البلدة..

أما الزوج فإنه عندما جاء الليل.. وجاءت الشاة أخذ إناء الحليب وذهب إلى الشاة ليحلبها في موعد حلبها.! ونظرت اليه الشاة مستغربة.. وسألته بلسان عربي فصيح عن زوجته... فبهت الرجل من هذه الشاة التي تتكلم.. وقال لها وهو يتلعثم في كلامه إنها رحلت إلى البلد.. هي وأولادها ... وبقيت أنا وحدي.!!

فقالت الشاة إنني أريد أن آكلك فمن أين تريد أن أبدأ.! واحتار الرجل في الجواب وأخذته رعدة شديدة.! فقد أحس بالخطر يهدد حياته.. وأحس بأنه أمام عفريتة ماردة لا قوة له في محاربتها.. ولا مجال للهرب منها.!!

فسلم أمره لله وقال للشاة إنني سوف أصوغ جوابي لك في كلمات مسجوعة أو في شعر منثور، فأعطيني مهلة حتى يتهيأ لي ما أريد أن أقوله..

فقالت الشاة قد أعطيتك ما طلبت.!! وفكر الرجل قليلا وهو شارد الفكر محطم العزيمة.. متخاذل القوة وتهيأ له ما أراد فقال:-

تـــفـــوا عـــلى لحيـــتـــي ما طـعـت شـور مـريّـتـي

ابديني مـــع مكيتـــي.!

فبدأت الشاة تأكله من عجزه.. وهو منصرف بفكره إلى الدار الآخرة التي يرجو أن يلقي فيها من النعيم ما يعوضه عما فاته من نعيم الدنيا.!!

ومات الرجل وبقيت هذه الشاة بجواره.. كل يوم تأكل عضواً من أعضائه حتى أتت عليه كله.!!

فلما فرغت منه .. تبعت آثار زوجته التي هربت بأولادها وسارت في الطريق الذي سارت عليه الزوجة.. تشم رائحتها التي لا يمكن أن تختلط برائحة انسان آخر فإن الحليب الذي كانوا يشربونه منها يحدث سمناً سريعاً ورائحة خاصة لا تخفى على الشاة مهما كثرت الروائح... وتعدد الأشخاص.!!

ودخلت الشاة البلد وقصدت بيت المرأة رأساً ودقت الباب ففتحت المرأة لها وهي لا تدري من الذي يدق الباب . فدخلت الشاة بمجرد أن فتح لها الباب.!!

وعرفت المرأة الشاة وعرفت الشاة المرأة وتكلمت الشاة فقالت لماذا هربت من القصور وتركت زوجك وحيداً.؟! فقالت المرأة وقد تحققت أنها وقعت فيما خافت منه.. وأنها سوف تكون فريسة سهلة لهذه الشاة.. قالت المرأة لقد سئمت من سكنى القصور واعتزال الناس.. والمعيشة في تلك الصحاري الخالية.!!

فقالت الشاة وقد تركت مجال تلك الأحاديث جانبا اصنعي لي فطورا فقالت لابنتها الكبرى اصنعي لضيفتنا الشاة نصف صاع مراصيع على التنور.. فقالت الشاة إن نصف الصاع لا يكفيني فقالت المرأة اجعليه صاعا..

وجهزت المراصيع وأكلتها الشاة كلها.! وقالت الشاة إنني أريد عشائي أحد أولادك فاختاري لي واحدا منهم وقدميه إلي في موعد العشاء.!!

فقالت لها المرأة مرحبا.. ثم قالت المرأة لهذه الشاة لقد أكلنا الآن وشبعنا وبقي علينا أن نرقص.. فارقصي لنا رقصة من رقصات الجان.. وأنا أرقص لك رقصة من رقصات الإنسان.!

فوافقت الشاة على هذه الفكرة.. وقالت للمرأة أعطيني لباسا من لباسكم.. فجاءت لها بألبسة فلبستها .. ثم شرعت في رقص عنيف كله حركات هستيرية.. وقفزات قوية.. وضرب بالأقدام يكاد يزق الأرض من تحت الشاة.!!

وكانت أغنية الشاة في هذه الرقصة هي كالآتي:-

لـبـسـتـنـي ثـوب حمر وشـيـلـتـهـا الجنـاحـيـه
وقـالـت لي وريـنـا رقـصـك ورقـصـت لها بـالـشـيـلـيه
وهـي تـطـرب وأنـا ألـعـب وأبـاكـلـهـا وهـي حـيـه

فلما انتهت الشاة من رقصتها المخيفة العنيفة.. قالت لها المرأة أحسنت.!! ثم أردفت قائلة لقد جاء دوري في الرقص.!! وأنا سوف ارقص لك رقصة وأغني لك أغنية حسب الاتفاق.! وإلا فإن غنائي ورقصتي لن يكونا شيئا بالنسبة إلى رقصتك وأغنيتك.!!

فقالت لها الشاة تفضلي.. ولبست المرأة ثياب الرقص وتقدمت إلى ردهة في البيت بقرب جار لها اسمه أبو علي.! الذي هو أملها الوحيد في النجاة.. وصاغت أبياتا من الشعر ضمنتها إشارات للخطر الذي يهدد حياتها.. وحياة أولادها ورب إشارة أبلغ من عبارة ورب كلمة أبلغ من كلمات.!!

وعندما توسطت المرأة في وسط الردهة جعلت ترقص رقصة مغايرة لرقصة الشاة.. فليس فيها قفز وليس فيها حركات هستيرية.. وليس فيها ضرب بالأقدام يكاد أن يخرق الارض.! وإنما كان رقصاً هادئاً رزيناً لا جلبة فيه ولا ضوضاء.!!

وكان أبرز ما فيه صوت المرأة بتلك الأغنية التي تريد أن

تجعل منها صفارة إنذار تنبه بها جارها لما هي فيه من خطر داهم لا قبل لها بمكافحته.. ولا قوة لها على الهرب منه .. وبدأت في الرقص ورفعت صوتها بالأغنية التالية:-

يا بو علي يا جارنا يا شيفة في دارنا
تردح ويضربها الغما تبغى حدا عيلاننا

وصارت ترقص وتردد هذه الأغنية.. وكان جارها أبو علي لا يكاد يفارق منزله.. وسمع الرقص وسمع الأغنية.. وفهم مغزاها وعرف أن خطرا داهما يهدد حياة جارته.

فنهض مسرعا وأخذ بندقيته الفتيل .. وحشاها بارودا ودك البارود جيدا ثم وضع فوق البارود قطعة من الرصاص مدورة ووضع الفتيل وأخذ جمرة ليوقد فيها الفتيل في الوقت المناسب.!!

وجاء إلى بيت جارته متسللا... ودخل حذرا مراقبا .. ورأى الشاة.. وعلم أنها مصدر الخطر.. فجلس حتى هدأت أعصابه... ثم مد الفتيل إلى جهة الشاة.. وجعل فوهتها صوب رأسها.. ثم أوقد الفتيل.. وقبض على بندقيته بكلتا يديه.. وسدد طلقة قوية إلى رأس الشاة فأصابتها إصابة مميتة .. وتمددت الشاة على الأرض فاقدة الوعي.!!

وقام الرجل مسرعا.. فأخذ عمودا من الخشب.. وجعل يسدد إلى رأس الشاة ضربات متوالية.. خوفا من أن يكون فيها بقية من حياة.. حتى هشم رأسها.. وسالت دماؤها.. وتبدد دماغها.!!

وعندئذ علم أنها قد فارقت الحياة.!

وهنأ الرجل جارته على سلامتها وسلامة أولادها.!! وشكرته المرأة بدورها على نخوته وشهامته وشجاعته.!!

وسألها أبو علي عن قصة هذه الشاة فاخبرته بقصتها من أولها إلى آخرها... فعزاها في زوجها وحاول أن يخفف من مصابها ببعض العبارات المألوفة في مثل هذه المناسبة... ثم تركها وعاد إلى بيته وإلى عمله بعد أن أدى دوره كاملاً في إنقاذ حياة جارته.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

مما قال ساجر الرفدي

عيني قزت عن نومها وأسهر تني
ما هي مريضة مار بالقلب ولوال
واحسرتي من عشقتي عايفتني
شامت وعافت ما مضى لي بالافعال
تعطرت يوم انها باغيتني
واليوم ما حطت علومي على البال
عاهدتها بالله وهي عاهدتني
واليوم أشوف افعولها اقفاي واقبال
دنياي بحمول العنا هدتني
والكبر يرث بالرجل كل غربال

(عن كتاب أبطال من الصحراء)



قصة مثل:-

على هامان يا فرعون.؟!

كان فرعون يدعي الربوبية... وكان يتظاهر بأنه هو الذي خلق هذه المخلوقات التي تدب فوق الأرض...

وكان إذا جاءه بعض كبار رعيته للزيارة احتجب عنهم بحجة أنه يوما يخلق غنماً ويوماً يخلق ابلاً ويوماً يخلق بقراً... وهكذا... وكان هامان هو وزير فرعون ويعرف مداخله ومخارجه.. وأسراره.!! كما يعرف كذب دعائه.. وزيف حركاته.!!

وجاء هامان ذات يوم لمقابلة فرعون .. فمنعه الحاجب من الدخول بحجة أن فرعون مشغول في ذلك اليوم يخلق الإبل!

ورجع هامان من حيث أتى.. ثم عاد إلى فرعون يوما آخر.. وعندما قابله عاتبه على منعه من الدخول في اليوم الفائت. فقال فرعون إنني كنت مشغولا بخلق الإبل.!!

فقال هامان لفرعون تلك الجملة التي ذهبت مثلاً.!!

يضرب هذا مثلا لمن يخدع الأبعدين ولكنه لا يستطيع أن يخدع الأقربين.!! ومن يخدع السذج والمغفلين ولكنه لا يستطيع أن يخدع الأذكياء والعارفين.!!



سالفـــــة:

٥- أبو الأربع بنات وأبو الأربعة أولاد

«ويت أصل هذه السالفة عن الأخ الصديق الأستاذ
محمد بن مقرن وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

قالت الجدة للأولاد عندما اجتمعوا عندها إنني سوف أقص عليكم هذه الليلة سالفة أبو الأربع بنات وأبو الأربعة أولاد.!

فقال الأطفال بصوت واحد نعم قصيها علينا..

فقالت الجدة هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الأخوين كل واحد منهما قد تزوج.. فأما أحدهما فقد رزقه الله أربعة أولاد وأما الآخر فقد رزقه الله أربع بنات.!!

وكان أبو البنات فقيرا لا يجد من وسائل العيش إلا الكفاف أو أقل من الكفاف... أما أبو الأربعة أولاد فهو غني ومعتز بتجارته وغناه.!!

وكان أبو البنات دائما يجد من أخيه جفوة وهزءا حيث يلمزه ويغمزه بأن ذريته كلهم إناث.. وكان أبو البنات يتلقى تلك الغمزات واللمزات بصدر رحب .. ويتحمل من أخيه تلك

القوارع التي توجه اليه.. في كل مناسبة.!!

وكثر الغمز وتكرر.. ولم يبق في قوس الصبر منزع فقال أبو البنات لأخيه:- لماذا تعيبني دائما بالبنات وتفتخر علي دائما بأولادك ألا تدري أن في البنات من هو خير من الأولاد.؟! ألا تدري أنه كم من امرأة أفضل من رجل.!

فقابله أخوه بالهزء والسخرية.. وقال له أنت تعزي نفسك بهذه الاحتمالات التي قلما تقع.!! ومن المعروف أن الأنثى عبء على والديها ومسؤولية كبرى منوطة برقابهم حتى تبلغ سن الزواج فإذا بلغت هذا السن تزوجت إن وفقت إلى الزواج برجل قد يكون غريبا.!!

وبعد الزواج تندمج مع قوم آخرين... وقد تلد الأعداء والمنافسين.. وقد تغدر بأقرب الناس اليها في سبيل شهواتها ورغباتها الجامحه.!!

فقال أبو البنات.. إن كلامك هذا هو إلى الخيال أقرب منه إلى الحقيقة.. وإذا كان وقع شيء مما تذكر في قديم الزمان فإن ذلك نادر شاذ!! والشاذ لا حكم له.. فكم من فتاة كانت سبب خير ورخاء لأهلها.. وكم من فتاة كانت سببا في صهر كريم يكون عونا في المهمات وعضدا في الملمات.! صديقا في أيام الرخاء ومواسيا في أيام الشدة.!!

ولندع الآن الماضي وأحداثه ولنبحث في حاضرنا.. فاختر واحدا من أولادك وأنا أختار واحدة من بناتي.. ولنترك الاثنين يسافران إلى بلد بعيدة بحثا عن الرزق والتجارة.. ولنر ماذا تكون النتائج .!! ومن يكون الفائز.. ومن يكون الخسران!!



واستطاعت الفتاة أن تتغلب على الشاب بالمكر والحيلة.!!
وأن تمثل هي دور الرجل.! ويمثل هو دور المرأة

فرحب أبو الأولاد بهذه الفكرة وقال ليعد كل واحد منا العدة لأحد أولاده للسفر إلى بلدة بعيدة والذي ماذا يرجع به كل واحد منهما..؟!

واختار أبو الأولاد أحد أولاده وجهزه بكل ما يلزمه وأعطاه مبلغا من المال كبيرا ليبيع فيه ويشتري وأعد له راحلة فارهة.. واشترى أبو البنت ناقة جرباء رخيصة بثمن على قدر طاقته وجهز ابنته بقربتين كبيرين قويتين.. ووزنتين من التمر لا غير.!

أما أبو الولد فقد أعد لولده من جميع أنواع الأطعمة الحامض والمالح والحلو وأعطاه قربة من الماء واحدة.. ومشى الإثنان في طريقهما في رحلة قد تطول وقد تقصر وقد لا يعودان منها سالمين.!!

وقال الولد لابنة عمه عندما تعمقا في الصحراء:- إنه يجب على كل واحد منا أن يعتمد على نفسه وأن يستغني بما معه عما مع رفيقه.. وإذا احتاج أحدنا شيئا من صاحبه.! فإن ذلك يكون بطريق المقايضة أي يأخذ شيئا ويدفع ثمنه نقدا أو شيئا آخر...

ووافقت الفتاة على هذا الكلام.!!

وفكرت الفتاة في ابن عمها الذي يريد أن يذلها.. ويريد أن يعيش أمامها في رغد من العيش بينما هي تعيش على الأسودان التمر والماء.!!

وبحثت الفتاة عن طريقة تذله بها وتجعله يحتاج إليها ... وتجعله يعطيها من أطايب ما معه من طعام!! وكان في جيب ثوبها إبرة فنزلت من فوق راحلتها كأنها تريد أن تقضي حاجة ثم

جاءت تمشي برفق وحذرحتى صارت تحت راحلته فخرقت قربته من أسفلها بالإبرة عدة خروق.. ثم قصدت راحلتها فركبتها وكأن شيئا لم يكن...

وصارت قربة الفتى تنقط الماء الذي فيها.. ويخرج منها قطرة تلو قطرة.. حتى نفد ما فيها من الماء.!!

ونزل الفتى من فوق راحلته ليشرب وقد التهب جوفه من كثرة ما يأكل من الأطعمة المالحة والحالية.!!

فوجد قربته فارغة.!!

فقال لابنة عمه أعطيني شربة من الماء.. فقالت الفتاة أولم نتفق أن كل واحد منا لا يدفع شيئا إلا بثمن.؟! فقال نعم لقد اتفقنا فاعطيني شربة ماء بثمنها ... فقالت الفتاة اني أريد ثمنها الأطعمة المالحة التي معك فأعطاها جميع ما معه من الأطعمة المالحة.!!

ومشى الرفيقان وأحس الفتى بالظمأ مرة ثانية.. وطلب منها شربة من الماء فقالت بجميع الأطعمة الحالية التي معك فأعطاها ما معه من الأطعمة الحالية.. وأعطته شربة ماء.؟!

استمرت الفتاة تأخذ منه ما معه شيئاً فشيئاً .. إلى أن لم يبق معه إلا راحلته.. فاتفقت معه على أن تعطيه راحلتها الجرباء وتأخذ راحلته الصحيحة بعدة شربات من الماء.. فرضي وتناول جميع الشربات المتفق عليها.. حتى لم يبق معه شيء واحتاج إلى شرب الماء وطلبه منها .. فقالت انني أسقيك على شرط أن تعطيني ملابسك فألبسها وتأخذ ملابسي فتلبسها ! فوافق الفتى مضطراً على هذا الطلب الذي لا يليق بالرجال ولكن الضرورة لها أحكام.!!

ولما نفد كل ما عنده.. ولم يبق لديه شيء تطمع فيه الفتاة.. بل صارت هي التي تمثل دور الرجال وهو الذي يمثل دور النساء.! صارت تعطيه الماء مجانا.. وتعطيه من القوت ما يكفيه في حدود الحاجة والضرورة لا في حدود الترف والنعيم الذي ألفه الفتى.. وصارت الفتاة هي المسيطرة على كل شيء تماماً.. وانقاد الفتى وهو في لباس فتاة إلى كل ما تريده ابنة عمه.!

وأخيرا وصل الاثنان إلى مدينة كبيرة آهلة بالسكان ونزلا في ضاحية من ضواحيها.. وقالت الفتاة لابن عمها ابق عند رواحلنا وأمتعتنا حتى أدخل إلى المدينة وأبحث لنا عن سكن... فوافق الفتى وبقي.!!

وذهبت الفتاة إلى المدينة .. وصارت تتجول في شوارعها إلى أن مرت بحانوت كبير فيه من جميع أنواع البضائع... وصارت تنظر إلى تلك البضائع وتتفحصها ... ورآها صاحب الحانوت فرحب بها وقال لها هل تريدين حاجة.؟! فقالت انني حتى الآن لم أر الحاجة التي اريدها..

وعرف صاحب الحانوت من لهجتها وطريقة كلامها أنها غريبة.! وقال لها أظنك غريبة. فقالت نعم... فقال لها التاجر.. ولماذا قدمت إلى هذه البلدة.؟! هل معك تجارة أو تريدين أن تشتري تجارة.؟! فقالت الفتاة لا هذا ولا ذاك وانما جئت أبحث عن عمل.!!

وكانت الفتاة صبيحة الوجه مشرقة الاسارير.. وكان

صاحب الحانوت في حاجة إلى موظف كريم الاخلاق مشرق الطلعة ليكون في استقبال الزبائن ... واغرائهم بالشراء وعرض الأصناف التي يرغبونها عليهم.!!

فقال لها صاحب الحانوت اننا في حاجة إلى موظف لعرض البضائع واستقبال الزبائن.. فقالت الفتاة انني مستعدة اذا كان هناك أجر طيب .. واتفق الطرفان على أجر شهري معلوم .. وكانت الفتاة تعرف القراءة والكتابة... والحساب... واستلمت عملها في أول يوم.!!

وسألها صاحب الحانوت عن أهلها وهل معها أحد منهم.. فقالت ان لي ابنة عم ساكنة في ضاحية من ضواحي المدينة.! فقال التاجر أتي بها واسكنيها معك في بيتنا.. فان منزلنا واسع وفيه حجرات متعددة سوف يخصص لكما منها غرفتين.! فقالت الفتاة ان ابنة عمي منطوية على نفسها وتهوى الانزواء والانفراد... وقد طلبت مني أن أنصب لها خيمة في المكان الذي هي فيه الآن.!!

فقال التاجر إذا لا داعي لاحراجها.. وأعطاها التاجر خيمة نصبت للفتى في مكانه.. وصارت هذه الفتاة الموظفة تشتري لابن عمها ما يريد من السوق فيأكل ويشرب وينام في هذه الخيمة لا يكاد يفارقها في ليل أو نهار.!

أما الفتاة التي تمثل دور الرجل والتي وظفت على انها رجل فهي تغدو وتروح إلى عملها وتشتري لابن عمها ما يحتاجه من السوق ولكن من نقوده التي أعطاه والده.. والتي احتفظ بها من بين جميع الأشياء التي كانت معه.!!

وكانت الفتاة تأكل وتشرب وتسكن وتكتسي كل ذلك على

حساب التاجر.. الذي اشترطت عليه هذه الأمور وكان التاجر يدفع لها هذه الأمور وهو راض ومسرور فقد ازداد اقبال الزبائن على حانوته وتضاعف الدخل.. وكثر الرزق وذلك بسبب لباقة هذا الموظف الجديد.. الذي كان موضع الرضا والاعجاب من كل زائر لهذا الحانوت..

ومضى شهر وشهران وثلاثة وأربعة إلى أن قاربت السنة أن تنتهي والفتاة تجمع الأموال وابن عمها ينفقها.. فلما كملت لهما سنة.! كانت الفتاة قد جمعت مبلغا من المال لا بأس به.. أما الفتى فقد أكل جميع ما كان معه.. وبقي عالة على ابنة عمه التي تعطيه كل ما يحتاج إليه.!!

وقالت الفتاة لصاحب الحانوت لقد طالت غربتي واشتقت إلى أهلي وبلدي.. وأنا أريد أن أرحل وأريد أن تعطيني رواتبي الشهرية لأشتري بها بعض البضائع التي تروج في بلادنا.؟!

فقال لها التاجر وما الذي تريدين أن تشتريه فعددت له أصنافا من الأطعمة والأقمشة والملابس...

فقال التاجر ان هذه البضائع كلها موجودة عندي والذي ليس عندي سوف أشتريه لك بأقل الأسعار.. واحضر للفتاة جميع ما طلبت ..وجهزت لها قافلة مثقله بالأحمال.. ومرت على ابن عمها فأخذته معها وهو في ثياب النساء.!! لا يملك إلا ناقته الجرباء وثياب النساء التي عليه.!!

وقربت القافلة من أرض الوطن.. وخجلت الفتاة من أن تظهر أمام أقاربها وأبناء بلدتها بثياب الرجال فخلعت ملابسها وأعطتها ابن عمها.. وخلع ملابسه فأعطاها اياها.!!

وأرسلت الفتاة إلى أهلها وأهل ابن عمها رسولا يبشرهم

بقرب وصولهم.!!

وجاء البشير.. وفرح الأبوان وفرحت العائلتان وترقب والد الفتى أن يكون فتاه قد حقق نصرا يثبت دعواه في تنقص الفتيات وأهل الفتيات.!!

وترقب أبو الفتاة أن تكون ابنته قد حطمت هذه الخرافة.!! التي يعتمد عليها أخوه وهي أن الفتيان خير من الفتيات وأقبلت القافلة تمشي بأحمالها رويداً رويداً.!!

ونظر أبو الفتى فقال في نفسه إن هذه القافلة ولا شك هي ملك ابنه.. ونظر أبو الفتاة الذي كان يثق بابنته ويرى فيها مخايل الذكاء والنجاة ان تكون القافلة من نصيب ابنته.!!

وقربت القافلة وكانت الفتاة قد أرشدت ابن عمها إلى طريقة استقباله لوالده وهي الطريقة التي زعمت أنها المتبعة لمن جاء من سفر بعيد.. وبعد مدة طويلة.!!

وملخص هذه الطريقة هي أن يأخذ كل واحد منهما حجر في يده فاذا أقبل عليه والده رماه بهذا الحجر وسدده إلى رأسه أو إلى وجهه... فاذا كان مقدراً له أن يصيبه الحجر فذلك قضاء وقدر لا مفر منه.!! واذا كانت مقدرة له النجاة فان الحجر سوف الا يصيبه.!!

وبذلك يكتسب الأب مناعة ضد الأحداث والحوادث التي تغدو وتروح على الانسان.. واتفق الاثنان على ذلك..

وأقبل الوالدان على ولديهما.. وعندما قرب والد الفتى منه.! رفع يده وأهوى بالحجر على وجه والده فضربه في جبينه.! فصار الدم يسيل على وجهه وعبارات الشماتة تتعاقب على أذنيه.!!

أما الفتاة فإنها أسرعت إلى والدها وضمها في حضنه وقبلها

في جبينها وقبلته في جبينه.. وأخذ الولد ناقته الجرباء وذهب بها إلى بيت والده.. بينما أخذت الفتاة تلك القافلة وذهبت بها إلى بيت والدها.!!

وصارت هذه الرحلة هي مدار الحديث لجميع سكان تلك البلدة فترة طويلة من الزمن.!!

كما أن والد الفتاة ارتفعت قيمته الاجتماعية نتيجة للثروة التي قدمت بها عليه ابنته... ولم يعد أبو الأولاد يعير أخاه أو يحاول الحط من قدره بسبب بناته.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

قالت شاعرة شعبية

مرخوص مني في جميع العلوم
الا الجسد واللمس خله لراعيه
خله لمن ينطح عظيم اللزوم
اللي بدرب العرف والحق واديه
واما أنت عندي غالى ومحشوم
وأدرى حساب الرب عن شن أسويه

وقالت شاعرة عربية قديمة

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا نرتضي أن نخونه
وأنت لأخرى صاحب وخليل

سالفـــة :

٦- الحمالي الذي سافر الى الغوص

قالت الجدة للأطفال انني في هذه الليلة سوف أقص عليكم قصة رجل كان فقيرا ثم اغتنى ثم كاد ان يفتقر.. ولكن الله لطف به ورد إليه ثروته فقال الأطفال بصوت واحد قصي علينا هذه السالفة.

فقالت الجدة حباً وكرامة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي والى هنا هاك الرجال في بلده وكان يكسب عيشه عن طريق حمل الأشياء ونقلها من مكان إلى مكان .. وقلت المصالح في بلده في بعض السنين .! و تقلص عنه الرزق الذي كان يعيش من طريقه .. وصمم على السفر .! وأعد العدة ورافق احدى القوافل إلى أحدى المدن التي على ساحل الخليج العربي .!!

ووصل المدينة المقصودة ... فوجد الوقت وقت غوص في البحر لاستخراج اللؤلؤ .. فانضم إلى احدى الفرق المتعاونة .. وكان معروفا لدى هذه الفرق نصيب كل واحد من محصول اللؤلؤ بحسب دوره في العمل وأهمية .. ومدى خطورته على حياته .!!

فالذي يغوص إلى أعماق البحر ويعرض حياته للخطر في كل لحظة يغوصها .! هذا له النصيب الأوفر ثم يتتابع أفراد الفرقة كل بحسب دوره ومجهودة في هذا العمل .!!

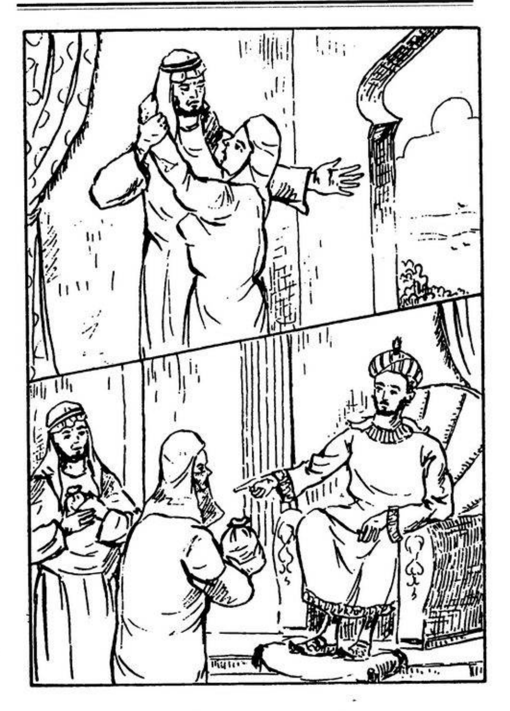
وانتهى وقت الغوص وأخذ كل واحد من أعضاء الفرقة نصيبه المقرر المقدر .. وحصل صاحبنا الحمالي على مبلغ من المال لا بأس به .. فرح به فرحاً شديداً .. وقدر أنه سوف يشتري ببعضه داراً عامرة واسعة في بلده وسوف يتزوج منه .. وسوف يعيش ببقيته فترة طويلة من الزمن عيشاً رغداً .!!

وبنى آمالاً طوالاً عراضاً على هذا المبلغ الذي حصل عليه والذي هو أكبر مبلغ ملكه طيلة أيام حياته .. وبحث عن قافلة تسافر إلى بلده فلم يجد .. لأن القوافل لاتسير في كل وقت وانما تسير في أوقات متفرقة وبدون انتظام .!!

وكان ينقل المال الذي حصل عليه معه دائما .. فقد اشترى به ثمانين جنيها ذهبيا .. ووضعها في جيبه وصارت يده دائما تتحسس هذا الذهب خوفا من أن تنخرق المخباة يوما فيسقط منها في غفلة من غفلاته .!!

وكان يحس بسعادة ونشوة كلما وضع يده عليه وأحس بأنه في جيبه .. وشعر بأنه يملك مبلغا من المال هذا مقداره... وكان اذا خلى في مكان ولم ير أحدا حوله أخرج صرة هذا الذهب من مخباته وفك رباطها.. وجعل يعدها واحداً واحداً .!!

وهو لا يعدها خوفا من أن يكون فقد شيء منها .. وانما يعدها لأنه يتلذذ بصوتها عندما يصك بعضها بعضا ويسر بمنظرها الجذاب ثم يفكر في المشاريع الكثيرة التي سوف يحققها بهذا المبلغ



واحتالت المرأة على هذا الرجل وأخذت ماله بحجة
أنه زوجها وأنه سوف يسافر تاركاً أولاده بلا نفقة.!!

الكبير من المال ...

وذهب ذات يوم إلى احدى الخرائب ... ليقضي حاجته وطال جلوسه على حاجته .. وأخرج صرة الذهب من مخبائه وجعل يعدها واحداً واحداً إلى أن بلغ الثمانين ثم جمعها وأعادها إلى صرتها مرة ثانية .!!

وكان يطل على هذه الخربة بيت فيه امرأة وأولادها ورأت المرأة الذهب يعد أمامها .. وعرفت عدده والخرقة التي يصر فيها وحزام الصرة .. وأغراها بريق الذهب بأن تحتال لأخذه من صاحبه بطريق المكر والخديعة .. ولبست المرأة ملابسها .. وذهبت إلى طريق الرجل .!!

وعند قضى حاجته .. وجاء يمشي في الشارع اعترضت طريقه هذه المرأة وأخذت بتلابيبه .. وقالت انك لا يمكن أن تسافر وتتركني أنا وأولادي .. ثم تأخذ الثروة كلها معك وأبقى أنا وأولادي وأولادك بلا نفقة ولا مورد رزق .!!

وحاول الرجل أن يقنعها بأنه لايعرفها وليس هو زوجها .!!

ولكن كيف يقنع انسانة محتالة تعرف أن دعواها باطلة ولكنها تصر على أن يتغلب جانب الباطل على جانب الحق .!!

والمهم أن الرجل لم يستطع التخلص من المرأة فقد تعلقت في ثوبه .. وتجمع الناس حولهما .. وحاول بعض المارة أن يوفق بينهما بأن يقسم المال نصفين نصف يأخذه الرجل ونصف تأخذه المرأة .. ولكن كل واحد منهما رفض هذا الحل ..

وأخيرا رأى المتجمهرون أنه لايحل مشكلة هذين الزوجين إلا قاضي البلد .. فدلوهما عليه .!!

ودخلا على القاضي .. وسمع حجة المرأة وهي أن الرجل زوجها ولها منه أولاد وقد جمع ثروته وحليتها في ثمانين جنيها ذهبيا وأراد أن يسافر إلى بلد أخرى ويتركها هي وأولادها بلا قوت ولا نقود .!!

وأنكر الرجل أن تكون المرأة زوجته وأنكر أنه يعرفها .! واستأذنت من القاضي لتأتي بالأولاد ليعرف صدق دعواها من الأولاد وجاءت بأولادها .. بعد أن أخبرتهم بالقصة وطلبت منهم أن يتعلق كل واحد منهم بالرجل ويدعوه أباه .!!

وجاء الأولاد .. وبمجرد أن رأوا الرجل الذي أمام القاضي انطلقوا إليه مسرعين وتعلقوا بثوبه ودعوه أباهم ... وحاول أن يكشف لهم أنه ليس هو والدهم ولكنه أزداد تعلقهم به .!! وتشبثهم بأثوابه .!!

ولم يبق عند القاضي شك في أنه زوج المرأة وأن الأولاد أولاده .. فلو كذبت المرأة لم يكذب الأولاد .!! وحكم القاضي بأن يدفع الرجل الثمانين جنيهاً إلى المرأة وان شاء أن يبقى معها فله ذلك أو شاء أن يسافر فلا مانع من سفره .!!

وأخذت المرأة الثمانين جنيها وخرج الرجل من عند القاضي بعد أن فقد كل شيء كان يملكه .. وبعد أن تحطمت آماله وأمانيه ومشاريعه التي كان يبنيها على هذه الثروة .!!

وصار يتجول في المدينة وهو مهموم مغموم لا يعرف طريقا يسلكه في حياته المستقبلة بعد هذه الكارثة التي أفقدته صوابه... وقوضت معنويته .!! ورأى في أحد الشوارع شجرة كبيرة وارفة الظلال فجلس في ظلها وهويفكر فيما يصنع ولايجد طريقا لعمل أي شيء ...

وكان أمام هذه الشجرة بيت كبير نظيف يكثر فيه الداخل والخارج .. وكان أهل البيت يرون هذا الرجل .. ويظنون أنه عابر طريق سوف يستريح تحت ظل هذه الشجرة ريثما يهدأ .. ويزول الحر ثم يواصل سيره .. ولكن الرجل بقي تحت هذه الشجرة شارد الفكر محطم القوى .!!

ورأته صاحبة البيت وكانت سرية غنية ذكية .. فأرسلت إليه خادمتها وقالت لها ادعي هذا الرجل للعشاء .. فذهبت إليه الخادمة ودعته ولكنه لم يجبها فقد كان في شبه غيبوبة .. وأشفقت عليه صاحبة الدار وأرسلت إليه ثانية تدعوه وتعده بأنه إذا كان لديه مشكلة فانها سوف تسعى في حلها .!!

وفرح الرجل بهذا الوعد من المرأة .. ورأى بصيصاً من الأمل في عودة ثروته ... وقام وتبع الخادمة حتى أدخلته الدار وقدمت له الطعام ثم سألته صاحبة البيت عن مشكلة فأخبرها بتفاصيلها .!!

فقالت المرأة لا عليك .. ان لدي طريقة تستطيع بها أن تستعيد نقودك من هذه المرأة مضاعفة .. فقال الرجل انني لا اريد إلا نقودي فقط ولا أريد أكثر منها ...

فقالت له المرأة .. اذهب إلى القاضي .. وقل له انني عازم على السفر كما يعلم القاضي وانني أريد أن اسافر بأولادي الكبار معي .. أما الصغار فيبقون عند امهم حتى أعود من سفري .. وانني طلبت من زوجتي أن تسمح لي بأخذهم معي ولكنها رفضت .. وأنا اريد من فضيلة القاضي أن يحكم لي بالسفر بأولادي الكبار .!!

وأرسل القاضي إلى المرأة وحكم عليها بأن تسلم له أولاده الكبار ليسافر بهم ... فرفضت بادىء ذي بدء ولكن حكم القاضي كان حاسماً نافذاً .. فطلب الأولاد وجيء بهم فسلمهم إلى والدهم والمرأة تولول وتتضجر .. ولكنه لا مناص من تنفيذ الحكم .!!

وأخذ الرجل أولاده الكبار كل واحد منهم قبض عليه بيد وسار بهم .. وأراد بعضهم أن يمتنع من الانقياد فجره بقوة وعنف .! حتى سار على رغم أنفه .. ورأت الأم ما أصاب أولادها .. وعلمت أن ما دبرت وكادت عاد عليها بالوبال .. وعرفت أيضا أن هذا الحكم لايمكن أن ينقض .!!

واذاً فان عليها أن تخلص أولادها بالطرق السلمية .. والاغراآت المادية .. ولحقت بالرجل الذي تدعي أنه زوجها وأبو أولادها .. وقالت له تعال يا زوجي العزيز .. إنك لن تستفيد من هؤلاء الأولاد .. بل انهم سيبقون عبئاً ثقيلاً عليك .. وشاغلاً يشغلك عن مهماتك وأمور حياتك .!!

فقال الرجل دعيني من هذا الكلام فليس أمامي إلا هذا

الطريق الذي سوف أسلكه مهما كلفني منِ جهد وعناء .. فقالت المرأة انني بطريق التراضي معك أريد أن أعيد إليك الثمانين جنيها على أن تعيد إلي أولادي .!!

وكانت تظن أنه سيقبل هذا العرض !. الا ان الرجل رفضه رفضا باتا .. وقال انه لا يمكن أن يغير في حكم القاضي شيئا.. فقالت له المرأة .. ان هذه أمور لا تمس القاضي .. ولاتقدح في ديانتي ولا ديانتك .. فهي مشكلة حقوق لي وحقوق لك .. اذا تراضيت أنا وأنت على طريقه لحلها .. فان ذلك حق لاغبار عليه.!!

فقال الرجل اعرضي علي حلك .. فقالت المرأة انني سوف أدفع لك ما أخذته منك وأزيدك عشرين جنيها .. فقال إنني لا أقبل هذا الحل فقد أضعت من وقتي وأعصابي الشيء الكثير كل ذلك بسببك وسبب عدوانك علي .!!

وجعلت المرأة تزيد في المبلغ وهو يرفض إلى أن بلغ ما ستدفعه إليه قدر ما أخذته منه مضاعفا فقبل الرجل لا طمعا في المال ولكن شفقة عليها لأنه رأى جزعها على أولادها .. وجزع أولادها عليها .!!

ولذلك فهو رحمة بهم لا طمعا بالمال يوافق على هذا الحل.! ويكتب الاثنان ورقة بالتراضي والقبول بهذا الحل يكون عند كل واحد من الطرفين صورة منه .. وأخذ الرجل المبلغ وهو مائة وستون جنيها ذهبيا ...

وفرح الرجل بهذا الانتصار الساحق .. وهذا الكسب الذي

ما كان يحسب له حسابا .. واهتم بهذا المال العظيم الذي يمتلكه الآن .! وخاف عليه من محتال ثان يأخذه منه .. ثم قد لايستطيع استعادته .! انه يريد أن يسافر إلى أهله بهذا المبلغ ولكن الطريق مسدود والقوافل متوقفة .. ولاطريق إلا الصبر والترقب لأول قافلة تسافر .. فيسافر معها .!!

وجعل يتجول في السوق ويتصفح الوجوه لعله يرى شخصا متدينا يودع عنده هذه الجنيهات حتى يتهيأ له طريق السفر .!!

ورأى صاحب حانوت تظهر عليه آثار الديانة والأمانة وسأل عنه فأثنى عليه كل من يعرفه .

وجاء إليه وجلس أمامه ..وقال له ان لدي أمانة أحب أن أضعها عندك مشكوراً .. حتى أحتاجها .. فرحب الرجل وقال لولا أنك رجل غريب لما قبلت أخذ هذه الأمانة منك .. لأن الأمانة عرضت على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها.. ولكنني رعاية لظروفك سوف أحمل هذه المسؤولية الثقيلة وثوابي على الله .!! فدعا له الرجل بالتوفيق وسلم إليه الأمانة .. وذهب في حال سبيله .!!

ومضت مدة من الزمن وعلم الرجل بأن قافلة سوف تسير إلى حيث يريد وذهب إلى الأمين في حانوته .. وسلم عليه .. وقال له أعطني الأمانة التي لديك شكر الله مساعيك .!! فقال له الرجل وأي أمانة تقصد .؟! ورأى صاحب الأمانة أن صاحبه الآن ليس صاحبه الرقيق المتدين الورع سابقا .. بل رأى وجها صارما .! وملامح فضة .. وسمع كلاما صلبا وعبارات تتم

على الغدر والخيانة .!!

فقال صاحب الأمانة إنها صرة الذهب التي وضعتها عندك في اليوم الفلاني وفي الساعة الفلانية .. وهي مربوطة في خرقة من لونها كذا كذا .. وجعل يصف له هذه الصرة وينعتها بنعوت تميزها عن غيرها .!!

فقال الرجل بكل برود واصرار : انني لا أتذكر شيئا من هذا النوع .. وأحس صاحب الأمانة بأنه قد وقع ثانية في مشكلة لا يدري هل يتخلص منها بسهولة أم يروح ذهبه هباءاً.!!

وأعاد القول على صاحب الحانوت يصف له الصرة ويذكره ببعض العبارات والكلمات المتبادلة بينه وبينه وعند تسليم الأمانة.. ولكن الرجل تجاهل كل شيء تجاهلاً تاماً .. وقال انني لا اذكر شيئاً مما تقوله بتاتاً .!!

وأسقط في يد صاحب الأمانة .. وكاد أن يتسرب اليأس إلى نفسه .! لولا أنه تذكر في هذه المناسبة تلك المرأة التي أنقذته في المرة الأولى .. وليس أمامه الآن إلا أن يذهب إليها .. ويطلب مساعدتها في هذه الكارثة الجديدة .!!

وذهب ودق الباب فخرجت إليه الجارية التي عرفته وعرفها.! وقالت له ألم تسافر بعد .؟! فقال الرجل لقد تأخرت القافلة واضطررت إلى الانتظار وحدثت لي في هذه الأثناء مشكلة جديدة فارجو أن تخبري سيدتك بوجودي عند الباب.!!

فذهبت الجارية إلى سيدتها مسرعة وأخبرتها بوجود الرجل الغريب عند الباب . وأن لديه مشكلة جديدة .. وقالت السيدة لجاريتها أدخليه في الدار فدخل وسألته وهو شارد اللب محطم القوى فأخبرها بما حدث له مؤخرا فقالت له المرأة لا عليك .. كن واثقاً ومطمئناً بأن نقودك سوف تعود إليك فلا تشغل بالك بها .!!

فاطمأن بال الرجل بعض الشيء .. وقالت له المرأة اذا جاء الغد فإني سوف أذهب إلى صاحبك فاذا دخلت عليه ومكثت عنده ما يقرب من ربع ساعة فاستأذن عليه وادخل وقل له انني عازم على السفر وأريد الأمانة التي وضعتها عندك.. فانه سوف يعطيكها حالاً .!!

وانصرف الرجل من عند المرأة وهو بين المصدق والمكذب في نجاح مساعي المرأة .. إلا أن المرأة كانت تتكلم كلام الواثق من نفسه العارف بالطريق .. ونتائج سلوكه .. وجاء الموعد المحدد .!! فكان صاحب الأمانة يراقب الداخل والخارج في بيت جاحد الأمانة ..

وجاءت المرأة فدخلت .. فاستقبلها الرجل استقبالاً كريماً.فقالت له انك تعلم أن زوجي مسافر وأن بيتنا ليس فيه إلا نساء لا يستطعن أن يدافعن عن أنفسهن لو سطاً عليهن ساط .. وعندي حلية ثمينة أحب أن أضعها عندك كأمانة حتى يأتي زوجي.!!

فأظهر الرجل استعداداً لتحمل هذه الأمانة .. وقال انني

مستعد كذلك بالقيام بأي لازم تحتاجونه .. وعندما وصلا إلى هذا الحد من التفاهم .. استأذن صاحب الأمانة ودخل عليهم.. وقال انني أريد الأمانة التي لديك .. لأنني عازم على السفر اليوم .. فقام الرجل مسرعاً أمام المرأة .. وجاء بأمانة الرجل وسلمها إليه .. فلما استلمها وخرج .. وهمت المرأة بالخروج جائتها جاريتها مسرعة فرحة مستبشرة .. وزفت إليها خبر قدوم زوجها من سفره .. فصفقت المرأة سروراً وبهجة بقدوم زوجها.!! وصفق الرجل الأمين أسفاً وحسرة على فوات الأمانة الأولى.!! وفوات الأمانة الثانية.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

مما قالت الجازي السبيعية

لقيت بأكل السم يا عم راحة
أخير من زحل بليتن بلاماه
شفى سبيعي يتالي طياحه
أخير من قصر ابن عسكر ومبناه
إن مت حطوني بوسط البياحه
قبري على درب المظاهير تاطاه

من كتاب «شاعرات من البادية»



مثل شعبي وقصته :-

قال رقع يا بو مرقع قال ذاشي ما ينترقع

كان في الزمن الماضي عالم كبير قد انتشر صيته .. وتناقلت أخباره الركبان .. وكان له والد يحب أن يتظاهر بالعلم وأن يبدو أمام الناس قريبا من ولده في الاطلاع وسعة المدارك.!!

ورحل هذا العالم هو و والده إلى احدى المدن فحل فيها ضيفا على أحد كبار القوم فاحتفى به واكرمه والتف الطلاب على هذا العالم يغترفون من بحار علمه .. والتف بعضهم على والده فهم يتصورون أن الوالد لا يقل فضلا وعلما وعقلا عن ولده إن لم يفقه.!!

وكان العالم يعرف من والده حب التظاهر .. كما أنه يعرف منه القصور في العلم والمدارك .. فوكل به أحد الطلاب الأذكياء وقال لوالده اذا سألك أحد عن أي مسألة من مسائل العلم فقل:- إن للعلماء فيها قولين .. ثم أحل الشرح والايضاح.. إلى الطالب الذي سوف يلازمك في مثل هذه

المناسبات.!!

سار الوالد على هذا المنهاج .. وكان كلما سئل عن مسألة من مسائل العلم قال إن للعلماء فيها قولين ثم أحال الشرح والتفصيل للتلميذ المرافق له.!!

واستمر على هذه الحال مدة طويلة من الزمن لا يكتشف أمره.! وأخيرا لاحظ أحد الطلاب الأذكياء أن والد هذا العالم لا يعرف من العلم شيئا .. وأنه يلازم تلك الجملة خوفا من انكشاف أمره فقال زملاؤه لا نعتقد أن عالماً فحلاً يكون والده جاهلاً.!!

فقال الطالب الذكي انني سوف أكشفه لكم حتى تتحققوا صدق فراستي .. واجتمع الطلاب والمعجبون يوم عند والد العالم.. ووجه اليه الطالب الذكي هذا السؤال :-

أفي الله شك .؟! فقال والد العالم جملته الروتينية أن للعلماء في ذلك قولين .. ولاحظ الشيخ أنه أخطأ .. ولكنه قد فات الأوان لاستدراك الخطأ.!! وقال لمرافقة رقع يابو مرقع فقال الطالب ان هذا شيء لا يمكن ترقيعه .!!

وانكشف المغطى وزال الزيف.!! وعاد كل شيء إلى أصله وإلى وضعه الطبيعي.!!

★ ★ ★

سالفـــــة :

٧- الفتاة التي اغتصبت عفافها وحملت

قال أحد الأطفال الكبار في هذه الليلة انه هو الذي سوف يقص عليهم سالفة الفتاة التي اغتصبت عفافها وحملت .. فقالت الجدة تفضل وقص علينا هذه السالفة :

فشرع الطفل في سرد سالفته قائلا :-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي والى هنا هاك الرجال اللي متزوج وله ثلاثة أولاد وبنت .. وكبر الأولاد فزوجهم والدهم جميعا .. وكبرت الفتاة وبلغت مبلغ النساء .. فصارت تعمل في بيت والدها فتحطن الطحين وتخض الحليب حتى تخرج زبدته .. وتأتي بالماء المالح وبالماء العذب من الآبار المعتادة .!!

وفي ذات يوم وكانت خارجة تريد أن تأتي بالماء العذب من بئر تبعد عن البلدة قليلا .. ويقع في الطريق إلى هذه البئر غابة من الاثل كثيفة .. كان ينتظر هذه الفتاة رجل قد رآها فاشتهاها.. وعندما جاءت بحذاء الأثل اختطفها وحملها بين يديه

وتعمق بها داخل الأثل .. وقضى أربه منها ثم راح وتركها.!!

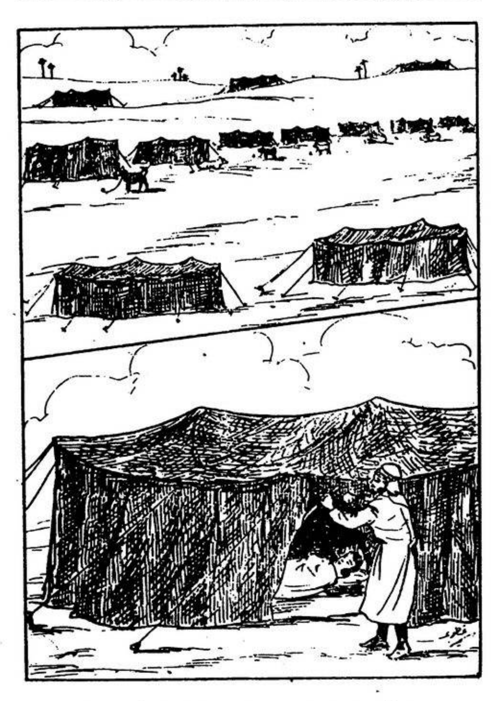
وقد استطاعت الفتاة في لحظة من غفلاته أن تنزع خاتمه الذي فيه اسمه واسم قبيلته من أصبعه وأن تحتفظ به لنفسها.. ومضى شهر وشهران وثلاثة وبدأت الفتاة تحس بأعراض الحمل.. وبدأ بطنها يكبر.!!

وعلمت الفتاة أنها حبلى .. واحتارت في أمرها .. إنها تعيش في وسط محافظ إلى أقصى الحدود .. ولو علم والدها واخوتها بما حدث لكان مصيرها الموت .. فماذا تصنع اذاً .؟!

لقد تظاهرت بالمرض ولزمت فراشها وهي تفكر في وضعها ليل نهار وتبحث عن مخرج من هذه المعضلة التي وقعت فيها.. وطال تفكير الفتاة دون أن تصل إلى حل ترضى به .. وأخيراً وجدت الحل انه أن تتظاهر أيضاً بأن في أصبعها ورم مقلق لايتركها تهدأ ولا تستريح.!!

وجاء الليل وهي تتظاهر بأن الورم لايترك لها فرصة للنوم أو للراحة.!! وعندما انتصف الليل دقت الباب على أخيها الكبير الذي ينام مع زوجته فلم يكلمها أحد بل كانوا في نوم عميق لا يحسون معه بأي صوت أو أيه حركة.!!

ومضت الليلة الأولى وجاءت الليلة الثانية .. فذهبت إلى أخيها المتوسط في منتصف الليل أيضا ودقت الباب عليه فوجدته مثل أخيها الأكبر فتركته وذهبت لتنام .. وجاءت الليلة الثالثة فدقت الباب على أخيها الصغير .. فقام مذعورا وخرج إليها وسألها عن حالها.!! وما هو الأمر الذي أزعجها.!!



ويدخل أخو الفتاة المعتدى على عفافها على أخت المعتدي
فينام معها.. على فراش واحد ولكن بعفاف وشرف.!

فأخذته بيده ... وانتحت به جانباً من البيت وقالت له يا أخي العزيز انني أعيش في مشكلة عويصة لا أستطيع الخروج منها إلا بمساعدتك وغيرتك وكتمانك .. فقال لها أخوها ما هي مشكلتك .!! أخبريني بها فليس هناك شيء يستعصى على الحل.. فقالت الفتاة انني أريد منك قبل أن أخبرك بها أن تعاهدني على صيانة سري .! وعلى مساعدتي في التغلب على مصيبتي .. فعاهدها أخوها على حفظ سرها .. وعلى مساعدتها على الخروج من مشكلتها .. فأخبرته أخته بما حدث.. كما حدث .!!

وطيب أخوها خاطرها .. وقال كوني مطمئنة الي .. فان سرك محفوظ .. ومشكلتك سوف تحل بإذن الله .!!

وفرحت الفتاة بهذه الروح المتسامحة الكريمة التي قابلها بها أخوها .! كما انزاح عن كاهلها عبء كبير بالبشرى بأن أخاها سوف يجد حلا لمشكلتها ونامت الفتاة تلك الليلة قريرة العين هادئة الأعصاب .!!

فقد كانت تحمل الهم كله فوق رأسها .. وتكتم سراً كاد أن يحرق أحشاءها .. أما الآن وبعد أن أخبرت أخاها ووجدت منه التفهم والعون فقد انزاح الهم عن صدرها وأحست احساساً غريباً بأن مشكلتها كأنها لم تكن .!!

وجاء الصباح .. وقال الأخ لأخته اجمعي ما خف من ملابسك وأغراضك .. فاننا سوف نسافر أنا وإياك إلى مكان بعيد .!!

وجمعت الفتاة أغراضها وأعدت نفسها كل الاعداد ..

وداخلها بعض الشك في أخيها ولكنه كان شكاً ضعيفاً .. فقد يكون سفره بها ليقضي عليها في مكان قصي لا تتسرب منه الأخبار .!! وقد يكون سفره بها ليلقي بها في مجهل من مجاهل لصحراء فيتركها للجوع والعطش والسباع تمزقها شر ممزق .!!

لقد دارت هذه الأفكار في ذهنها .. ولكنها كانت احتمالات ضعيفة جداً بالنسبة إلى ما أحست به احساساً داخلياً من أن أخاها سوف يستر عليها هفوتها وسوف يخرجها من مشكلتها وستعود الأمور إلى مجاريها في هدوء وسكون .!!

وجاء الليل وأوى كل فرد من أفراد الأسرة إلى فراشه وقام الأخ الأصغر وكان قد أعد كل شيء فأخذ أخته وأغراضها .. وأركبها معه على الراحلة وسار بها في ظلام الليل .. ولم يشعر بسفرهما أي انسان .. وواصل السير من بلد إلى بلد .. حتى جاء إلى بلد ظن أن أخباره وأخبار أخته فيها سوف تنقطع عن أهله وعن أهل بلده .!!

وبحث عن بيت فاستأجره .. وبقي هو وأخته في هذه البلدة وقال لها من سألك من تكونين بالنسبة الي فقولي انني زوجته .. وبقي هو وأخته إلى أن جاء موعد الوضع .. فأتى إليها بعجوز ساعدتها في هذه الحالة .. وولدت الفتاة ولداً ذكراً .. وفرح كل من الأخوين بهذه النتائج الطيبة .!!

وبعد سبعة أيام من وضع الغلام غسلته أمه وألبسته ثياباً نظيفة وأرسلته إلى خاله ليراه .. ووضعت في اصبع يده خاتم والده فقبل الخال الطفل وضمه إلى حضنه .. ونظر إلى الخاتم فأخذه وقرأ ما كتب عليه فعرف أبا الغلام وعرف قبيلته وأخذ

الخاتم فاحتفظ به .!!

ثم اشترى لأخته جميع ما تحتاج إليه .. وأوصى بها جيرانها.! وأوصى بها العجوز التي كانت عندها وقت الولادة .. وسافر يسأل عن مضارب القبيلة التي يكون صاحب الخاتم أحد أفرادها .!!

وقرب من مضارب القبيلة ومر ببيت عجوز فطلب منها أن تسقيه ماءاً فجاءت له بما طلب وعندما شرب ألقى في قعر الاناء جنيها ذهبيا وأعاده إلى العجوز ونظرت العجوز إلى الجنيه فقالت للشاب ان في الاناء جنيهاً .. وانه لا بد أن يكون لك مشكلة فأخبرني بها فانني لن أدخر وسعاً في مساعدتك على حلها.!!

فأخبرها بمشكلته وأخبرها بما صمم عليه .. وهو أن يخلو بأخت هذا الرجل كما خلى هذا الرجل بأخته .. فقالت العجوز ان والد هذا الرجل له سبعة أولاد وله ابنة واحدة من أجمل أهل زمانها .. ووالدها يحوطها بحراسة مشددة جداً .!!

فهو يسكنها في خيمة وحدها ثم يجعل دونها سبع خيام كل خيمة فيها حراس وكلب ولذلك فانني أرى أن من الصعوبة بمكان أن تصل إلى هذه الفتاة .!! فقال الرجل انني مصمم على الوصول اليها بأي ثمن حتى ولو كان في ذلك نهاية حياتي.!!

فقالت العجوز .. اذا كنت مصمماً .. فان الطريق أمامك شاق ووعر .. ولكن علي أن اساعدك بالقدر المستطاع .. وذلك بأن أذبح سبعة خراف وأعطيك رؤوسها .. فاذهب إلى الحي .. فاذا جئت عند الحارس الأول فان الكلب سوف ينطلق

اليك ليعضك .. فاذا قرب منك فاقذف اليه واحداً من الرؤوس.. فانه سوف ينشغل به ويتركك تذهب في طريقك .!!

ثم سوف يعارضك الكلب الثاني فاصنع معه مثل ما صنعت مع الكلب الأول .. وهكذا مع الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع .. فاذا وصلت إلى خيمة الفتاة فتصرف كما تشاء .!!

وفعل الرجل مثل ما قالت له العجوز وأخذ السبعة الرؤوس وقرب من الخيمة الأولى فانطلق إليه كلب ضار فلما أقبل عليه رمى إليه بالرأس الأول فعدا على الرأس وجعل ينهش من لحمه.. ويلحس من بقايا دمه .. وانشغل بالرأس.!!

وسار الرجل في طريقة وجاء إلى الخيمة الثانية والثالثة إلى آخرها .. فلما وصل إلى الخيمة السابعة وجدها مختومة وأن بابها مقفول .. وكان معه سكين حاد فخرق الخيمة من أعلاها خرقاً على قدر حاجته .. ثم قفز منه فاذا هو داخل الخيمة أمام الفتاة التي كانت نائمة .!!

فلم يكن منه إلا أن رفع اللحاف وتمدد حذاء الفتاة فوق فراش واحد وتحت لحاف واحد وشعرت الفتاة بالجسم الغريب الذي بجوارها وسمعت تردد الأنفاس تحت لحافها فأرادت أن تنهض وتصيح .!!

ولكنه قبض على يدها .. وقال لها نامي وعليك الأمان .. فأنا لا أريد بك شراً .. واذا صحت فضحت نفسك وفضحتني.!!

فسكتت الفتاة ونامت ونام بجوارها لايحرك ساكناً.!!

وجاء الصباح .. وكان من عادة الفتاة .. أو من عادة أهل الفتاة .. أن يرسلوا إليها في الصباح جارية توقظها من نومها ويكون معها اناء مملوء بحليب ناقة بكر .. وجاءت الجارية على عادتها في ذلك اليوم ... وفتحت الخيمة على عمتها .. ونظرت فرأت شيئا لم تألفه من قبل .!! انها ترى تحت اللحاف أربع أرجل .!!

ووضعت الاناء وفركت عينيها .. فلعل عينيها قد كذبتها.!! وأعادت النظر وإذا هي ترى أربع أرجل .. فلم يكن من الجارية إلا أن وضعت الحليب في طرف من أطراف الخيمة وذهبت مسرعة إلى عمتها والدة الفتاة ولم تتجاسر أن تقول اني رأيت رجلا ينام معها في فراشها .!! بل قالت يا سيدتي لقد رأيت تحت لحاف عمتي الصغيرة أربع أرجل .!!

وعرفت والدة الفتاة ما تعنيه الأربع أرجل .. فذهبت مسرعة إلى زوجها والد الفتاة .. فأخبرته بالخبر وهي خائفة مذعورة .! وسمع الأب هذا الخبر السيء ... وفكر فيه ملياً .!! ان الرجل الذي بقي عند ابنته حتى الصباح ليس سارقاً ولا زانياً.. فلو كان كذلك لما بقي في الخيمة إلى هذه الساعة من النهار .!! واذاً فإن له سراً لا بد من اكتشافه .!!

وجمع الوالد أولاده السبعة .. وقال لهم لقد خطرت على بالي في الليلة البارحة بعض مغامراتي في أيام شبابي .. وما كنت أعمله وأقوم به من المغامرات والمغازلات وملاحقات النساء .. وهذه ذنوب وهفوات .. إلا أن الشاب له عذره في ارتكابها .!!

وقد كبرت وتزوجت وتبت وندمت على تلك المغامرات...

إلا أن بعض تلك المغامرات لايزال عالقاً في ذهبي ولاتزال ذكراه تحتل مكاناً بارزاً من قلبي .!!

هذا هو شبابنا نحن الجيل السابق أما أنتم أيها الجيل الجديد فانني لا أرى إلا خمولاً وكسلاً وهدوءاً هو إلى التبلد أقرب منه إلى الرزانة والتعقل ... وإلا فاخبرني ما هي مغامراتكم .. وما هي القصص التي صنعتموها في شبابكم لتكون لكم ذكريات في أيام شيخوختكم .؟!

ووجه السؤال للابن الكبير .. فقال معاذ الله أن نطارد بنات الناس أو أن نعتدي على عفاف أحد منهن .!!

وقال الثاني مثل ما قال الأول .. وهكذا كلهم نفوا أن يكون لديهم شيء من أمثال هذه المغامرات التي يسألهم والدهم عنها .! حتى جاء الدور إلى الصغير .!!

ونظر إليه والده كأنه يريد منه الكلام .. وأراد الصغير أن يخبر والده أنه ليس أقل منه اقداماً ومغامرة .!! وأراد أن يكون له الفضل على إخوانه .. فقال له أنا يا والدي لي بعض المغامرات في هذا المجال .!!

فقال له والده قص علينا بعض مغامراتك لعلها توقظ بعض هؤلاء الأموات .. وأشار إلى أولاده الباقين اخوان الشاب .!! فقال الشاب : لقد كنت ذات يوم في القرية الفلانية .. ورأيت شابة على رأسها قدرها .. ذاهبة إلى بئر لتملأ قدرها منه ورأيتها منفردة .! وبقرب أثل كثيف فاخذتها بالقوة وتوغلت بها داخل الاثل .!! وقضيت أربي منها .!!

وعندما وصل الابن إلى هذا الحد من حديثه .. تغيرت ملامح وجه الأب .. وظهرت بوادر الغضب على اساريره وقال لابنه الصغير في نبرات كلها ثورة وغضب .!!

انظر إلى نتيجة عملك هذا .. واذهب الى اختك في خيمتها لترى ما هنالك .. انه رجل ينام مع أختك .. وهو ولا شك أخو الفتاة التي اغتصبت عفافها .!!

إن عليكم أن لا تمسوه بسوء .!! بل أكرموه واحتفوا به ثم اذهب معه ابها المغامر الصغير إلى أهله .. وتزوج بأخته .. ثم عودوا إلينا أنت وهو و أخته ... وإذا كان له رغبة في أختك زوجناه إياها .!!

وذهب الابن الأصغر مع أخو الفتاة فعقد له عليها عقد النكاح .!! فكانت هي أم أولاده وهو أبو أولادها .!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت .!!



قصة مثل :-

نار ابن غنام

كان ابن غنام هذا اذا جاءه الخصمان قال للمتهم منهما انني أريد أن أدخل هذه الحديدة في النار فاذا حميت واحمرت وضعتها على لسانك فان كنت بريئاً لم تمسك بسوء .. وإن كانت التهمة صحيحة .. فان الحديدة سوف تعلق بلسانك .؟؟

وعن طريق هذه الحيلة يخرج البريء من المسيء .. ويميز الخائف من الآمن ...

ذلك أن المجرم يجف ريقه فتعلق الحديدة المحماة في لسانه.. أما البريء فانه يكون مطمئنا .. غير جاف الفهم ولا اللسان .. بل ان ريقه يسير في فمه وفوق لسانه كالعادة .. ولذلك فان الحديدة المحماة يطفيء لظاها الريق واللعاب المتوفر فوق اللسان وفي جوانب الفم .!!

وهذا المثل يضرب لمن تدعوه إلى الحق ويدعوك إلى الباطل ومن تريد أن تسلك به طريق العدالة .. فيأبى .!! ويريد أن يسلك بك طريق الجور و الضلال .!!

سبحـــونة

٨- العجوز مع الشيطان

«رويت أصل هذه السالفة عن الأخ العزيز الأستاذ محمد الطويل وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

قالت الجدة للأطفال عندما اجتمعوا عندها انني سوف أقص عليكم سالفة العجوز التي تخاصمت هي والشيطان وتنافسا لأن أعمالهما تتشابه.. فهي مبنية على المكر والحيلة والايقاع بين الناس.!!

وتعلمون أن أهل الصنعة الواحدة دائماً يقع بينهم التنافس والتناحر فيتساقط الضعفاء ويبقى الأقوياء!! وأريد كذلك أن تعرفوا أن العجائز لا يستهان بهن.. ولا يستخف بمكرهن إلا جاهل مغرور.! فهن وإن كن فقدن كثيرا من قواهن البدنية.. إلا أنهن قد عوضن عما فاتهن من هذه الناحية بقوى معنوية هائلة قد تكون في بعض الحالات خارقة للعادة.!!

فاشتاق الأطفال إلى هذه السبحونة بعد هذه المقدمة الجذابة.! والعبارات الخلابة.. وقالوا بصوت واحد قصي علينا هذة السبحونة وأسرعي.!

فقالت الجدة حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك المرآة!! العجوز في هاك البلد.. وكانت ذات حيل مدهشة.!! وطرائق في المكر لا تجارى!! وقد نافست الشيطان في عمله وعطلت عليه كثيرا من حيله وألاعيبه.!!

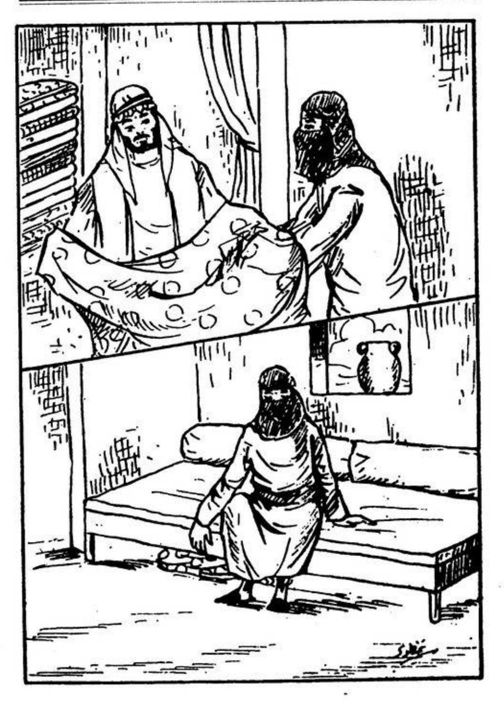
فجاء إليها الشيطان ذات يوم.. وقال لها إما أن تتركي لى البلد واما أن أتركها لك.. فقالت العجوز أما أنا فلست تاركة بلدي.!! وأما أنت فلا أقول لك اترك البلد هذه أو لا تتركها.. وانما اذا كان الأفضل لك مغادرة بلدي فالأمر اليك.!!

فقال الشيطان إن عندي رأياً.!! فقالت العجوز وما هو.؟! فقال الشيطان أن توجدي أنت أو أوجد أنا بعض المشاكل والفتن.! ثم يسعى الثاني منا في حل هذه المشاكل وإعادة المياه إلى مجاريها.. فالذي يعيدها هو المنتصر.. وهو الذي يبقى في هذه البلد.!!

فوافقت العجوز على هذا الحل.. وقالت له: هل تعمل المشاكل فأحلها أم أعملها أنا وتحلها أنت.!!

فقال الشيطان أنت اعملي المشاكل.. وأنا أحلها.!

وافترقا على أن تعقد العجوز أمورا يحيلها الشيطان وذهبت



وجاء التاجر فوجد القماش الذي اشترته العجوز لحبيبة ولدها في بيته.. فطرد زوجته من الدار.. غير شاك أنها هي حبيبة ولد العجوز.!!

العجوز إلى تاجر من تجار الملابس وقالت له اختر لي نوعا طيبا فريدا من الملابس.. فان لابني حبيبة.. وقد طلب مني شراء ملابس نادرة لهذه الحبيبة مهما كان ثمنها .!!

فأخرج التاجر لفافة من القماش الفاخر .. وقال لها ان هذه البضاعة طيبة ونادرة وهي حديثة الصنع حديثة الورود .. فاشترت العجوز تلك اللفافة ونقدته ثمنها .. وذهبت في سبيلها.!!

وجاءت إلى بيت هذا الرجل التاجر وقرعت الباب ففتحت لها زوجته فسلمت العجوز عليها .. وقالت لها يابنيتي إن لي عادة أن أصلي صلاة الضحى في هذا الوقت وبيتي بعيد وأريد أن تاذني لي في الدخول عندك لتادية هذه السنة قبل فوات وقتها.!!

فرحبت بها المرأة وأوسعت لها الباب وقادتها إلى غرفة نومها مع زوجها وأجلستها على فراش منامهم وذهبت لتعد ماء الوضوء لصلاتها والقهوة لاكرامها ..

وفي هذه الأثناء رفعت العجوز الوسادة وأخفت لفافة القماش تحتها .. ثم قامت فتوضأت وصلت وشربت القهوة ثم انصرفت .! وتركت القماش تحت الوسادة .!!

وجاء زوج المرأة على عادته .. وحان ميعاد النوم فاضطجع على فراشه .. وأحس أن وسادته عاليه أكثر مما عهد .. وكشفها وكشف ما تحتها وإذا به يجد لفافة القماش التي اشترتها العجوز هدية لامرأة تهوى ولدها ويهواها ولدها .!!

وبهت الرجل وأثارته تلك المفاجأة .!! واعتقد جازما أن زوجته قد خانته مع ابن هذه العجوز فسكت على مضض .. ولما جاء الصباح قال لزوجته :

اجمعي أغراضك الخاصة .. فانني سوف أذهب بك إلى أهلك .. فسألته عن السبب أو الداعي إلى هذا الأمر فلم يجبها.. وحاولت أن تكتشف حقيقة الأمر .. ولكن الرجل لاذ بالصمت المطبق .!!

ولم يكن أمام المرأة إلا أن تقابل الصمت بصمت مثله وأن تسعى في الطريق الذي يريده زوجها حتى ينجلي الموقف .. وتظهر الأسباب والمسببات .!!

وأخذ الرجل زوجته وأبقاها عند أهلها دون كلام .. وصمم على طلاقها .. إلا أنه أحب أن لا يتسرع فليس في التسرع مصلحة عاجلة ولا آجلة .!!

هذه عقدة من عقد العجوز أو مشكلة من المشاكل التي أوجدتها ...

أما المشكلة الثانية فهي أن العجوز ذات يوم علمت أن أمير البلد مدعو إلى حفلة في الشارع الذي تسكن فيه العجوز .. وكان طريق الأمير يمر من عند بابها وعلمت بموعد مروره .. فأعدت خليطا من الأطياب الفاخرة والأصباغ الجذابة .. وعندما مر الأمير ببابها .. صبت تلك الأصباغ والأطيياب .! مع المرزاب.!!

وأصيب الأمير ببعض الرذاذ .. وسأل أهل البيت عن هذا الذي انصب هل هو طاهر أم نجس .؟! فكلمته العجوز من عند الباب وقالت انها ابنتي العفريتة .. مجزورة العمر .. لقد نهيتها عدة مرات عن تنظيف شعرها في مثل هذه الأوقات .. ولكنها تتجاهل نصائحي وتعمل كما تهوى ..!!

وشم الأمير روائح ذكية من ذلك الماء المنصب في الشارع

وسرى خياله إلى الشابة التي هذا وسخ رأسها كيف تكون هي.؟!
والمهم ان الأمير ذهب إلى الحفلة وهو مشغول الفكر بهذه الفتاة التي أصابه من وسخ شعرها ما أصابه .!!

وجاء الغد وأرسل الأمير رسولا إلى هذه العجوز يخطب ابنتها للأمير .. فهلت العجوز ورحبت .. وقالت انني لم أرب ابنتي إلا له ولأمثاله .. وأنا موافقة كل الموافقة على هذه الخطبة المباركة .!!

وعاد الخاطب إلى الأمير مبشرا بنجاح مسعاه وأخبره أن العجوز هلت ورحبت .. ووافقت على هذا الزواج .!!

فسر الأمير وفرح .. وأرسل إلى العجوز أنواعا من التحف والهدايا والأرزاق .. وملأ بيت العجوز من كل خير ... وعقد عقد الزواج للأمير على هذه الفتاة التي لا وجودها وعينت ليلة الزفاف.. وطبعت البطاقات ووزعت الدعوات لحضور حفلة الزفاف .!!

وذهبت العجوز إلى الشيطان .. وقالت له : أمامك الآن مشكلتان مشكلة زوج فارق زوجته الموجودة وزوج عقد زواجه بامرأة لا وجودها .!!

وفكر الشيطان تفكيرا طويلا ثم قال والله انني لا أجد حلا لواحدة منهما فكيف بهما جميعا ..

وقالت العجوز : إذا استطعت أن أحل هاتين المشكلتين فهل تترك لي البلد .؟! فأجابها الشيطان بنعم .. وتعاهدا على ذلك.!!

وذهبت العجوز في اليوم الثاني ومعها سبحتها وسجادة صلاتها .. ودقت الباب الذي تركت فيه لفافة القماش ففتح لها الزوج فسلمت عليه. وقالت لقد جئت إلى هذا البيت منذ أيام ونسيت فيه لفافة ثياب كنت اشتريتها لابني ليهديها إلى

خطيبته.. فأرجو أن تبحثوا عنها وتسلموها إلى .!!

وعندما سمع الزوج هذا الكلام انزاح عن صدره هم ثقيل كان يجثم عليه .. وذهب مسرعا وجاء باللفافة وسلمها للعجوز وهو يحمد الله على سماع هذا النبأ السار الذي علم منه أن زوجته بريئة مما ظن فيها .!!

ثم ذهب مسرعا إلى أصهاره ودق عليهم الباب ففتحوا له.. ودخل وطلب مقابلة زوجته وكان من حسن حظه أنه لم يتسرع بطلاق.. ولم يتسرع بكشف ظنونه واتهاماته لا لزوجته ولا لأهل زوجته.!!

وعندما قابل زوجته وجها لوجه .. عاتبته عتابا قاسيا وقالت له لقد تصرفت معي في ذلك اليوم تصرفا شاذا لا أعرف له سببا فاعتذر إليها زوجها وقال صحيح أنني تسرعت وأنني تصرفت معك تصرفا غير لائق والسبب في ذلك أنني كنت في حالة من توتر الأعصاب التي لا ذنب لك في توترها .. فتصرفت ذلك التصرف الخاطيء وأنا أعتذر منك .!!

كما أنني مستعد بمنحك ما تطلبين كرد اعتبار لك مما عملته في حقك .!!

فطاب خاطر الزوجة وقالت انني لا أطلب منك شيئا معينا ولكنني أترك الأمر لذوقك ولحسن اختيارك .!!

وأخذ الزوج زوجته إلى داره .. وأعطاها ما أرضاها وعادت الأمور إلى مجاريها في هذه المشكلة .!!

وبقيت المشكلة العويصة التي هي مشكلة الأمير وزوجته التي لا وجود لها .. وقد قرب موعد ليلة الزفاف .. وانتهت جميع الاستعدادات لهذه الحفلة وأدارت العجوز فكرها .. ونثرت

جعبة مكرها واحتيالاتها واختارت منها واحدة .!! وهي أنها أخذت جذع نخلة وحملته على رأسها .. وذهبت به إلى بئر في وسط البلد وقريبة من المسجد .. وكان القوم في الصلاة .. فرمت بالجذع في وسط البئر .. فصار لارتطامه بالماء صوت ودوي في آذان البعيدين والقريبين على حد سواء .. وصاحت العجوز صيحة منكرة .!! وقالت ابنتي .. أدركوا ابنتي .. لقد وقعت ابنتي في البئر .!

وخفف الامام من صلاته .. واجتمع القوم حول العجوز يسألونها عن جلية الخبر .. وعلى رأسهم أمير البلد .. وزوج الشابة التي سقطت .!! كما تزعم العجوز .!!

فأخبرتهم العجوز كيف سقطت إبنتها .. وجعلت تصيح وتندب حظها .. وانتدب الأمير أحد ثقاته للنزول في البئر وأخراج الفتاة .!!

فقالت العجوز لا والله لا ينزل إلى إبنتي إلا أنا .. فانني لا يمكن أن أترك أحدا يراها وهي بهذه الحالة ...وقال الأمير لخالته العجوز .. انك ضعيفة الجهد وأخشى أن لا تستطيعي عمل أي شيء بالنسبة لها .!!

فقالت العجوز مهما كان فانه لا يمكن أن ينزل اليها وهي في هذه الحالة إلا أنا .. فوافق الأمير أمام اصرار خالته على أن تنزل هي لاستخراج ابنتها .!!

وأعد للعجوز الواح من الخشب وربطت في أطرافها الحبال وجلست عليها .. وانزلت إلى قعر البئر ... وكان في غار من غيران البئر .. ولد من أولاد الجن قد أصيب بورم خبيث في حلقه فسد مجرى الطعام والشراب .! حتى أنه لا يستطيع أن

يأكل ولا أن يشرب وقد عولج بكل علاج فلم يفد .. وجيء إليه بكل طبيب فلم يشف .! وأخيرا يئس منه أهله وتركوه في ذلك الغار حتى تأتيه منيته .!!!

وعندما رأى هذا الطفل المريض تلك العجوز.. وقد انكشفت عورتها.. وظهرت له من خلال تلك الألواح شيء يضحك الثكلى لم يتمالك نفسه فضحك ضحكة كبيرة من أعماق قلبه على ذلك المشهد الغريب الذي رآه يمر من أمامه.!!

وقد ارتج كل بدنه من تلك الضحكة.. وارتج بارتجاج بدنه ذلك الورم الخبيث الذي يسد حلقه .. فانفجر.. وخرجت منه جميع المواد التي كانت تملأه.. وانفتح حلق الطفل وطلب الطعام والشراب فأكل وشرب.. ودبت الحياة في جسمه.!!

وفرح أهله فرحا شديدا بنجاته من الموت بعد أن كان ميؤسا منه.. وسأله أهله عن سبب ضحكه وشفائه.؟!

فقال لهم إنه هذه العجوز.. وأشار إليها في قعر البئر.. فجاء الجن إلى العجوز وقالوا لها لقد شفي ولدنا بسببك وقد كان ميئوساً من حياته.. والآن اطلبي منا ما تشائين.؟!

فقالت العجوز ان طلبي هو حل مشكلتي مع أمير البلد.. وهي إيجاد عروس يدخل عليها في الوقت المحدد.. فقال لها أهل الجني المريض الذي شفي.. ان طلبك مجاب حالاً.!!

وأخرجوا لها فتاة كأنها فلقة القمر .!! وصاح الناس بالعجوز من أعلى البئر بشرى .! بشري.!! لعل ابنتك سالمة .. فقالت لهم أبشروا .!! أبشروا .!! انها سالمة .!!

ودليت الحبال وأخرجت الفتاة أولا ثم أخرجت العجوز على أثرها وتزاحم الناس على تهنئة العجوز بسلامة ابنتها .. فتقبلت

تلك التهاني بوجه هاش باش .. ورباطة جاش .!!

وقالت للأمير في أذنه عندما جاء يهنئها .. ان ابنتي ولله الحمد لم يصبها شيء من الأضرار فهي معافاة سليمة .. ونحن على موعدنا في تحديد ليلة الزفاف .!! ففرح الأمير بهذا الخبر الذي كان مفاجأة له .! فقد ظن أن ليلة الزفاف سوف تتأخر باسباب هذا الحادث المؤسف .!

وذهبت العجوز إلى الشيطان .. وقالت له كيف رأيت .؟! وهل عادت الأمور إلى مجاريها .؟! فاعترف الشيطان بدهاء العجوز وسعة حيلتها .!! وانها بلغت من المكر حدا لم يبلغه هو.. وتنفيذا للاتفاقيات والشروط المتعاقد عليها .. رحل الشيطان من تلك البلد وتركها للعجوز تصول فيها وتجور بلا شريك ولا منافس.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت .!!

للشاعر هله الهتيمية

كـان أنـت في دو الخلا تـمـنـتـنـيـنـي
فـــانــا تـــراني دايـــم اتـــمـــنـــاك
وان كـــان بـــالخافي تجر الـــونيني
ونيني أكـثـر لـعـن أبـو بـطـن أضـنـاك
حـبـك حـرم مـن كـثـرة الـنـوم عـيـنـي
ريـفـي مـراعـاتـك وشـفـي بـطـريـاك
لاعـــاد عـــرف صـــار بينك وبيني
أخـاف حـبـك يـوردن حـبـل الادراك

(عن كتاب شاعرات من البادية)

سالفــــة :

٩- التاجر مع لصوص الصحراء

كان أحد تجار القصيم قد سافر إلى الهند بمال عظيم للتجارة... فمكث في الهند فترة من الزمن تضاعف فيها ما معه من أموال ثم اشتاق إلى اهله ووطنه... فاشترى ببعضها أرزاقاً وبضائع.!! وأخذ معه بالباقي تحفاً ثمينة وخفيفة الوزن...

أخذ التاجر هذه الأشياء وركب في إحدى البواخر.. فلما وصل إلى ساحل الجزيزة أنزل هذه الأموال العظيمة وأعد لها قطيعاً من الإبل واستاجر خدماً ومساعدين.. وأخذ معه رفقا أي شخصاً من أبناء الصحراء المعتبرين المشهورين ليحميه من لصوص الصحراء.. وسافرت القافلة في طريقها إلى القصيم وهي آمنة مطمئنة...

فلما قاربوا الوطن اعترض طريقهم جماعة من اللصوص مسلحين أكمل سلاح.. وهم أكثر من أرباب القافلة عدداً وعدة.. وطلب اللصوص من أرباب القافلة أن يتنحوا عنها بالتي هي أحسن وإلا أخذت منهم بالقوة وقال الأعراب الذين يرافقون

التاجر إننا لن نتخلى عن القافلة ولا بد من الدفاع عنها مهما كلفنا الأمر.!!

واستعد رفاق التاجر للدفاع عن القافلة وقال التاجر لرفاقه دعونا نتفاهم معهم ونعطيهم بعض ما يريدون إلا أن الأعراب رفاق التاجر رفضوا المفاوضة وصمموا على الدفاع حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم.!

ولكن تفكير الأعراب شيء وتفكير صاحب البضاعة شيء آخر ، إنه إذا اصطدم بهؤلاء اللصوص فقد يفقد حياته.. والحياة لا تعوض ! أما إذا فقد بعض المال أو فقد المال كله فإنه يعوض!!.

ولهذا فقد ضغط التاجر على رفاقه بأن يتركوا له فرصة للتفاهم مع هؤلاء اللصوص . وإعطائهم بعض ما يريدون بلا حرب .! ولا قتال.!! فلم يقبل الرفاق هذا الأمر إلا بكل صعوبة وعلى مضض.!!

وتقدم التاجر إلى جهة اللصوص.. حتى صار يسمع أصواتهم.!

كما أنهم يسمعون صوته.!! وقال لهم ماذا تريدون.. فقالوا نريد القافلة.!! فقال إن القافلة سوف يحميها أهلها.. ولكن هل لكم في التفاهم والصلح .؟!

فقالوا وما هي طريقة الصلح .؟! فقال نترك لكم القافلة بما عليها.. على أن تتركوا لنا رواحلنا التي نركبها.. وما فوقها من ملابسنا وأشيائنا الخاصة التي لا تفيدكم.!!

وتشاور اللصوص.. ورأوا أن هذا الاتفاق في صالحهم.. فوافقوا عليه وتخلى التاجر عن جميع ما معه من أرزاق وبضائع

ما عدا راحلته.. ورواحل رفاقه... وعاد اللصوص بالقافلة إلى أهلهم.. وذهب التاجر ومعه رفاقه وليس معهم إلا رواحلهم.. لقد تركوا تلك الثروة الطائلة للصوص... فأخذوها غنيمة باردة.!!

وكان التاجر يحمل على راحلته معظم ثروته التي يعتمد عليها والتي هي العمود الفقري لتجارته.. أما ما أخذه اللصوص فهو في نظره شيء تافة بالنسبة إلى ما يحمله معه على راحلته.!!

وعند ما استمر بالتاجر المسير.. جعل رفيقه البدوي يلومه على إعطاء اللصوص تلك الثروة العظيمة.. ويقول إن هذه الطريقة في التسليم فيها ذل ومعانة لنا جميعا..

فقال التاجر إن هناك أسراراً لا تعرفها أنت.. وسوف أكشفها لك عندما نصل بسلامة الله إلى أرض الوطن.. وفي الوقت المناسب... وسار التاجر ورفاقه حتى وصلوا بلدهم... وكان للتاجر زوجتان شابتان كل واحدة منهما في منزل خاص وهما كالغزالتان الحبيستان في انتظار قدوم زوجهما.!!

فلما وصل التاجر نزل عند إحدى زوجاته.. وقال لها أعدي لنا طعاماً طيباً. فإن معي ضيفاً ورفيقاً عزيزاً أريد إكرامه فلما جاء موعد الطعام دعى التاجر أحد رفاقه وعمدتهم إلى مشاركته في الطعام.!

وقال لزوجته قدمي لنا الطعام وحاولي أن تظهري بعض محاسنك وجمالك لرفيقي الأعرابي.!!

وهكذا حصل فقد صارت الزوجة تروح وتجيء وتقدم لزوجها وضيفه الطعام.. وتظهر بعض محاسنها وجمالها لضيف زوجها حتى رأى ما بهره وأدهشه.!!

وانتهى الطعام وخرج الأعرابي مشدوهاً وقال له التاجر.. إن طعام الغداء سوف يكون غداً في منزلي الثاني.. وقال التاجر لزوجته الثانية أعدي لنا غداءاً فاخراً فإن معي رفيقاً وضيفاً عزيزاً.!! أحب إكرامه...

وجاء موعد الغداء.. وجاء الأعرابي الضيف وكان التاجر قد قال لزوجته الثانية مثل ما قاله لزوجته الأولى اظهري لضيفي بعض محاسنك.. ومري من أمامه بلا تحفظ.!!

وهكذا صار فقد جعلت الزوجة تروح وتجيء والأعرابي يرى ما يبهره ويسحره.. إلى أن انتهت مراسيم الطعام.!!

فخرج الأعرابي هو و مضيفه.. وقال التاجر لضيفه هل رأيت؟ أفمن عنده مثل هاتين الزوجتين والمنزلين يعرض حياته للخطر في سبيل بعض حطام الدنيا ؟!!

وافترض أنني نجوت من القتل إلا أنني أصبت بإصابة سببت لي عاهة مستديمة من فقوء لإحدى عيني أو كسر لإحدى رجلي.. أو جرح في وجهي.. مما ينفر مني زوجاتي.. ويعيبني في غداوتي وروحاتي ماذا يفيدني المال ؟!!

ثم إن معظم ثروتي كانت على راحلتي أما ما أخذه اللصوص فهو شيء تافة بالنسبة إلى ما نجوت به منهم على راحلتي.!!

فقال الأعرابي :- الآن عرفت حكمتك وبعد نظرك ولكن تفكيرك غير تفكيرنا.. وانفعالاتك لا تشبه انفعالاتنا نحن أبناء الصحراء فأما أنا فوالله لو كان مالي يغطي عين الشمس وأراد أحد أن يأخذ منه جزاءاً صغيراً لنازلته في ميدان القتال.!!

لأننا نعتبر حماية المال شرف لايمكن للمرء أن يتنازل عنه

مهما تكاثر الأعداء ،... ومهما كانت النتائج.!!

مما قالت وضحى آل عبد الله

البارحة عديت بالمستقبلة
في رأس مزموم طويل البياح
يا يوه عزيني بدا في خلة
سدي على بعض المخاليق باح
من يم قصر دويرج مدهل له
غليم ينقل جديد السلاح
أهلي مع أهله كلهم فدوة له
يفدونه الفرسان وأهل المناحى
والله يا لولا الخوف وادرى المذله
لاحط له بين النواهد مراحى

(من كتاب شاعرات من البادية)



سالفـــــة:

١٠-الشاب سبتى مع الفتاة البدوية

«رويت أصل هذه السالفة عن الأخ الصديق الأستاذ
محمد بن مقرن وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

قال الأطفال لجدتهم لقد سئمنا من أحاديث الخيال ونريد قصة واقعية نعرف أبطالها... ونعيش معهم ويعيشون معنا . فقالت الجدة حباً وكرامة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك التاجر.. الذي قد ألف البدو وأحبهم وأحب التعامل معهم.! وكان من طبيعة هذا التاجر أن يأخذ معه قافلة محملة بكل حاجة من حاجات البدو من مأكل وملبس.. كما أنه يأخذ معه بعض الحاجات التي يحتاجها النساء من حلي وأدوات للزينة .!

وكان هذا التاجر يسير بهذه القافلة بين مضارب البدو فيحل عليهم ضيفاً مكرماً معززاً.. وينصب خيمته في طرف من أطراف الحي يبيع معهم ويشتري.. فإذا اكتفى ذلك الحي من شراء لوازمه انتقل إلى مضارب حي آخر.!!

وهكذا حتى يبيع بضاعته كلها.. فينصرف إلى أهله وقد حمل إليهم سمناً وأقطاً ومواشٍ يربح فيها عندما يبيعها في مدينته كما ربح فيما باعه في البادية .!.

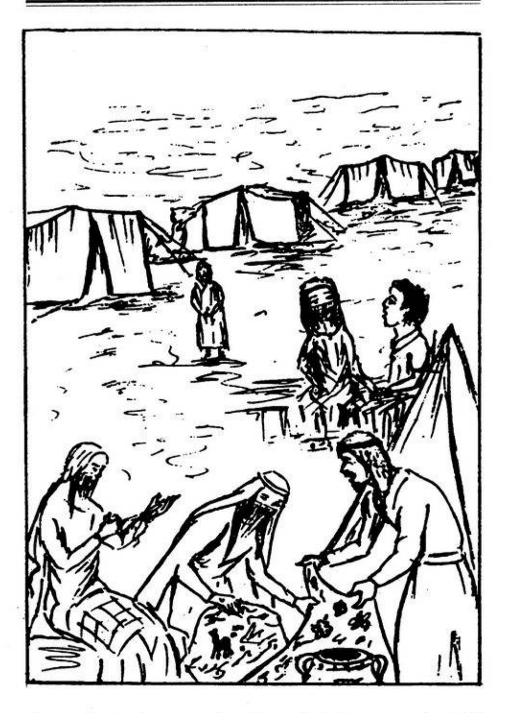
وكان هذا التاجر يستصحب ابنه الشاب معه في رحلاته هذه ولقب هذا الشاب سبتي أما اسمه فإننا نتركه في طي الخفاء..

وكان هذا الشاب يجلس عند والده وهو يبيع ويشتري مع الرجال ويرى أسباب الفتيات وهي يتتابعن إلى والده فيشترين منه ما يحتجن إليه... ويتحدث اليهن ويتحدثن إليه ببراءة ونزاهة .!

ورأى الشاب فتاة جميلة أخذت بمجامع قلبه... وحدثها وحدثته فازدادت العلاقة بين الشاب والشابة قوة.. وتكرر الحديث واللقاء . فتسرب الحب إلى قلب ذلك الشاب.. وصار هذا الحب يزداد يوماً بعد يوم.. وصارت اللقاآت والأحاديث تمكن لهذا الحب أن يرسخ.. وأن تتعمق جذوره وأن يجري في جسم هذا الشاب جريان الدم !!

ومن المعروف أن كل ضيف لا بد أن يرحل.. وكل مقيم لا بد أن يظعن.. وانتهت حاجات ذلك الحي مما لدى التاجر من بضاعة.. ورحل التاجر وولده معه... ورحل الابن بجسمه.. أما قلبه فقد خلفه بين مضارب ذلك الحي.!!

ونشط خيال الشاب.. بعد أن فقد الحقيقة.. وصار أحب ما إليه أن يخلو بنفسه .! وأن يناجي خيال الحبيبة وأن يتصورها أمامه .! وأن ليستعيد من سجل ذاكرته أحاديثها.. وكلماتها.. وأن يتصور حركاتها وسكناتها وأن ينسج حولها عالماً من المزايا والخصال التي لا يمكن أن توجد إلا فيها.!!



الشاب لسبتي مع الفتاة البدوية التي أسرته بحبها وغرامها.. وهما يتجاذبان أطراف الحديث.!!

وأحس الوالد بالحالة التي يعيش فيها ابنه ولكنه لم يفاتح ابنه فيها.. ولم يسأله عن أسبابها .. بل تجاهل كل شيء.. وصار يراقب ولده مراقبة دقيقة حذرة.. فرأى أنه لا يأكل من الزاد إلا قليلاً .! حتى ضوى جسمه.. ورآه يحب الخلوة بنفسه حتى كثرت هواجسه وأفكاره التي لايدري الوالد بالإنسان الذي تدور حوله هذه الأفكار .!

وبقيا على هذه الحالة طيلة الأيام التي قضوها في طريقهم إلى أهلهم.. لا الشاب يخبر والده بما يشغل باله.!! ولا الوالد يسأل ابنه عن الأسباب التي تقلق خاطره.. وقال الوالد في نفسه لعل هذه الحالة عارض حب سوف يميته اليأس والفراق.!!

ولكن قلوب المحبين لا تعرف اليأس.. والفراق لا يزيد نار الحب إلا اشتعالاً.!!

وصل الشاب و والده إلى بلدتهم واستقروا بين أهليهم وذويهم.! وازداد عزوف الشاب عن الطعام والشراب.. وازداد عزوفه عن الاجتماعات والمجتمعات.!! وصارت أحلى ساعات إليه هي الساعات التي يقضيها خالياً بنفسه يتصور حبيبته أمامه ويتخيلها تتحدث اليه أو هو يتحدث إليها.. ويشكو اليها لواعج حبه ، وهي تستمع إلى حديثه راضية باسمه مشرقة الوجه.. ضاحكة الأسارير.!!

ولاحظت والدة الفتى هذه الحالة التي يعيش فيها ولدها.. ورأته لايأكل ولا يشرب ولا ينام ويحب أن يخلو بنفسه.. وبدأ الهزال يدب إلى جسم الشاب أكثر من ذي قبل وصارت صحته تنتقل من سيء إلى اسوأ.!!

وانشغل بال الوالدة ،، وأهمها الأمر.. ولكن ابنها لم يقل لها

شيئا عن هذا الهم الذي يحمله في قلبه الطري. وهي كذلك لم تر من الحكمة سؤال ابنها عن أمر هو يحاول كتمانه.!!

وصبرت الوالدة على مضض.. وازدادت مراقبتها لابنها.. فرأت أن أفراد العائلة إذا ناموا قام هذا الشاب وأوقد السراج في صالون الجلوس ثم جلس في ناحية من نواحي المجلس يفكر و «يطيل التفكير» ورأسه بين يديه.. ولا يخرجه عن هذه الحالة إلا التنهدات.. والزفرات التي يطلقها ما بين أونة وأخرى.!!

وصارت الوالدة تسهر لسهره في مكان تراه منه ولايراها.!! واستمرت على هذه الحالة بضعة أيام لعلها تسمع منه ما يساعدها على حل مشكلة.. أو يفتح لها باباً لإخراجه من هذا الوضع الذي يكاد أن يقضي على حياته.!!

وفي ذات ليلة.. وبينما كانت الوالدة جالسة تراقب ولدها سمعته يهمهم.. ويحاول أن يقول شيئاً إلا أن هذا القول لا ينطلق بسهولة وكأنه يحتاج إلى وزن وإلى نسج خاص.!! إنه يريد أن يقول شعراً يسجل فيه همومه.. ولواعج قلبه.!! ويسجل فيه ما يعانيه من آلام مبرحة هي فوق طاقته .! كما أنه لا عهد له بمثلها . فهي تجربته الأولى في الحب.!!

وأنصتت الوالدة بكل مشاعرها .. لعلها تسمع من ولدها - من حيث لايشعر - ما يدلها على الطريق لإخراجه من هذه الحالة التي نغصت حياة الوالدين وشغلت بالهما .!

وبدأ الشاب ينشد لنفسه إلا أنه بصوت مسموع :-

يـا عـين هـلي بـازرق الـدمـع هـلي
هلي : عسى ما جاك يالعين تفكير
هـلي عـلى اللي يـوم أجـي لـه يهلي
والـيوم عـنـا بـعـدتـه المـقـاديـر
يـا مـا حـلى قـولـه إلى قـال قـل لي
شـكـلـه فـريـد بين ذيـك الـغـناديـر
عـليه قـلـبـي يـالـسـكـيـنـي يـتـلي
تـل الـرشـا مـن فـوق حـدب الـنـواعير

واستمر الشاب في إنشاد هذه القصيدة على نفسه .. إنه يريد أن يقرأها على نفسه بنفسه .! لأنه لا أحد لديه يشكو اليه همومه وآلامه ! ولا أحد يستطيع أن يأمنه على سره.. أو على تجربته الأولى في دنيا الحب والغرام.!!

ولهذا فهو يخاطب نفسه.. ويتصورها شيئاً آخر قائماً بذاته.. كما يتصور بعض الأحيان حبيبته بالقرب منه ويتخيل صفاتها ويعيد شريط أحاديثها.. ويتخذ من هذا كله دنيا يعيش فيها وحده لا يريد أن يشاركه فيها أحد.!! فالمحب أناني... لايعترف إلا بنفسه وبحبيبه الذي يعتبره جزا لا يتجزأ من نفسه.!!

وسمعت الأم هذه الأبيات من قصيدته الطويلة التي نفث فيها ما يعتلج في نفسه .! وجاء الصباح وذهبت الوالدة إلى زوجها وخلت به.. في مكان منفرد وأخبرته بما رأت وما سمعت.. وقالت له هل تعرف السكيني فقال نعم أعرفه وأعرف الحي الذي يعيش فيه.!!

فقالت الوالدة إن حالة ابنك سيئة للغاية.!! ولا بد من

الإسراع في حل مشكلة قبل أن يقضي الحب على حياته.!!

فوعدها زوجها بالاهتمام بالأمر.. واحتار الأب فيما يصنع.! هل يفاتح ولده... ويقول له كف عما أنت فيه فالبدو ليسوا لنا ونحن لسنا للبدو.. فطباعنا شيء وطباعهم شيء آخر.!! أم يسأل ولده عن حبيبته ثم يعيبها لديه.. ويقللها في عينيه .! ويذكر له أن نساء المدن أجمل وأفضل .! وأستر وأصون من نساء البادية... ثم يعده بأن يبحث له عن زوجة أفضل من صاحبته وأجمل.!!

أم يترك هذا الطريق وذاك ويلتمس طريقاً آخر قد يكون أنجح وأفضل.. لأن اللوم والتقريع قد لا يؤدي إلى نتيجة .! والصاق العيوب بالحبيب قد يؤدي إلى عكس المقصود.!! فيزداد التعلق به وتزداد الرغبة فيه.!!

وفكر الوالد في حل ثالث.. وما هو .؟! ووجده.. إنه في الرحيل إلى الحي.. وبعد الوصول إلى مضاربهم سوف يتضح له الطريق وقال الوالد لولده استعد يا ولدي فإننا سوف نعود إلى مضارب الحي الفلاني ببضاعة أخرى.!!

وسمع الشاب هذا الخبر فأصابته نشوة من الفرح والسرور الذي حاول أن يكتمه عن والده.. وبدأ الشاب يستعد للرحلة والعودة إلى الحبيبة .! وتمت الاستعدادات بسرعة.!!

ورحل الوالد بولده متجهاً إلى ذلك الحي.. فلما وصلت القافلة ضرب التاجر خيمته في طرف من أطراف الحي على عادته.. وبدأ أفراد الحي يردون ويصدرون على هذا التاجر ويشترون منه ما يحتاجون اليه...

ورأى الشاب حبيبته وحدثها وحدثته.. وشكا إليها ما عاناه بعد فراقها من تباريح الحب.. واستمعت الحبيبة إلى حديثه بشوق ولهفة ولم تخف عليه الفتاة أنها تبادله هذا الحب.!!

قالت هذا بطريق التلميح لابطريق التصريح.. وبدأت الحياة تدب في جسم الشاب... وبدأ يعود إلى حالته الطبيعية.!!

ومكث والد الفتى بضعة أيام يبيع ويشتري ويراقب ولده عن بعد.. ويقارن بين ما كان فيه... وبينما انتقل إليه فيرى فرقاً شاسعاً.

وخلا الأب بابنه ذات يوم وقال له :- وكأنه لا يعلم شيئاً:- يا ولدي ألا تحب أن نزوجك بإحدى الفتيات البدويات ؟! وقال الولد:- الرأي لك يا والدي.!! فقال الأب من تريد منهن لأخطبها من والدها.. فقال الشاب إنني أريد فلانه . بنت فلان.!!

وذهب التاجر إلى والد الفتاة وخطبها منه لابنه فتمنع.. وقال نحن بدو وأنتم حضر.. ولا يلتقي باد بحاضر... فنحن البدو لم نألف أن نعيش بين أربعة حيطان وإنما معيشتنا كما ترى في الأرض الفضاء . التي لايحدها إلا الأفق.!!

فقال والد الفتي... إننا نوافق على أن تكون ابنتكم عندكم وزوجها إذا أراد زوجته يبقى في جواركم أيضا.. فقال والد الفتاة هذه عقدة قد انحلت.!! وهناك أمر آخر وهو أني أريد لابنتي جهازاً يتناسب مع مكانتها في الحي.. لتفوقها بجمالها على جميع الفتيات.!! فقال والد الفتى ولك ما تريد فدفع لهم التاجر مهراً غالياً وأرضى جميع أقارب الفتاة بالهدايا والكساء.. ثم زفت الفتاة إلى الشاب في حفل بهيج رقص فيه فتيات الحي... وتساجل فيه

شبابها بالشعر... وقدمت موائد الطعام بكرم وسخاء.. وضربت خيمة في جوار بيت والد الفتاة جعلت خاصة للشابة وزوجها الشاب .!

ومكث الأب بعد الزواج فترة من الزمن ثم قال لولده إنني سوف أسافر للأحياء القريبة.. للبيع والشراء وأنت سوف تبقى بجوار زوجتك.. وإذا هممت بالقفول إلى البلد فسوف يكون طريقي عليك . فوافق الشاب على هذا الرأي وفرح به فرحاً عظيماً.!! فسوف يخلو له الجو وسيعيش غير موزع التفكير والقوى . بل سيكون خالصاً مخلصاً لزوجته.!!

وسافر الأب.. وباع واشترى فيما حوله من الأحياء وبعد شهر تقريباً عاد إلى ابنه.. وسأله عن حاله... فقال الشاب إن كل شيء على ما يرام.. فقال الأب إنني راحل إلى أهلك وبلدك فهل تذهب معي أم تبقى مع زوجتك .؟!

فقال الشاب بل سأذهب معك لأسلم على والدتي... وأخبرها بخبر زواجي وأعتذر منها لأننا لم نأخذ رأيها في هذا الزواج ولم تحضر الأفراح التي أقيمت بهذه المناسبة.. مع أنني طالما سمعت منها عبارات تدل على انتظارها لليوم الذي سوف أتزوج فيه والذي تعتبره من أسعد أيام حياتها إذا أدركته...

فوافق والده على هذا الرأي.. وقال لولده استأذن من زوجتك وأصهارك وأخبرهم بهذا العذر المشروع وعدهم بأنك سوف ترجع إليهم في أقرب وقت ممكن.!!

وفعل الشاب ما قال له والده.. ثم عاد الأب ومعه ولده وهو في حالة طبيعية لا شذوذ فيها ولا أفكار ولاهموم.!!

ووصلت قافلة التاجر إلى بلده.. وقابل الشاب والدته فاعتذر

منها وقبل جبينها وقال لها لقد كان زواجاً مفاجئاً لم نكن نحسب له حساباً فقد نشأت فكرته على غرة... واندفعت اليه بلا ترو ولا تفكير ! وكانت ظروفنا لا تمكننا أن نصنع أكثر مما صنعنا.!!

فقبلت الوالده عذر ولدها.. ورجت أن يكون موفقاً في زواجه وأن يكون راضياً مرضياً.. فتلكأ الشاب في الجواب.!! وعرفت الأم كل ما وراء هذا التلكأ.!! وأخبرت والده بما استنتجت.!! فقال الوالد إن هذا شيء طبيعي... وهذا ما كنت أتوقعه.!!

وبقي الوالد في بلده ما شاء الله... ثم أراد أن يسافر على عادته ببعض حاجات البدو ليبيع فيها ويشتري... وعرض على ولده مرافقته ليعود إلى زوجته بعد تلك الغيبة الطويلة في نظر المحبين.!!

لكن الشاب أظهر فتوراً ملحوظاً.. ولم يتحمس للعودة إلى زوجته وأصهاره.!! وعرف الوالد ما وراء ذلك الفتور.. ولكنه أحب أن يعرف رأي الشاب صراحة.. فقال له خذ هذه النقود واشتر بها بعض الهدايا لزوجتك وأصهارك فإن سفرنا سوف يكون قريباً.! فقال الشاب إنني لاحاجة لي بهذا النقود كما أنني لا أرغب في العودة إلى زوجتي.!!

وقال له الوالد وكأنه لايعرف شيئا.. لماذا لا تعود إلى زوجتك.؟ إنها شابة جميلة.. ومن أصل عريق في الشرف .؟! فقال الشاب بصريح العبارة.. لقد قررت طلاقها يا والدي فما رأيك ؟! إنني لا أحس نحوها الآن بأي عاطفة حب فهل يأذن لي والدي في تسريحها بإحسان .؟!

فقال له الوالد إن الأمر راجع لك فإذا كنت لا تحس نحو

زوجتك بعاطفة حب فلا مانع من طلاقها.. وكتب الشاب ورقة الطلاق وأعطاها والده.. وانتهى كل شيء بالنسبة لهذا الزواج.!! وهكذا كان تقدير الوالد صحيحاً... فبحكمة هذا الأب خرج الشاب من تلك التجربة في الحب التي اشتعلت بسرعة ثم انطفأت بسرعة .!

وكان مجرى الأحداث يوحي بأنه لولا تصرف هذا الوالد الحكيم لتطور هذا الحب من سيء إلى أسوأ... ولتخيل الشاب أن هذه الفتاة البدوية ملاكاً طاهراً يجمع المحاسن من جميع أطرافها... إلا أن الزواج كشف للشاب أنه كان يعيش في خيالات وأوهام صنعها لنفسه.!! وعاش فيها بنفسه.!!

وقد كذب الواقع جميع تلك الأوهام والخيالات... وانكشفت له الحقيقة... فلم يجد شيئا مما كان يتصوره وينسج الأوهام حوله .! وهكذا انتهت تلك التجربة الخاطفة من تجارب الحب من فتى في مقتبل الشباب.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



فتاة بدوية تجن..

وحضري يقرأ عليها .!

كانت أحدى قبائل البدو قد ضربت بيوتها حول بلدة البكيرية سنة من السنوات صيفاً.. وفي ذات ليلة صرعت ابنة شيخهم.!! صرعها الجن... فذهب واحد من أبناء عمها يبحث عن قارىء يقرأ عليها القرآن... ليخرج الجني من تلك الفتاة.!!

ودار البدوي في البلدة.. وكلما طلب من شخص القيام بهذه المهمة اعتذر.. حتى اعتذر له عدة أشخاص.. وأخيراً وجد شخصاً ولكنه غير قارئ.. ولا فقيه.. وإنما هو عامي ذكي.. فقال أنا أقرأ عليها ولكن بأجر .. فقال البدوي اطلب.. وطلب الحضري أن يعطى إذا شفيت الفتاة ناقة يختارها بنفسه من بين الإبل.. ووافق البدوي على ذلك.!!

وذهب الاثنان حتى جاآ إلى تلك الفتاة فإذا هي تضرب نفسها وتصيح صياحاً منكراً وتتصرف تصرفات شاذة غريبة.. وإذا هي فتاة جميلة.. فائقة الجمال.!! فقال الحضري احجبوا البيت علي وعليها.. وابتعدوا قليلاً حتى لايحس الجني بوجودكم حولي فإنني أريد أن أكلمه.. وأن أعرف أهله وبلده وأسراره .!

فإذا عرفت ذلك سهل إخراجه.. وحجب البيت على الفتاة البدوية وعلى القارئ الحضري.!!

وقال الحضري للجني.. إنني أهنئك على حسن اختيارك.!! وأنا لم آت هنا لأقرأ عليك أو لأضايقك !! أو لأناقشك على اختيار فتاتك الجميلة.!! وإنما جئت لآخذ أجرتي فقط.!! والذي أريده منك أن تخرج منها لفترة من الأيام حتى آخذ الناقة وأتصرف فيها.!! ثم بعد ذلك أنت وشأنك مع هذه الفتاة.!!

وتكلم الجني فقال انت ألطف حضري صادفته في حياتي.!! ولهذا فأنا إكراماً لك ورعاية لمصلحتك سوف أخرج منها وأتركها لمدة أسبوع ثم أعود اليها..

فاتفق الاثنان على ذلك.. وغرزت الفتاة أصابع رجليها في الأرض ثم تحركت عدة حركات عنيفة.. ثم هدأت قليلاً... وبعد ذلك رفعت رأسها.. كأنما استيقظت من سبات عميق.. فأخذ الرجل بيدها.. وخرج بها إلى أهلها تمشي سليمة كما كانت قبل حدوث ما حدث.!!

وفرح أهل الفتاة بهذه النتيجة السريعة.. وتركوا الحضري يذهب إلى الإبل ليختار منها واحدة كما يشاء.!!

وذهب الحضري بناقته فباعها في السوق من الغد وأخذ ثمنها وتصرف فيه...

ومضت السبعة الأيام المتفق عليها وعاد الجني إلى الفتاة.!!

وصرعت الفتاة وعاد اليها جنونها كما كان سابقاً.. وذهب ابن عم الفتاة إلى الرجل الحضري وأخبره أن حالة الصرع عادت إلى الفتاة وطلب منه أن يذهب ليقرأ عليها من جديد.!!

وامتنع الحضري من الذهاب.. وقال لقد قرأت عليها في الماضي حتى شفيت... وأنا لم أتكفل بضمانها مدة حياتها.!!

وتشاجر الشخصان... وأخيراً اتفقا على أن يذهبا إلى القاضي ويحتكما اليه..

وذهبا إلى حكم بنيها وجلسا أمامه وأدلى البدوي بحجته وطالب بأن يقرأ الحضري على الفتاة حتى تشفى أو يعيد الناقة التي أخذها !.

وقال الحضري يا فضيلة الشيخ لقد اتفقت معهم على أن أقرأ على الفتاة حتى تشفى.. بناقة من إبلهم وقد قرأت عليها فعلاً حتى شفيت وسلمتها إليهم سليمة بكامل قواها العقيلة وقد عاهدني الجني بأن لا يعود إليها.!!

وقد بقيت أسبوعاً كاملاً وهي تتمتع بصحة جيدة... ثم صرعت وتعلم يا فضيلة القاضي أن الجن أكثر من الإنس.. وأنا لم أعطهم ضمانة عامة ضد الجن كلهم وإنما تعهدت لهم أن أخرج ذلك الجني الذي خالط عقل الفتاة لأول مرة.. أما ما عداه فلست مسؤولاً عنه .! وأنا أريد أن يثبت المدعي أن الجني الذي صرعها الآن هو ذلك الجني الذي أخرجته منها سابقاً فإذا أثبت ذلك فإن علي أن أخرجه أو أن أعيد إليهم ناقتهم.!!

والتفت الشيخ إلى البدوي.. وقال له هل تستطيع أن تثبت أن الجني الذي يصرعها الآن هو الجني كان صرعها من قبل.؟! وأجاب البدوي بأنه لا يستطيع ذلك.!!

وعندئذ أصدر القاضي حكمه بأنه لا اساس لدعوى البدوي على الحضري في هذا الموضوع.. وأن عليه أن يتفق مع الحضري من جديد ! أو أن يبحث عن قارئ آخر يقرأ على فتاته.!!

قالت بعض شاعرات البادية

الـزوج أنـا حـرمـت مـا أطـب بـيتـه
حتى مغيب الشمس يرجع بتشريق
أو كـود يـذكـر يـدعـي الحي مـيـتـه
أو يجتـمـع سـم الحيـايـا مـع الـريـق
الـشـوق يـوم انـه بـغـاني بـغـيـتـه
مـا طـمـحوني عـنـه كـثـر الـعـشـاشـيق
والـيوم يـومـنـه رمـاني رمـيـتـه
رمـيـة وضـيـحـي رمـوه الـتـفـافـيق

عن كتاب «شاعرات من البادية»



سالفـــــة:

١١- شاب مع ابنة شيخ قبيلته

«رويت أصل هذه السالفة عن الأخ عبد الرحمن بن عبود وكتبتها باسلوبي الخاص واثبتها هنا كما ترى»

توافد الأطفال إلى جدتهم وقال لها أحدهم قصي علينا سالفة تتعلق بالمرأة ومايدور حولها.. وكيف تقابل تلك الفخاخ التي قد تنصب حواليها.!! فقالت الجدة حباً وكرامة:-

كان فيه شيخ قبيلة... تزوج الزواج الأول فرزق من زوجته ابنة.. ثم قدر الله عليه أن يفارق زوجته الأولى وأن يتزوج زوجة ثانية وكان للزوجة الثانية أخ شاب هو من أسرة الشيخ.!!

وكان الشيخ يكرمه ويقدمه على غيره ويجلسه عن يمينه في المجالس العامة والخاصة.. لالأنه صهره.. ولكن لأن أصله من بيت المشيخة.! ولأن بوادر النجابة والأصالة قد بدات تظهر من تصرفاته.!! وشيء ثالث وهو أنه محبوب من أفراد القبيلة وله محبون ومعجبون كثيرون.! ولذلك كله فقد كان له مكان الصدارة في جميع مجالس شيخ القبيلة!!

ورأى الشاب ابنة شيخه فأحبها.. وحاول أن يتقرب منها.!!ولكنها كانت تنأى بنفسها عنه.. وتحفظ على شرفها.. وحاول الشاب عدة مرات أن يقرب منها أويتقرب إليها.. ولكنها كانت حذرة واعية عارفة.!!

ونفد صبر الشاب.! إنه يريد أن يجتمع بهده الفتاة على أي حالة من الحالات... ولكن مساعيه كلها باءت بالفشل ولم يستطع أن ينال منها شيئا لا قليلاً ولا كثيراً.. وذهب الشاب إلى أخته.. وقال لها إنني أريد أن أجتمع بفلانه.. وهو اجتماع بريء.. لن يكون فيه شيء يخدش الشرف.. ولكنني أريد أن يكون هذا الاجتماع ونحن منفردين.!!

فقالت له أخته وزوجة والد الفتاة إنني لا أستطيع أن أتكلم مع الفتاة في هذه الأمور صراحة.. فإنه لا يليق بي أن أفاتحها في مثل هذه الأمور... ولكن على أن أحتال عليها وأجعلها تجتمع بك صدفة ثم لا شأن لي بك أنت وإياها.!!

ورحب الشاب بهذه الفكرة وترك لأخته تدبير الأمر وجاء ذات يوم... كان الحي فيه يريد أن يرحل من مضاربه القديمة.. وأن يمم أرضاً قفراً تكون أحسن لمواشيهم من أرضهم التي كانوا فيها.!!

وهنا سنحت الفرصة للمرأة أن تغرر بالفتاة.. فقد قالت لأخيها إنني سوف أحتال على الفتاة فأجعلها تعود إلى مضرب الحي... بعد أن يرتحل القوم عنها... فلتكن أنت هناك ثم لا شأن لي بكما بعد ذلك.!!



الفتاة تنتصر على الشاب وتتخلص منه بحيلة بارعة وتركب حصانه وتركبه هودجها وتسوقه أمامها قاصدة أهلها وعشيرتها.!!

ورحل الحي من مضاربهم القديمة ميممين أرضا جديدة.. وركب الشاب على جواده وتظاهر بأنه يريد أن يبتعد عن الأظعان بحثا عن الصيد.!!ثم عاد إلى مضارب الحي... واختفى بجواده في مكان منخفض وجعل يراقب الأفق.. وينتظر عودة الفتاة...

وسارت الأظعان... وسألت الفتاة زوجة والدها عن حاجة من حاجاتها. فقالت لقد وضعتها لك في المكان الفلاني فهل أنت لم تأخذيها .؟! فقالت الفتاة لا... إنني لم آخذها.

وضربت الفتاة رقبة جملها وصرفت وجهه إلى جهة مضاربهم التي تركوها... للبحث عن حاجتها المنسية.. وأقبلت على منازلهم.! والشاب يراقبها... فلما توسطت تلك المضارب ركب جواده.. وجاء إليها وكأن مجيئه كان صدفة عابرة إلا أن الفتاة علمت أن في الأمر مكيدة!! وأنه قد غرر بها... وأريد بها سوءاً.!!

وأجالت الفتاة فكرها سريعاً في طريقة للخلاص من هذه الورطة! ولمحت الحل قبل أن يصل إليها الشاب.!!

وجاء الشاب يعدو به حصانه عدوا بطيئا... فلما قرب من الفتاة سلم عليها فردت عليه السلام.. وصارحها بأن هذه الفرصة هي أغلى فرصة أتيحت له في حياته.!! وأنها لو قدرت بأغلى ثمن لدفع ما قدرت به.!!

وعلمت الفتاة بقصده.. وقالت له إنني أبادلك نفس الشعور.! وأنا لم أعد إلى هنا إلا للاجتماع بك في هذه الفرصة.. التي يأمن المرء فيها من انكشاف أمره.!!

ولكن ألا ترى من باب الاحتياط أن تسلم إلي عنان جوادك وأن تذهب متسللاً إلى ذلك المرتفع فتصعد عليه ثم تنظر عن يمينك وشمالك. وفيما حواليك لتتأكد من خلو المكان.!! إن هذا من مصلحة جميع الأطراف.!!

ووافق الشاب على هذه الفكرة... ونزل من فوق ظهر جواده وأعطاها عنانه.. وذهب مسرعاً إلى ذلك المرتفع ليراقب ما حوله.! وانتهزت الفتاة هذه الفر صة فركبت الجواد وتقلدت السيف الذي كان معلقاً على ظهره.!!

وعاد الشاب مسرعاً فقالت له الفتاة قف عندك.. فأنا سوف أصدر إليك أوامر يجب أن تنفذها.. وإلا كان قتلك على يدي.!!

فقال الشاب لعلك غير جادة... فقالت الفتاة بل كل الجد.!! وعليك الآن أن تترك لي جوادك وأن تركب على جملي.. وأن تسير معي إلى حيث أريد.!!

ورأى الشاب أن لا مجال للعناد.! ولا للعصيان.! ولا للمقاومة! فركب في وسط هودجها.. وساقت جملها أمامها... حتى قاربت أظعان قبيلتها... وعندئذ قالت للشاب انزل من فوق جملي وابق هنا.. فإنني عندما أقارب الأظعان سوف أنزل من فوق ظهر جوادك ثم أربطه بأحدى الشجرات وأتركه لك حتى تلحق به.!!

ولم يستطع الشاب إلا أن يلبي هذا الطلب فنزل وبقي منتظراً في مكانه حتى ابتعدت الفتاة.. وقربت من أظعان الحي فنزلت وربطت عنان الحصان في إحدى الشجرات... ثم ركبت في وسط هودجها.. وسارت حتى دخلت في جملة الظاعنين...

وجاء الشاب حقيراً ذليلاً.. وأخذ جواده.. وسار في طريق آخر غير طريق الأظعان.. بحثاً عن الصيد.. وفكر فيما جرى.. وتوقع شراً من والد الفتاة «فهو لا يأمن أن تخبر الفتاة والدها بما حدث.!! فيكون الشر والفتنة والحرب.!!

ونزل الحي في منازلهم الجديدة.. واجتمع الشاب برفاقه وأنصاره ومحبيه.. وكاشفهم بالأمر.. وقال إننا يجب أن لا نؤخذ على غرة .! بل لا بد من الاستعداد.. وسوف نذهب إلى مجلس الشيخ صباحاً على عادتنا.. فإن رأيتم مكاني خالياً لم يجلس فيه أحد غيري فاعرفوا أن الأمور هادئة.. وأنه لم يحدث شيء مما نتخوف.. وإن رأيتم مكاني مشغولاً فاستعدوا.! فإنها الحرب.!!

وجاء الصباح وذهب الشاب إلى مجلس الشيخ ومعه رفاقه على خيولهم.. فلما أقبلوا على مجلس الشيخ أنكر منهم هذه الحالة.!! ونظر الشاب فرأى مكانة خالياً فجاء وجلس بجوار الشيخ.. وسأل الشيخ عن الفرسان.!!

فقال الشاب لقد أحبوا أن يقوموا في منزلهم الجديد وأمام شيخهم ببعض ألعاب الفروسية.. إذا وافقتم على ذلك.!! فوافق الشيخ على ما طلبه الشاب.. وأخذ الفرسان يغدون ويروحون على خيولهم في سباق سلمي رائع.!!

وتطلع فتيات الحي إلى الفرسان في سباقهم وألعابهم فازدادت نشوة المتسابقين.. وازداد حماسهم .! ولما أشبعوا رغبتهم من هذه الرياضة اللطيفة الممتعة نزلوا عن ظهور الجياد وجاءوا سعياً على الأقدام فصافحوا الشيخ فرداً فرداً .! ثم جلسوا أمامه بكل أدب واحترام وأديرت أكواب القهوة والشاي.. ثم انفض

الجمع.. دون أن يكون هناك أي بادرة من بوادر الشر.!!

إلا أن الشاب بقي في نفسه حزازة تؤرقه كل وقت وصار يشعر بالذلة والهوان.!! كلما تذكر تلك المرأة.. كيف تأخذ جواده.. وتركب في مركب الفارس.. بينما ترغمه على أن يركب في مراكب النساء .!

إنها حالة مذلة تشعره بالهوان.. ويتجرع بسببها الغصص التي تنغص عليه حياته.!!

وصارت هذه الخدعة البارعة هي مجال تفكير الشاب في كل ساعة يخلو فيها بنفسه.. وأحب أن يسجل هذه الحادثة في شعر يخلدها في الناس.. فيرويها الخلف عن السلف ويسمعها الأبناء من الآباء.!! لتعطي المغرورين درساً في أن الرأي يغلب القوة !! والتدبير الحكيم.. يغلب التهور والاستخفاف بالخصوم.!!

ولكن الشاب غير شاعر.. إنه يتذوق الشعر.. ويطرب له ويميز جيده من سقيمه.. ولكنه لم يسبق له أن قال شعراً أو حاول أن يقول شعراً.! وتردد في مبدأ الأمر في الإقدام على هذه الخطوة.. ولكن لماذا لا يقول شعراً .؟! ثم يرى هل يستحق أن يذاع في الناس أم أنه من حقه أن يستره كما تستر الهرة خرأها.!!

وراقت له هذه الفكرة.!! وعزم على أن يقول شعراً يسجل فيه هذه المغامرة الغرامية التي فشل فيها فشلاً ذريعاً.!! بل أهين فيها وديست كرامته.!! حتى تضاءل أمام نفسه.. وفقد ثقته بها.. وصار يتهيب من أي أمر يقدم عليه بعدها.!!

شرع الشاب في القصيدة.. وهو واثق تمام الثقة بأنه سوف يجيد.! لأنه سوف يتكلم عن تجربة غرامية قاسية.. آلمة إخفاقه فيها كل الأيلام.!! وجرح كبرياءه جرحاً عميقاً قد لا يندمل مع الأيام.!! والشعر إذا كان صادراً عن واقع مثل هذا فلا بد أن يكون صادقا مؤثراً.!!

وشرع الشاب في القصيدة قائلاً :-

عزي لمن خلنه البيض مسهاج
ركبن جواده وأركبنه قعود
يا راكب سوهاجة بنت سوهاج
انحر صفى الروح نجل الفهود
وقل له ترى كنى بحق من العاج
متحير ضربت على السدود
بغيت أصيد الظبي يوم الظبي عاج
وصادن ظبي الدو من قبل أصيدي
يومن شفته قلت جت لي بالأفراج
لكن ظني خاب واسود عيدي
وهذا جزا من يسمع لكل هراج
ويصدق الخفرات فيما يريدي

وبعض الرواة يروي القصيدة على هذا الشكل :

يا الله يا فراج يا والي الأفراح
يا للي غني والخلايق محاويج
تفرج لمن كنه بحق من العاج
متحير ضاقت عليه المناهيج

عزي لمن حطنه البيض مسهاج
خذن جواده واركبنه هجيهيج
يا بنت من هو باللقا يلبس التاج
لا حل بالربع المقفين تزعيج
مأكولها الحنطة على صالي الصاج
ومشروبها در البكار الهجاهيج

ثم مضى الشاب في قصيدته الطويلة التي يسجل فيها حسراته وآلامه.. ويبث فيها شكواه إلى صديق له لم يفصح عن اسمه.!!

وعاد الرواي بهذا النزر القليل من القصيدة.. أما باقي القصيدة فقد ذهب مع جملة ما ذهب مما كان في صدور الشعراء والرواة ثم مات بموتهم.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سالفـــة :

١٢- محمد بن هجرس عندما جلا عن قبيلته

«رويت أصل هذه السالفة عن أبي صالح الأخ الصديق الاستاذ محمد الحديثي وكتبتها باسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى...»

قال الأطفال لجدتهم قصي علينا سالفة محمد بن هجرس عندما طرده والده عن بلاد قبيلته ليعيش في بلاد الغربة وبين قوم لا يعرفهم ولا يعرفونه.!!

فقالت الجدة حباً وكرامة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا شيخ هاك القبيلة ورئيسها الأعلى وله ولد شاب اسمه محمد.. وكان هذا الابن شاباً قوياً في جسمه قويا في شخصيته.. قويا في اندفاعه إلى تجارب الحياة.!!

ولم يشعر والد محمد في يوم من الأيام إلا بخبر سيء يزف اليه هو أن ولده محمد قتل أحد أفراد القبيلة خطأً... وكان هناك قانون متعارف عليه أن من يقتل شخصاً خطأً عليه أن

يجلو عن قبيلته إلى بلاد الغربة لمدة سبع سنوات.!! وذلك خوفاً من أن يحدث من وجود القاتل بين أظهر القبيلة مزيداً من سفك الدماء... وتطور الأحداث إلى ما لا تحمد عقباه بين أفراد القبيلة.!!

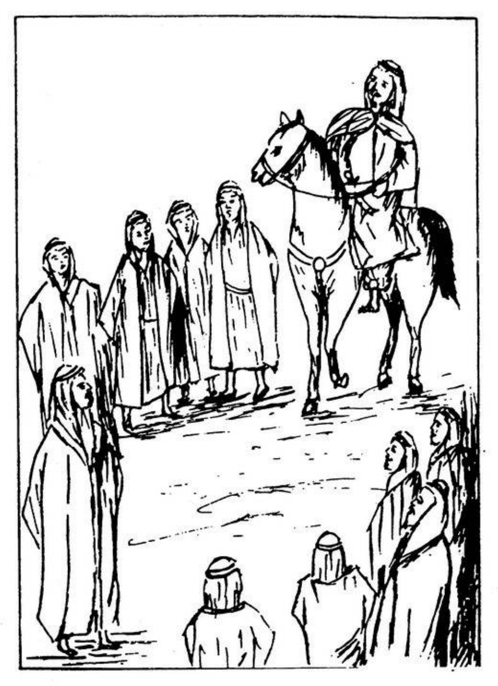
وكان الشاب محمد يعتز بمركز والده ويعلم أن كلمته مسموعة بين أفرادها.. ولذلك كان واثقاً مطمئناً إلى أن والده سوف يجد حلاً سليماً تجاه هذا الحادث.!!

إلا أن الوضع بالنسبة إلى الوالد كان وضعاً دقيقاً وحساساً.!! وهو يعلم ما يترتب على اختراق القوانين من عواقب وخيمة قد تؤدي إلى الفتن والتفكك.. وتلاشي الثقة بتلك القوانين.. وما ينشأ عن تلاشي تلك القوانين من فوضى وهرج ومرج ليست في صالح الجميع.!!

ولهذا فقد شغل الحادث فكر الوالد.. وحصر تفكيره في الخروج منه بسلام.!! إنه يحب ولده ويرغب أن يبقى بجواره... ولكن كيف .؟ إنه لا يستطيع أن يخالف تلك القاعدة المتعارف عليها.!! وهي جلاء ولده لمدة سبع سنوات.!!

إلا أن هناك حلاً سليماً.. هو أن يقبل أهل المقتول الديه.!! وبهذا تنتهي المشكلة... ولكن الوالد تجاهل هذا الحل لأنه يعرف أن أهل المقتول لن يقبلوه.. مهما تضاعف الديه ومهما زادوا في الإغراء.!!

وإذاً فلا حل إلا جلاء محمد عن قبيلته لمدة سبع سنوات.. حتى تزول عقابيل الجريمة.. ويلتئم جرحها وتذهب آثارها من النفوس.!!



محمد بن هجرس يعود إلى قبيلته بعد أن طرد من بين أظهرها فترة من الزمن... ويفرض نفسه عليهم بقوة السلاح.!!

وقال الوالد لولده محمد والحزن يحز في نفسه :- ارحل عن الحي يا محمد حسب تقاليد القبيلة.!!

وقال الشاب لأبيه ألا يوجد حل غير الرحيل والجلاء .؟!، فأجاب الوالد بأنه لا حل إلا الرحيل.!! وعرف الشاب من لهجة والده العزم والتصميم على هذا القرار... فلجأ إلى والدته واستثار نخوتها وعطفها.. وطلب منها أن تتباحث مع والده لإيجاد حل غير الرحيل.!!

وذهبت الوالدة إلى زوجها وخلت به وأفضت اليه برغبتها في البحث معه في موضوع الجريمة التي ارتكبها ابنهما... والتماس حل غير الرحيل.!!

فأجابها الوالد بأنه لا مجال للبحث في هذا الموضوع فأهل القتيل لن يقبلوا الديه مهما ضوعفت.. والإخلال بما تعارفت عليه القبائل يقدح في الشرف ويسيئ إلى السمعة... كما أنه من ناحية ثانية قد يكون مصدراً لحزازات واشتباكات ليس من صالح القبيلة حدوثها .!

ورأى محمد أنه لا مندوحة له عن الجلاء والغربة.!! فأخذ قربة صغيرة ملأها ماء.. وأخذ قليلاً من التمر... وسار في الصحراء مهاجراً تاركاً مضارب قبيلته هائماً على وجهه متجهاً إلى الجنوب .!

صار محمد ينتقل من حي إلى حي.. حتى وصل إلى مضارب قبيلة في أقصى الجنوب وحط رحاله تلك القبيلة.. وصار راعياً للإبل عند أحد أفرادها.. بأجر سنوي معلوم.. وانقضت سنة وسنتان وثلاث وهو صابر مثابر على عمله يجمع ما يحصل

عليه من أجر .! ويوفر كل ما يستطيع توفيره للسنوات المقبلة..
وكان يشغل باله امران :-

الأول: أن يعود إلى أهله وقبيلته.. والثاني: أن يمتلك فرساً.!! تكون له عوناً في مستقبله.. وجمالاً وعزاً في حياته.. وسئم محمد من رعي الإبل... ودفعه هذان الغرضان إلى أن ينهي أعماله وأن يشتري راحلة .. ثم يسافر من أهل ذلك الحي.. ضارباً في كبد الصحراء متجهاً إلى غير هدف معين.!!

وانتقل محمد من حي إلى حي.. حتى وصل ذات يوم إلى قبيلة في كبد الشمال... وسار على راحلته بين مضارب ذلك الحي.. ورأى بيتاً كبيراً من بيوت الشعر.. وبجواره فرس مربوطة.. ونظر الشاب إلى تلك الفرس فأعجبته وكرر اليها النظر.. فإذا هي الفرس التي كان يتمناها ويرغب في امتلاكها.. ونظر إلى بيت الشعر الذي ربطت بجوار تلك الفرس وإذا بعموده الأوسط قد قوض.. علامة المصيبة وقصم الظهر.!!

وسار إلى بيت في طرف الحي نفسه.. وأناخ راحلته بجواره.. ورأته صاحبة البيت فعلمت أنه قد استضافها.. فهلت به ورحبت وقدمت له أواني القهوة والحطب فأوقد النار.. وعمل القهوة لنفسه وقدمت له المرأة ما تيسر من طعام.!!

ثم جاء الليل فقدمت المرأة لضيفها العشاء.. ونام أفراد الحي كلهم وضرب السكون بجرانه عليهم.!! أما محمد فإنه لم ينم بل بقي في فراشه.. يتقلب من الجنب الأيمن إلى الجنب الأيسر.. ومن الجنب الأيسر إلى الجنب الأيمن مترقباً الفرصة المناسبة لتنفيذ ما هم به وشغل باله .! ولما علم محمد بأن جميع

أفراد الحي قد راحوا في سبات عميق تسلل من فراشه برفق وحذر.. واتجه إلى البيت الذي ربطت بجواره الفرس.. وصار يمشي ويلتفت يميناً وشمالاً ليتأكد من خلو الطريق .! ووصل إلى مربط الفرس دون أن يراه أحد ووثق بالفوز والظفر .! وضرب بيده إلى رباط الفرس ليفكه ولكنه وجد أن في يديها قيداً من حديد مقفل.!!

وجعل محمد يعالج الحديد ليكسره أو يفتح القفل.. وفي أثناء محاولته كان يصدر من الحديد صوت قرقعه ولكنها خفيفة.!! لا توقظ نائماً.. ولا تلفت نظر مستيقظ.!!

وبينما كان محمد في محاولاته هذه لم يشعر إلا بيدين من حديد تقبضان على يديه من وراء ظهره.. ثم تحملانه إلى جهة البيت دون أن يستطيع حراكاً أو فكاكاً ونادى الشخص الذي يحمله قائلاً يايمه أي يا أماه وجاءت عجوز تسعى مسرعة فقال الشخص المنادي أوقدي النار فأوقدت النار.. ووضحت الرؤية.!!

ونظر محمد إلى الشخص الذي قبض عليه وحمله بين يديه.!! فإذا هي فتاة في عمر الزهور.. ونظرت اليه الشابة فقالت أنت محمد .! فدهش الشاب وقال إنني لست محمداً.. فقالت بل أنت محمد وخجل الشاب خجلاً عظيماً وتضاءل عند نفسه.!!

إن الذي قبض عليه لو كان رجلاً لهانت المصيبة.!! ولكنها امرأة.. انتصرت عليه ولم يستطع تجاهها أن يعمل شيئاً... وألجم الخجل لسان محمد فسكت ولكن المرأة لم تسكت فقد قالت لمحمد جئت في الوقت المناسب.. إن والدي مأسور عند القبيلة الفلانية وهو يرسف عندها في القيود والأغلال منذ وقت

بعيد.. وإنني أريد منك أن تخلصه من الأسر... وتكون الفرس لك مقابل عملك هذا .!

فذهب بعض خجل الشاب عندما رأته أهلاً لهذه المهمة التي لا شك أنها عسيرة.!! واستعاد بعض ثقته في نفسه وقال للشابة :- إنني مستعد... ولكنني أعزل لاسلاح معي.. فقالت الشابة.. إن كل ما تطلبه من السلاح موجود فاطلب جميع ما تحتاج اليه.!!

فطلب محمد منها سيفاً ورمحاً وخنجراً.. ثم ركب على الفرس وذهب متجهاً إلى مضارب القبيلة التي أسر عندها والد الفتاة.. وسار جاداً في سيره مواصلاً ليله بنهاره حتى قرب من الحي.. فانزوى في مكان منخفض... وقيد فرسه لترعى وترتاح وذهب إلى الحي .! وتجول فيه حتى عرف البيت الذي فيه الأسير.. ثم عاد... ليرتاح بجوار فرسه.!!

وعندما جاء الليل بدأ محمد يستعد للبدء في مهمته وفي أواخر الليل عندما نامت العيون وضع السرج واللجام على فرسه.. وجعلها جاهزة للهرب.. وأخذ سلاحه الخفيف.. الخنجر والسيف.. واتجه إلى البيت الذي فيه الأسير.. ولم ير في طريقه أحداً.!!

واستمر في سيره حتى دخل البيت المقصود فرأى الأسير مكبلاً بالحديد وقد التحف شمله.. نام على طرفها الأيمن عبد.!! ونام على طرفها الأيسر عبد آخر.!!

كان الأسير مستيقظاً.. فرأى هذا الشخص الذي جاء لينقذه .! فأشار اليه بأن يبتعد.. وبأن لايقوم بالمحاولة في تلك الليلة.. ولكن الشاب تجاهل هذه الإشارة.. وتقدم حتى قرب

من الفراش فلاحظ أن العبدين قد استغرقا في النوم.. وفكر في الطريقة التي يزيح بها هذه الشملة عن الأسير.!! إنه لايستطع رفعها لأن أطرافها مشدودة .

وفكر محمد قليلاً.. ثم وضح له الطريق.. فأخرج خنجره ثم شق الشملة في وسطها.. وألقا طرفيها يميناً وشمالاً.. ولم يتحرك العبدان.. وقد كان محمد مستعدا لقتالهما لو تحركا.. وحمل محمد أسيره على ظهره والحديد في رجليه.. وخرج به من البيت يسير في تؤدة ورفق.!!

فلما خرج من بين البيوت.. أطلق لرجليه العنان.. حتى وصل إلى الفرس.. فركب بعد أن وضع الأسير على قطاة الفرس ثم أطلق لها العنان.. فسارت بهما تطوي الأرض طياً.. وكانا يلتفتان إلى الوراء ما بين وقت وأخر خوفاً من طلب الأعداء.!!

والتفت الشيخ الأسير ذات مرة.. عندما ظهرت له تباشير الصباح فرأى غباراً عن بعد.. ولا حظ أن هذا الغبار يقترب منهم شيئاً فشيئاً فعلم أنه غبار خيل قد لحقت بهما.!!

وصمم محمد على ملاقات القوم والدخول معهم في معركة.. ولكنه أراد أن يختار الأرض المناسبة للطراد.. فاستمر في هربه حتى توسط في أرض مستوية صالحة للدخول مع هؤلاء الفرسان في معركة فاصلة .!

فأوقف فرسه وأنزل الأسير من فوق ظهرها.. ثم علا على ظهرها وصرفها إلى جهة الفرسان الذين لحقوا به.. وأطلق لها العنان فاتجهت إليهم كالريح العاصف.. وشق الخيل نصفين.. وأطاح إلى الأرض منهم قتيلين.. وخرج من القوم حتى ابتعد

عنهم قليلاً... ثم صرف فرسه.. وانطلق اليهم ثانية.!!

كانت الضربة الأولى قد زعزعت ثقة القوم بأنفسهم... ودب إليهم الخوف والخور.. وهذا هو أول بوادر النصر.. وهجم هجومه الثاني فجندل منهم فارسين لحقا بمن سبقهما.!!

وبقي في الميدان فارسان فحاولا الهرب.!! ولكن لا هرب.! إن الفارس محمد لا يريد أن يعود من الفرسان أحد.!! ولحق بأحدهما حتى أدركه ثم جندله صريعاً.. ثم لحق بالآخر والأخير... فألحقه برفاقه.. وأخذ محمد أفراس القوم وأسلحتهم.. ثم عاد إلى الأسير ففك قيده وأركبه على إحدى الجياد.. واقتاد الباقي معه.!!

واتجهوا إلى الحي الذي يقصدونه فلما أقبلوا على الحي.. رأى محمد أن أعلام الزينه والأفراح قد انتشرت في الحي.. ورأى حركة غير عادية استراب منها.. وظن أن هذا الحي غير الحي الذي يقصده وقال لرفيقه الأسير.. لقد رحل حيكم من هذا المكان وحل محله قوم آخرون.. لأنني أرى الآن أشياء ما كنت رأيتها عندما كنت بين أظهرهم منذ أيام.!!

فقال الشيخ إن هذا هو الحي ولكنه قد ازدام.. وأقام معالم الأفراح انتظاراً لقدومنا.!!

وتقدم الفارس بالأسير.. حتى قرب من الحي فاستقبل الاثنان استقبالاً عظيماً.. ومشى محمد على فرسه بين بيوت الحي.. وثيابه لا تكاد تسعه فقد أنقذ شيخ قبيلة من الأسر.. وملك فرساً أصيلة لا تجارى ولا يكاد يدركها الطالب أو يفوتها الهاب.. واستعاد ثقته بنفسه بعد أن أذلته تلك الشابة وقبضت

عليه فلم يستطع حراكاً.!!

وأقيمت حفلة عظيمة علىشرف شيخ القبيلة الذي نجا من الأسر.! وإكراماً للفارس المغوار الذي انتشله من بين الأعداء... ثم جندل الفرسان الذين أرادوا أن يعيدوه إلى الأسر ثانية طلباً للفداء.!!

وقال شيخ القبيلة للشاب الذي أنقذه:- أطلب مني ما تشاء.! فقال محمد.. إنني أطلب منك هذه الفرس التي أنقذتك على ظهرها.! وكانت هذه هي الأمنية الوحيدة التي يتمناها محمد ويرجو أن يصل اليها.!!

فقال له شيخ القبيلة إن الفرس قد صارت ملكاً لك منذ أنقذتني عليها.. ولكن أطلب شيئاً آخر.!! إن كلما أملك تحت أمرك.!! فقال له الشاب محمد بعد هذا العرض المغري.. إنني أطلب منك ابنتك.!! أن تزوجنيها على سنة الله ورسوله.!!

فقال الشيخ لك ما طلبت وأرسل الشيخ حالاً في طلب المأذون الشرعي (المطوع) فعقد للشاب عقد الزواج من ابنة الشيخ.. وزفت العروس إلى زوجها في تلك الليلة.!!

والتقى الشاب بالشابة.. في ليلة الزواج.. وكان لقائهما ليس لقاء الغرباء.. ولكنه لقاء شابة تعرف زوجها.. ولقاء شاب قد رأى زوجته وعرفها.. وتصارع الزوجان ليلة الزفاف ولكنه صراع الحب والهوى.. وصرع الشاب زوجته... وكان يظن في نفسه غير ذلك .!

وقال الشاب لزوجته كيف صرعتك الآن.. مع أنك في تلك الليلة الليلاء كنت قبضت علي فلم أستطع حراكاً.!!

فقالت الشابة في حياء وخفر.. لقد تغير الوضع الآن...

فقد كنت في المرة الأولى أمام شخص عاد مريب.!! أما الآن فأنا مع زوج حبيب.!! وفرق شامع بين هذا الموقف وذاك.!!

وجاء الصباح.. وخرج العروسان إلى أفراد الحي وانضمت الشابة إلى النساء.. وانضم الشاب إلى الرجال بين معالم الفرحة والابتهاج وصار محمد كفرد من أفراد هذه القبيلة.!! ولكنه فرد غير عادي .! لا في نظر نفسه بل في نظر الآخرين.. بل إنه الفارس المنقذ.!! أنقذ شيخ القبيلة ثم تزوج ابنته.. ثم إنه لازال في مقتبل الشباب والمجال أمامه مفتوح لنيل السيادة والمجد.!!

وقال شيخ القبيلة لزوج ابنته بعد أن انتهت أفراح الزفاف.!! اعتبر نفسك قائد القبيلة ومدبر أمورها إذا شئت أن تقيم بين أظهرنا .! وإن أردت الرحيل فهذه الخيل والإبل والعبيد أمامك خذ منها ما يطيب لك وخذ زوجتك وارحل إلى حيث تريد.!!

وفكر الشاب فيما عرضه عليه الشيخ.!! فرأى أن بقاءه بين أفراد تلك القبيلة أمر غير ممكن.. مع ما قوبل به ويقابل به من إعزاز وتجلة واحترام.!! وإذا فلا بد من الرحيل ولكن إلى أين.؟!

إن قبيلته لا تريده إلا بعد مضي سبعة أعوام.. لم يمض منها إلا أربعة وبقي ثلاثة.!! والأيام إذا عدها الإنسان وترقب زوالها طالت عليه .! والشاب محمد يحس بشوق ولهفة لاتقاوم لقبيلته وأفراد أسرته.. حتى ولو كانوا لا يبادلونه هذا الشعور علنا إلا أنه يحس أنهم يبادلونه هذا الشعور سراً.!!

ولم يجد الشاب محمد إلا حلاً واحداً لمشكلته.. وهو العودة إلى قبيلته واليكن ما يكون .

وأخبر الشاب والد زوجته بأنه سوف يرحل بزوجته ويذهب إلى مضارب قبيلته فوافق الشيخ على هذا الرأي مكرهاً.. وأعطى محمد كثيراً من السلاح والخيل والإبل.!! وشد محمد الرحال بما معه متجهاً إلى قبيلته.!!

وعندما قرب من مضارب الحي المقصود حط رحاله وضرب خيامه ورتب أمور عائلته ثم لبس سلاحه وركب حصانه.. ثم شق طريقه بين مضارب الحي متجهاً إلى بيت والده الذي يجتمع عنده في مثل ذلك الوقت كبار أفراد الحي.. ومن لهم الحل والربط والرأى في كل معضلة تتعرض لها القبيلة أفراداً أو جماعات.!!

وتقدم محمد على جواده وهو شاكي السلاح حتى وقف على رؤوس القوم.!! وقال لهم جميعاً اسمعوا يا أفراد قبيلتي الأعزاء لقد صبرت على الغربة صبر الكرام وقد نفد صبري الآن.. وبدافع الحب والشوق أتيت اليكم.. وسوف أعيش بينكم كفرد منكم مهما كلفني هذا الأمر من مشاق.. حتى ولو كلفتني هذه المشاق حياتي.!!

فمن كان منكم أيها القوم يعارض في قراري هذا فليرفع يده.! ونظر محمد إلى كبار رجال قبيلته فلم ير أحداً منهم رفع يده للمعارضة في هذا القرار.!!

وأراد والد محمد أن يتكلم فقال له ولده اسكت يا والدي معززا مكرماً.!! فإنني أريد أن يتكلم غيرك أو يعترض على قراري غيرك.!! ولاذ القوم كلهم بالصمت فأردف محمد قائلاً :- إنني أفهم من هذا السكوت عدم المعارضة.. ولهذا فإنني سوف

آتي بعائلتي وأفراد حاشيتي.. وسوف أنزل في طرف من أطراف الحي . وسوف أفتح باب بيتي على مصراعيه.. فمن أراد إكراماً وكرماً فإهلاً به وسهلاً ومن أراد غير ذلك فإنني على أتم الاستعداد لمقابلة الشر بالشر والبادي أظلم.. والله على الظالمين خير معين.!!

وانصرف محمد عن القوم وكل واحد منهم ينظر إلى من يليه ولايحير جواباً.. وذلك من جراء الدهشة من هذا الموقف المفاجيء الحازم الذي جعل كبار رجال القبيلة يتراجعون عن الإصرار على تنفيذ بقية الحكم الصادر على محمد حسب العرف والتقاليد القبلية المتعارف عليها.!!

وذهب محمد إلى أهله ورحل بهم.. حتى جاء إلى طرف من أطراف الحي فضرب خيامه فيه.. وأوقد ناره وربط الخيول عن يمين بيته وشماله.. وصار الخدم يعدون ما يراد منهم إعداده فالراعي ذهب بمواشيه.. وصانع القهوة شرع في عملها.. والذين يرتبون الخيام وينضدون الفرش جادون في عملهم.!!

ورأى أفراد الحي.. هذا الطارق الذي ليس غريباً عليهم.. ولا نكرة فيهم.. فصاروا يتسللون إلى بيته واحداً بعد واحد.... وهم يرحبون به.. وهويقابل التحية بسرور وبهجة.. ويكرم كل من أتى إلى بيته.. ويظهر له الحب ويبادره بالترحاب ويقدم له ما يتناسب مع وقت مجيئه من طعام أو شراب.!!

ومضت الأيام وبيت محمد كعبة الرواد من جميع أفراد القبيلة

على مختلف مستوياتهم... وكأن تلك الجناية التي جناها محمد لم تكن .! وبدأت شهرة محمد وكرمه وقوة شخصيته تطغي على والده الذي أناخت عليه الشيخوخة بكلكلها وجعلته لا يتحمل المقابلات ولا المجاملات التي يجب أن تتسع لجميع أفراد القبيلة.!!

بينما محمد يكرم الكبير .! ويرحم الصغير .! ويعطف على الفقير .! ويرعى شؤون القبيلة.. ويقابل كل فرد فيها بما يجب.!! حتى ساد قبيلته في حياة والده

وعاش محمد بين أفراد قبيلته رفيع المكانة محبوباً من الكبير والصغير.!! وملجأ للضعيف والفقير.!! لاينازع في شرف ولا يعارض في أي أمر يصدره في أي شأن من شؤون القبيلة.!!

وهكذا انتهت الأحوال بالشريد الطريد إلى أن يكون السيد لا المسود.. وسبحان مدبر الأمور.. وجاعل العبر في تقلبات الأيام والدهور.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



التائبة التي لازمت الحرم ليلاً نهاراً

حجت إحدى العجائز مع ولدها لا لتقضي فرضها.. ولكن لتتزود من الأعمال الصالحة... لأنها قد سمعت أن إحدى النساء سألت الرسول هل على النساء جهاد ؟ فقال لها نعم عليكن جهاد لا قتال فيه وهو الحج.!!

ولهذا فقد حرصت هذه العجوز على أن تحج كثيرا بقدر ما تستطيع.. وكانت ذات حجة في الحرام ليلا تتهجد وتتمتع بمشاهدة بيت الله الحرام.. وفي ذات ليلة رأت امرأة ملازمه للحرم لاتخرج منه ليلاً ولا نهاراً.. وكانت دائمة البكاء والعويل..!

وسألت العجوز هذه المرأة عن أسباب هذا البكاء والنحيب فقالت لها المرأة إن قصتي غريبة.. وإنني إذنبت ذنبا أفسد على حياتي الزوجية وحطمني في دنياي... تحطيما لا أمل في إصلاحه.. ورأيت أن خير طريق أكفر به عن خطيئتي هو ملازمة بيت الله الحرام والتعبد نهاراً والتهجد ليلاً لعل الله أن

يغفر لي خطيئتي.. ويكفر عني سيئاتي .! وأن لا يجمع علي بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.!!

وتطلعت العجوز إلى هذه المرأة الشابة الذابلة وقالت لها إن الله غفور رحيم.. ولن يجمع بين عسرين والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فلا تيأسي ولا تقنطي من رحمة الله.!!

واستمرت العجوز تضرب على هذا الوتر الحساس حتى أنست بها المرأة واطمأنت اليها...

ثم قالت العجوز للمرأة هل لك أن تقصي علي قصتك على أن تكون سراً مكتوماً.. ولعلك أن تجدي عندي ما يسليك ويعزيك في مصابك الأليم.!!

فقالت المرأة إنني سوف أقص عليك قصتي.. ولكن على شرط الكتمان كما ذكرت.. فوعدتها العجوز بالكتمان وشرعت المرأة في سرد قصتها فقالت :-

لقد كنت متزوجة بزوج كريم.. وكنت سعيدة بهذا الزواج راضية به كل الرضا...

وكان لزوجي ابنة من امرأة قبلي.. وكبرت هذه الابنة حتى بلغت سن الزواج إلا أنه لم يتقدم أحد لخطبتها.!!

وضقت ذرعا بوجود هذه الابنة في البيت.. وفكرت في مكيدة أقضي بها عليها.. وأتخلص منها نهائيا ليصفو لي الجو... ولأكون المرأة الوحيدة في البيت.. والآمرة الناهية فيه.. لأن بنت الرجل كانت تنافسني في البيت... وتشاركني في تدبير شؤونه.. الأمر الذي يجعل زوجي ينصرف عني في بعض الأوقات إلى ابنته... ويكفلها ببعض شؤون المنزل التي أراني أحق بها.!!

وجاء يوم جمعة وذهب زوجي إلى الحرم مبكرا وتوافد الرجال والنساء إلى الحرم.. وكنت أنا وابنة زوجي في البيت.... فلبست ملابسي.. وقلت لابنة زوجي إنني سوف أذهب لأصلي في الحرم.. ثم بعد الصلاة سوف أزور أهلي.!!

وخرجت عند الباب وأقفلته.. ثم وقفت عنده كأنني أحاول فتحه من جديد... وكأنه قد استعصى علي فتحه.. وفي هذه الأثناء مر بي رجل مستعجل وفي يده مصحفه ليذهب إلى الحرم.. فناديته.. وقلت له من فضلك افتح لي هذا الباب..

فجاء الرجل مسرعا وأخذ المفتاح مني.. وفتح الباب... فلم يكن مني إلا أن أدفع بالرجل إلى داخل الدار.. وأن أغلق عليه الباب سريعاً ثم ذهبت إلى بيت أهلي.. ودار زوجي مغلقة على ابنته مع هذا الرجل الغريب .

وحاول الرجل فتح الباب ولكنه لم يستطع... وأخيراً رضخ للأمر الواقع.. ورأى الفتاة الوحيدة في البيت فلم يحاول أن يمسها بسوء.. وإنما جلس في زاوية من زوايا البيت مستسلما للأقدار ومترقبا النتائج.!!

وانتهت صلاة الجمعة... وجاء الزوج والأب إلى بيته على عادته وفتح الباب بمفتاح كان يحمله في جيبه وعندما دخل إلى البيت ونظر لم يصدق نظره... إنه رجل غريب معه مصحفه... يجلس في جانب من جوانب المجلس.. ودهش الرجل وبقي هنيهة لايحير جوابا.!!

هذا والرجل الغريب جالس.. هادئ الأعصاب هادئ النظرات وسأله الزوج في غضب وانفعال عن سبب دخوله في

بيته وخلوته بمحارمه .؟!

فقال الرجل الغريب بهدوئه المعهود هدئ أعصابك قليلاً وأعطني الفرصة الكافية لأقص عليك ما حدث وبعد ذلك تصرف كما شئت.

وجلس الزوج وأنصت إلى ما سيقوله الرجل الغريب وقص.! الرجل الغريب قصته.. وأخبره بكل ما جرى بلا زيادة ولا نقصان كما أن الرجل الغريب عرف الزوج بنفسه وبعنوانه.. وقال له إذا جرى للفتاة أي شيء فأنا المسئول عن ذلك والمؤاخذ عليه.!!

وصدق الزوج بكل ما سمعه من ذلك الشاب الغريب الذي ظهر من ثبات جأشه وهدوء أعصابه أنه برئ من أية تهمة.!!

واستأذن الرجل الغريب فخرج من البيت ذاهبا في حال سبيله بعد أن ترك عنوانه كاملاً عند صاحب البيت...

وسأل الرجل ابنته عما جرى فأخبرته بكل ما حدث... وكان ما أخبرت به والدها يطابق ما أخبره به الرجل الغريب..

وفهم الزوج كل شيء.. هذا وزوجته عند أهلها.. وقد هجرت بيتها لا لشيء إلا لاحساسها بأنها قد أذنبت وأجرمت في حق زوجها وفي حق ابنته الشابة الشريفة المستقيمة.!!

ولم يكن من الزوج بعد وضوح هذه الحقائق إلا أن يطلق هذه الزوجة...

ثم بعد بضعة أيام جاء ذلك الشاب المغرر به إلى والد الفتاة فخطبها منه فزوجه بها..

وختمت المرأة حديثها إلى العجوز قائلة :-

وهكذا ترين أن مكيدتي عادت بالوبال إلى نفسي.. وأن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.!!

وتابعت المرأة حديثها قائلة :-

إنـنـي الآن لا أمـل لي في شيء مـن حـيـاتي إلا عـفـو الله وغفرانه.! والتخلص من تأنيب الضمير الذي يلح علي ويذكرني بجريمتي كلما شارفت على نسيانها..

وأعادت العجوز ما كانت قالته من أن عفو الله واسع ولا سيما للتائبين من الذنوب.. وأنه في الحديث القدسي أن البشر لو لم يذنبوا لذهب الله بهم وأتى بقوم يذنبون... ثم يستغفرون الله فيغفرلهم .!

وبعد هذا افترقت المرأتان.!! وأسدل الستار على ما كان.!



سبحونـــة :

١٣- عَويّــد الستـــاد

«رويت أصل هذه السبحونة عن الأخ الصديق الاستاذ
عبد الرحمن بن فهد البواردي وكتبتها بأسلوبي الخاص»

اجتمع الأطفال حول جدتهم فبادرتهم قائلة إنني سوف أقص عليكم في هذه الليلة سبحونة عويد الستاد وكان الأطفال لم يسمعوا بهذه السبحونة من قبل فوافقوا جميعاً على سماعها.. واستحثوا جدتهم على الشروع فيها حالاً .

فقالت الجدة حباً وكرامة.. هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك العائلة المؤلفة من أب وأم وثلاث بنات كلهن قد بلغن سن الزواج..وقد تقدم لخطبتهن عدة أشخاص إلا أن الوالد كان يرفض الموافقة على طلبهم لأنه يرشح بناته لمن هو أفضل منهم .!

وكانت البنت الصغيرة هي أجملهن فقد حباها الله بجسم معتدل وصحة جيدة ووجه مشرق مستدير كأنه فلقة قمر.. ولم يشعر والد الفتيات ذات يوم إلا برجل أسود غريب يتقدم إليه ويخطب منه ابنته الصغرى.. فاعتذر الوالد لهذا الخاطب الجديد

بعذر لطيف وهو أنه لايستطيع أن يزوج الابنة الصغرى قبل أخواتها الكبريات .!

هذا هو العذر الذي استطاع أن يعتذر به الوالد... ولكن هناك عذرا آخر وهو أن الخاطب عبد أسود بينما المخطوب منه ينتمي إلى قبيلة عربية أصيلة من قبائل العرب التي لاتزوج بناتها إلا لمن هو في مستواها من الأصالة في النسب... ولهذا فقد رفض الأب هذه الخطبة.. ولكن العبد ألح عليه في طلب الزواج من البنت الصغرى مع تجاهل جميع العادات والتقاليد السائدة في تلك المجتمعات.!!

فرفض الأب أن يستجيب... إلا أن العبد هدد الوالد بالقتل إذا لم يزوجه ابنته الصغرى.!! وأحس الأب بالخطر الذي لايمكن أن ينقذه منه أحد .! وأحس في لهجة الرجل بقوة وتصميم على بلوغ ما يريد.. حتى ولو أدى ذلك إلى القتل.. فخشي من عواقب هذا التهديد الوخيمة واستجاب للخطبة تحت طائلة التهديد والوعيد.!!

وزفت الفتاة إلى زوجها دون أن يؤخذ رأيها... فإن الفتاة ليس لها رأي في مثل هذه الأمور.. بل الأمر كله راجع لوالديها... بل لوالدها وحده.. فإذا وافق على زواج ابنته بأي رجل فإن عليها أن تقبل هذا الرجل مهما كان بينهما من الفوارق في الحسب أو النسب أو المركز الاجتماعي.!!

ولهذا فإنه ليس هناك عقبات تعترض طريق هذا الزواج مادام والد الفتاة قد وافق عليه.!!

ومكث العبد مع زوجته بضعة أيام بجوار أهلها ثم استاذن للرحيل بزوجته إلى بلده وإلى أهله وذويه .



واشترت زوجة عويد جارية لتساعدها وتؤنسها.. ولكن هذه الجارية احتالت واغتصبت زوج المرأة عويد. وذهبت معه وتركت سيدتها في الصحراء.!!

فلم يكن أمام الوالد والوالده إلا الموافقة مرغمين.!!

وسافر العبد بزوجته... وأسكنها قصراً كبيراً واسعاً مليئاً بالخدم والحشم والحاشية والاتباع الذين كلهم في طاعة هذا العبد وكلهم لخدمته وتوفير أسباب الراحة له.!! ودخلت الزوجة في هذا القصر فبهرها ما رأت فيه من أثاث وترف ونعيم.!! وكانت الفتاة لا تعمل أي عمل في هذا القصر العظيم بل كل شيء يأتيها جاهزاً.. فما عليها إلا أن تأمر.!! فإذا أمرت فإن الخدم والأتباع يحضرون لها طلبها في أسرع وقت وأقصره.!!

وعاشت الفتاة في هذا الجو الغريب المريح لفترة من الزمن.!! ثم اشتاقت إلى أهلها وأقاربها ووطنها فطلبت من الأسود الذي هو زوجها وصاحب هذا القصر والخدم والحشم أن يسافر بها إلى بلدها لزيارة أهلها.! فقال لها زوجها استعدي للسفر.. وسوف استعد له أنا وسوف نسافر بعد يومين أو ثلاثة.!

ومضت الأيام الثلاثة.. وتمت الاستعدادات للسفر فأخذ الأسود زوجته وتوجه بها إلى أهلها .! ولم يشعر أهل الفتاة إلا بابنتهم تصل اليهم ومعها زوجها الأسود.. وهما يحملان الهدايا والتحف لجميع الأقارب... ومظهر الفتاة في غاية الروعة والجمال... وهي في غاية الصحة والعافية.. الأمر الذي أشعر أهل الفتاة بأن ابنتهم سعيدة بهذا الزواج... راضية كل الرضا بهذا العبد الأسود.!!

وكان زوجها يلازمها في كل وقت من أوقاتها.. فلا يترك لأحد من أفراد أسرتها أن يخلوبها.. أو يسألها عن طريقة حياتها الخاصة .! المليئة بالأسرار والمعميات والألغاز.!!

وكان لهذه الزوجة أخت ذكية تريد أن تعلم من أختها أسرار معيشتها مع هذا الزوج... الأسود.. وكيف يعاملها... وما هي طريقة حياتها معه .! وحاولت هذه الأخت أن تخلوا بأختها عدة مرات... إلا أن هذا الأسود لايترك لهما مجالا للانفراد.!!

وبدأت هذه الأخت تترقب الفرصة المناسبة للخلوة بأختها.!! ولكن هذه الفرصة لم تتح لها .! إلا أن الأخت لم تيأس واستمرت في ترقب الفرصة المناسبة.. وانشغل الزوج ذات يوم بالتحدث مع أحد الضيوف.. وقامت زوجته تريد الحمام.. فسبقتها أخته اليه.! وانتظرتها فيه حتى دخلت عليها.!

خلت الأختان بأنفسهما.. وسألت الأخت أختها عن هذا الزواج وهل هي سعيدة به أم شقية.. لأن المظهر قد يكون مضللا في بعض الأحيان.!!

فقالت الزوجة إنني سعيدة بزواجي وأنا معززة مكرمة أعيش في قصر عظيم مليء بالخدم والحشم.. الذين يحضرون طلباتي ويلبون رغباتي ويأتمرون بأمري.. ويقومون بخدمتي طيلة ساعات الليل والنهار.!!

وهذا العبد الذي هو زوجي بمثابة أخي.. يعزني ويكرمني ويحرص كل الحرص على راحتي وسعادتي .! وهم يتبعون طريقة لطيفة عند النوم .! فإذا جاء موعد نومي . جاؤا إلى بكأس من الماء.!! فإذا شربته ذهبت في نوم عميق وأحلام سعيدة لا أصحو منها إلا في صباح اليوم التالي.. فإذا صحوت من نومي وجدت الخدم يحيطون بي ويحضرون لي كل طلباتي!!!

هكذا أعيش... على هذا الروتين الذي لايتغير ولا

يتبدل.! وقد ألفت هذا الوضع واعتدت عليه طيلة الأيام التي غبتها عنكم .!

فقالت لها أختها... إذا عدت مع زوجك... وجاء موعد النوم وقدموا اليك الكأس لتشربين ما فيه فتظاهري بأنك تشربينه... ثم صبي ما فيه بين ثوبك وجلدك... ثم نامي وتظاهري بأنك قد شربت الكأس ونمت.!! ثم انظري ماذا يحدث.!!

فقالت الزوجة سمعاً وطاعاً إني سوف أعمل بما تقولين.!! وسوف أرى ماذا يحدث.!!

وعندما انتهت مدة الزيارة سافر الأسود بزوجته إلى ذلك القصر المعهود فوصلوا اليه ليلاً قرب موعد النوم.. فوجدت الزوجة الخدم والحشم في انتظارها.. فخلعوا ملابس السفر عنها.. وألبسوها ملابس النوم وقدموا لها وجبة من الطعام خفيفة.. ثم تهيأت الفتاة للنوم فجاؤا إليها بكأس الماء المعتاد.. فتظاهرت بأنها تشربه.. بينما هي قد صبته في جيبها.!!

ثم نامت وتظاهرت بأنها ذهبت في نوم عميق على عادتها.!! وأقبل إليها بعض الخدم وهي فوق سريرها تغط في نوم عميق.!! أو هكذا تظاهرت... فجعلوا يهزون رأسها.. ويقرصونها في بعض مواضع من جسمها ليتأكدوا من نومها وتخديرها.. وهي تتألم فيما يحدث لها وتحس به.. ولكنها تحاول أن تتحكم في أعصابها... فلا يصدر منها أي حركة تدل على أنها يقظى.!!

وعندما انتهى دور الخدم.. ذهبوا جميعا عنها وتركوها وحيدة على سريرها ولم تشعر الفتاة بعد إلا بشاب أبيض جميل الصورة

يدخل عليها في غرفتها ويقترب من سريرها.!! فنهضت الفتاة بحركة لا شعورية... ونظرت اليه مبهورة بجماله وبادرته بقولها :-

ما اسمك .؟!

فقال لها الشاب هل تسألين عن اسمي أم عن جسمي .؟! فقالت الفتاة بل أسأل عن اسمك.!!

وكرر عليها الشاب كلامه هذا ثلاث مرات.. وهي تصر على أنها تسأل عن اسمه لا عن جسمه.!!

فقال لها الشاب في المرة الثالثة إن اسمي عويد الستاد فص ملح وذاب.!! وبعد هذه الجملة صار الشاب يختفي عن نظرها شيئا فشيئا حتى غاب عنها تماما.!! وبعد لحظة من هذا المشهد الغريب وجدت الفتاة نفسها وحيدة في صحراء قاحلة موحشة.!!

لقد اختفى القصر.. واختفى جميع من فيه ولم تر الفتاة حولها أي أحد ولم تسمع إلا أصوات الرياح عندما تصطدم بأغصان الشجيرات الصحراوية المنتشرة هنا وهناك !! ونهضت الفتاة مرعوبة من هذه الوحدة التي لم تألفها .! وقلقة من هذه الصحراء الموحشة التي لا تدري ماذا يصادفها فيها.!!

وسارت الفتاة على قديمها في تلك الصحراء الموحشة وهي وحيدة خائفة تترقب في كل لحظة أن يهجم عليها وحش من وحوش الصحراء أو وحش من وحوش البشر.!! وواصلت السير مجدة فيه فهي ليس معها طعام ولاشراب وليس أمامها إلا السير الحثيث لعلها تجد قرية... أو تجد مضرباً من مضارب الأحياء الذين يسكنون في الصحراء.

واستمرت في السير وقد نال منها التعب... وشعرت

بالاعياء.! وعندما ارتفعت ذات مرة على تل مشرف أبصرت أمامها مدينة كبيرة محاطة بالمزارع والبساتين... ففرحت بالنجاة.. وزالت عن نفسها بعض تلك المخاوف والوساوس التي كانت تسيطر على فكرها وتشغل بالها.!!

ودخلت الفتاة المدينة وجعلت تتجول في شوارعها بحثاً عن منزل عائلة تلجأ اليه.. حتى يهيأ الله لها فرجاً ومخرجاً.!!

ومرت ببيت أملت في أهله الخير ورجت أن يكون في التجائها اليه ما يخفف من مصابها... ودقت باب هذا البيت ففتح لها الباب شخص لم يكن غريبا عليها.. إنه عويد الستاد الذي عرفها وعرفته واستقبلها بفرحة وبشاشة.. كما أنها شعرت بمثل تلك المشاعر.!!

وقال عويد للفتاة ادخلي.. ولكن والدته رفضت دخول هذه الفتاة الجميلة الغريبة إلى دارها إلا أن عويد الستاد قال لو الدته محاولا إقناعها:-

يا والدتي العزيزة إن هذه فتاة غريبة وفي ايوائها أجر ومثوبة كما أن هذه الأيام هي أيام زواجي وسوف تكون هذه الفتاة خير عون لنا على ما يتطلبه الزواج من عمل واستعداد وتنظيم.!!

فاقتنعت الأم بكلام وسمحت للفتاة بالدخول ورأتها فرصة مناسبة لاستخدام هذه الفتاة في تنظيف المنزل وتنسيق الفرش.! وتنضيد الأواني.!!

وقدمت الأم لهذه الفتاة الغريبة مكنسة مكللة أطرافها باللؤلؤ والمرجان.!! وقالت لها خذي هذه المكنسة ونظفي بها البيت.!! واحرصي على أن لا تسقط منها حبة واحدة من حبات اللؤلؤ

والمرجان فإنها إن سقطت حبة واحدة.. فإنني سوف أعاقبك أشد العقاب.!!

فأخذت الفتاة المكنسة وشرعت في تنظيف البيت بها بكل حيطة وحذر على حبيبات اللؤلؤ والمرجان أن تتساقط.. ولكن الذي حصل أن تلك الحبيبات على الرغم من كل الاحتياطات بدات تتساقط الواحدة تلو الأخرى.. وأحست الفتاة بأنها وقعت في المحذور وأنها تنتظر عقاباً شديداً لا تدري ما هو.. ولا كيف سيقع عليها.! ولم تشعر وهي تعيش في مخاوفها هذه إلا بعويد الستاد يأتي اليها في غفلة من غفلات أمه.. فيأخذ المكنسة منها ويعيد حبيبات اللؤلؤ والمرجان إلى أماكنها السابقة... ثم يكنس البيت بها جميعه... فلما انتهى سلم المكنسة إلى الفتاة وهي سليمة.!! وكل حبة من حبوبها في مكانها المعهود.!

وذهبت الفتاة إلى أم عويد وأخبرتها بأنها أتمت مهمتها وأن المكنسه سليمة.. فأخذت الأم منها المكنسة وفحصتها.. فوجدتها سليمة.! وتجولت في المنزل فوجدته نظيفاً ففرحت بهذه الفتاة النشيطة الذكية التي سوف تكون خير عون لهم فيما يتطلبه زواج ابنها عويد من أعمال.!! وقالت الأم للفتاة هل أنت تعرفين ابني عويد.!! وكان عويد قد قال للفتاة إياك أن تخبري والدتي بأنني أعرفك أو أنك تعرفينني.! فقالت الفتاة إنني لا أعرفه.. كما أنه لا يعرفني.!!

وأخذت الأم هذا الكلام على أنه صدق.. وقالت للفتاة خذي هذا المنخل وضعي فيه الماء ورشي به جميع غرف المنزل وطرقاته ولكن يجب أن يكون الرش متساويا فلا يزيد مكان على

مكان آخر.!!

فأخذت الفتاة المنخل.. وصبت فيه الماء.. وصارت ترش طرقات المنزل وغرفه.. ولكنها لم تستطع أن تجعل الرش متساويا فقد تساقط الماء على الأرض بشكل غير متساو.!!

وشعرت الفتاة بأنا سوف تخفق في تجربتها الثانية.! ولكنها لم تشعر إلا بعويد الستاد يأتي اليها في غفلة من غفلات أمه فيأخذ منها المنخل ويضع فيه الماء ثم يرش جميع غرف المنزل وطرقاته رشاً متساوياً لم يزد فيه مكان على مكان آخر.!

وعندما انتهى سلم المنخل للفتاة وقال لها خذيه واذهبي به إلى والدتي وقولي لها لقد أنهيت مهمتي كما أمرت.!

وذهبت الفتاة بالمنخل وقالت للوالدة مثل ما قال لها عويد الستاد. فأخذت الأم المنخل.. ثم جعلت تتجول في غرف البيت وطرقاته لترى كيف تمت عملية الرش فوجدته على ما يرام .! فقد رش البيت جميعه رشاً متساوياً لم يزد فيه مكان على مكان.!!

وتعجبت الأم من مهارة هذه الفتاة.. ولكنها شكت أن تكون تعرف ابنها عويد.. وأن عويد هو الذي يساعدها على هذه الأعمال.!

فقالت الأم للفتاة: إنك تعرفين ابني عويد.!... فقالت الفتاة لا والله إنني لا أعرفه.. كما أنه لا يعرفني فأخذت الأم هذا الكلام قضية مسلمة.! لم تناقشها فيه... وقالت للفتاة إذهبي إلى أختي في بيتها وسلمي عليها.. وقولي لها تعطيك الطبل والعلبة والمزمار ثم أتيني بها مسرعة.!!

فذهبت الفتاة إلى دار الأخت وسلمت عليها وطلبت منها الطبل والعلبة والمزمار فقالت الأخت للفتاة: هل أنت تعرفين عويد الستاد فقالت لا والله إنني لا أعرفه فسلمت لها ما طلبته.!!

فأخذت الفتاة ما سلم اليها وتوجهت به إلى البيت... وبينما كانت في أثناء الطريق قابلها عويد الستاد وقال لها اذهبي بهذه الأشياء إلى والدتي بسرعة وإياك أن تفتحي العلبة.. فإنك إن فتحتيها.!! تفرق ما فيها.!! ولم تستطيعي أن تغلقيها كما كانت.!!

عند ذلك تعرف أمي بما فعلت فلا آمنها أن تعاقبك عقابا شديداً.!! فأظهرت الفتاة الموافقة على ما قاله عويد... واستمرت في طريقها إلى أم عويد... ولكنها في أثناء الطريق.. قالت لنفسها:-

لماذا لا أفتح هذه العلبة لأرى ما فيها.. فلن تعجزني المحافظة على ما فيها.. وإعادة غلقها كما كانت.!!

واستحسنت الفكرة ودفعها حب الفضول إلى أن تفتح العلبة لترى ما فيها.!!

وفتحت الفتاة العلبة.. وكانت تؤمل أن تجد بداخلها أنواعا من الحلي أو الجواهر الثمينة أو المأكولات اللذيذة.!! إلا أن الذي وجدت غيرذلك.!!

فلم يرعها عندما فتحت العلبة إلا خروج ثلاثة شياطين منها!! فأخذ واحد الطبل وأخذ الآخر المزمار.. أما الثالث فقد صار يرقص ويغني على أنغام الطبل والمزمار اللاتي بدأ زميلاه

بالنفخ في هذا والضرب على ذاك.!!

ودهشت الفتاة من هذا المنظر.. وشغلها هول المفاجأة عن نفسها وعن التفكير في إعادة العفاريت إلى علبتهم.!!

وبعد فترة من الوقت خشيت أن تتأخر كثيرا فتعرف أم عويد بما صنعت فطلبت من العفاريت أن يعودوا إلى علبتهم.!! ولكنهم رفضوا واستمروا في طبلهم وتزميرهم ورقصهم.!!

وعندئذ داخل الخوف قلب الفتاة وأيقنت بأن أمرها سوف ينكشف.. وأنها سوف تعاقب عقاباً شديداً.. وفي هذه الأثناء لم تشعر إلا بعويد الستاد يأتي اليها.. ثم يأخذ العلبة فيفتحها.. ثم يتلو بعض التعاويذ وينطق ببعض الكلمات التي لا معنى لها.. وإذا بالشياطين تأتي وتدخل في العلبة طائعة مختارة.. فيغلق عويد عليها علبتها ثم يسلمها إلى الفتاة مع الطبل والمزمار.. ويأمرها بإيصالها إلى أمه بكل سرعة ممكنة حتى لا يداخلها الشك في أمر من الأمور.!!

فأخذت الفتاة هذه الأشياء وذهبت بها . مسرعة إلى أم عويد فسلمتها اليها وهي خائفة وجلة فأخذتها أم عويد ولم تلاحظ شيئاً .! وتجمع الأهل والأقارب حول أم عويد.. قبل موعد الزواج.. فصارت تفرق عليهم الهدايا التي أعدتها لهذه المناسبة.!!

وهدية كل واحد من الحاضرين هي عبارة عن غترة وصدرية وسروال... إذا كان رجلا أو شيلة بدل الغترة إذا كانت امرأة ولكن هذه الهدية تعتبر نادرة وثمينة للغاية.. لأن كل قطعة من هذه القطع الثلاث تعتبر تحفة نادرة لايوجد لها نظير في طول

البلاد وعرضها .

وعمت الهدايا جميع الحاضرين ما عدا الفتاة الغريبة فأنها لم تحظ بشيء من هذه الهدايا لا قليلا ولا كثيرا.!! فحز ذلك في نفس الفتاة وأحست بالضعة والهوان وتحفزت للكلام.. وقالت لأم عويد بلهجة تدل على الانفعال والحسرة :

وأنا يا خالتي أين نصيبي من هذه الهدايا .؟! فقالت لها العجوز إنها لا تصلح لك ولكن عويد انتهز الفرصة فقال لأمه أعطيها يا أمي مثل الناس فهي غريبة ولها حق الإكرام.!!

كما أنها تعمل في هذا البيت ليل نهار وتساهم بجهد مشكور في تنظيفة وترتيبه.. فإعطتها أم عويد شيلة وصدرية وسروالا.. ففرحت الفتاة بها فرحاً شديداً.!!

واقترب موعد الزفاف فأشعلت الشمعات وأقيمت الزينات.! وانتهز عويد فرصة من انشغال الزائرين والزائرات.. وقال لزوجته الأولى وهي الفتاة الغريبة... إنني سوف أطفىء جميع الشمعات إلا شمعتك ثم إنني سوف أخطفك وأهرب بك عنهم وأهرب بنفسي عن هذه الزوجة الجديدة التي تريد أمي أن ترغمني عليها لأنها تمت لها بصلة القرابة.!!

فوافقت الفتاة على ما قالة عويد.!!

فأطفأ عويد الشمعات إلا شمعة الغريبة.. ثم اغتنم الفرصة المناسبة فأخذ الفتاة الغريبة وفر بها هارباً.!!

وعندما علمت والدة عويد بما جرى غضبت غضباً شديداً على ابنها.. وعلى هذه الفتاة الغريبة التي قوضت جميع مساعيها في زواج ابنها على قريبتها.!!

ونفثت سحرها.. وقالت اللهم احبسه بين جبلين أربعين يوما لا هو حي فيرجى ولا ميت فينغى.!!

فاستجاب الله دعوة الأم.. وسقط عويد بين جبلين مغمى عليه وحيدا في الصحراء.. ليس معه إلا هذه الفتاة المسكينة التي ليس لها حول ولا طول.. ولا مفر لها في مثل هذه الحالات إلا اللجوء إلى البكاء والنحيب.!! ولكن ماذا يجدي البكاء والنحيب... أمام أمر واقع لامفر منه.!!

ووضعت الفتاة رأس عويد على فخذها وأنامته عليها.. وبقيت هكذا منتظرة ساعة الفرج التي يفيق فيها عويد من غيبوبته.!!

ومر يوم و يومان وثلاثة.!! وهي في كل يوم تنتظر أن يفيق ولكنه لايفيق.!! إنه حي يتنفس.. ولكنه يغط في نوم عميق متواصل فاستمرت الفتاة على حالتها تاركة رأسه على فخذها وهي لا تنام ولا تفارق مكانها منه.. خوفاً عليه من حشرات الصحراء وسباعها.!!

وطال انتظار الفتاة وهي على هذه الحالة من البكاء والنحيب.!! واليقظة... وقلة الطعام والشراب.. وأخذ منها التعب كل مأخذ .! وكادت أن تسقط على الأرض من شدة الإعياء .! والنوم يكاد أن يصرعها وهي تغالبه وتأمل في كل لحظة أن يفيق عويد من غيبوبته .!

واستمرت على هذه الحالة تسعة وثلاثين يوما... ومر بالقرب منها حي من أحياء العرب منتقلا من مكان مجدب باحثين عن مكان مخصب.. وكان مع أفراد هذا الحي جارية

فاشترتها الفتاة منهم.. ودفعت لهم ثمنها وهو حليها الذي تلبسه.. ومضى الحي في طريقه وبقيت الجارية مع سيدتها الجديدة التي اشترتها.. لتساعدها على ما هي فيه من شدة.!!

وقالت الفتاة للجارية.. تعالي فاجلسي في مكاني.. وضعي رأس عمك عويد على فخذك.. وراقبيه مراقبة تامة.!! وأنا سوف أنام بعض ساعات فإن استيقظ من نومه قبل أن استيقظ فاخبريني.!!

ونامت الفتاة في غار قريب منهما.. واستغرقت في نومها الذي سبقه سهر طويل.. وتعب متواصل.!!

وتمت الأربعون يوما.. واستيقظ عويد من نومته الطويلة.!! فوجد رأسه على فخذ فتاة.. ونظر إليها ليرى وجه زوجته الوفية.! ولكنه رأى وجها جديدا أنكره ولم يعرفه... وقال عويد للجارية من أنت فقالت أنا زوجتك... فقال عويد ولماذا أنت سوداء.. فقالت من لفح الشمس.!!

وقال لماذا تغير كلامك ولهجتك.؟!

فقالت الجارية من الجوع والظمأ وقلة الطعام والشراب.!!

فقال عويد ولماذا أرى شعرك مفلفلا ؟

فقالت الجارية من قلة الزيت.!!

واقتنع عويد بهذه التعليلات.. وأخذ الجارية معه إلى المدينة على أنها زوجته الوفيه التي لازمته في غيبوبته حتى أفاق منها.!!

ووصل إلى المدينة المقصودة بالجارية وترك زوجته الوفية في الصحراء وحيدة لا أنيس لها ولا مساعد.!! وعاش عويد مع

الجارية على أنها زوجته.!!

أما الزوجة المسكينة فإنها عندما استيقظت بعد فترة طويلة لا تدري ما مقدارها.. ونظرت إلى مكان عويد.. وإلى مكان الجارية فرأت المكان خالياً ونظرت يميناً وشمالاً فلم تر أحدا... وقصت الأثر فوجدت أن عويد قد مشى هو والجارية متجيهين إلى إحدى الجهات.!!

فأخذت الفتاة أغراضها ثم مشت على أثرها وواصلت سيرها بكل جد ونشاط حتى وصلت إلى المدينة التي دخلاها.. واختفى الأثر عنها مع تزاحم الآثار في المدينة.!!

ودخلت الفتاة المدينة.. وبحثت عن طريقة تصل بها إلى غرضها . وهداها تفكيرها إلى أن تذهب إلى أحدى العجائز.. فتطلب منها أن تؤيها... وتؤكلها وتشربها حتى يحسن حالها.. ثم تكسوها وتبيعها بالثمن الذي ترغبة على أن يكون الثمن للعجوز.!!

وأملت الفتاة أن يشتريها عويد.. فتعود اليه بطريقة طبيعية مشروعة - لاتثير شيئا من المشاكل .! فلما مكثت الفتاة عند العجوز بضعة أيام وحسنت حالها.. وعادت إليها صحتها ورونقها وجمالها البستها العجوز كسوة فاخرة وعرضتها للبيع.!!

فاشتراها أحد التجار.. وكانت عنده ابنة مجنونة تمزق ملابسها وتخمس وجه نفسها وتقلع شعور رأسها.. وترفع صوتها بالصياح والكلام الذي ليس له معنى.!!

وجاء التاجر بهذه الفتاة التي اشتراها.. وقال لها إن مهمتك أن تبقي بجوار ابنتي المجنونة وأن تخدميها وأن تحاولي التخفيف

من أضرارها على نفسها.. وأن تخففي بقدر ما تستطيعين ازعاجها لمن حولها.!!

وجاءت الفتاة إلى غرفة المجنونة.. وهي خائفة منها.. متوقعة كل شر... فقد رأت ما تلحق بنفسها من أضرار.. ومن كانت هذه حاله لم يؤمن أن يلحق أضرارا أكبر منها بغيره.!!

وجلست الفتاة في الغرفة وهي خائفة وجله.. وجعلت تدعو للمجنونة بالشفاء والعافية.. وتتضرع إلى الله بأن يكشف عنها ما بها من مس الجنون.!!

ولكن المجنونة عندما أحست بأن أهلها قد بعدوا عنها وأنه ليس في الغرفة ولا حولها إلا هذه الفتاة الغريبة التي جاءوا بها لمؤانستها وخدمتها.!!

عندما أحست بذلك التفتت إلى الجارية وقالت لها لا تخشي مني أذى فأنا لست مجنونة.. وإنما أنا أتظاهر بالجنون للتخلص من صفقة تجارية يريد أهلي ان أكون ضحيتها.!!

فقالت الفتاة الغريبة وهي مندهشة.. وكيف يريد أهلك بك الشر وقد اشتروني بأغلى الأثمان ووضعوني في خدمتك .؟!

فقالت المجنونة إن أهلي يريدون أن يزوجوني من رجل غريب لأنه غني وصاحب مركز مرموق.. بينما أنا أحب ابن عمي الذي سنه يقرب من سني.. ومقامه يقرب من مقامي.. ولكن أهلي لا يريدون ابن عمي لأنهم ينظرون إليه نظرة فيها احتقار وفيها ترفع .! لا لشيء إلا لأن أهلي أغنياء وهو فقير.. ولأنهم مرموقون وهو مغمور.. ولأنهم مشهورون.. وهو غير مذكور.!!

لذلك تظاهرت بالجنون عندما أحسست بأن زواجي بهذا

التاجر على وشك الوقوع.. لاحبط عليهم خطتهم..! فلعل هذا التاجر يعدل عن خطبتي ولعل ظروفا مواتية تأتي... وتجمعني بابن عمي الذي هو من لحمي ودمي.!!

والذي أبادله حبا بحب.!! والذي أرجو أن أعيش بجواره وأن يعيش بجواري مدى الحياة.!!

وسمعت الفتاة الغريبة هذا الكلام فسري عنها... وزالت عن نفسها المخاوف التي كانت تتوقعها.. وأنست كل واحدة منهما بالأخرى.. ولكن المجنونة أخذت عهدا على هذه الفتاة بأن لا تفشي السر فأعطتها الفتاة عهدا بذلك.!!

وقامت الجارية إلى بعض شأنها وذهبت إلى والد الفتاة.. وقالت له إنني جئت اليك لأزف اليك بشرى.!!

فقال الوالد بشرك الله بالخير.!! وما هي هذه البشرى .؟ فقالت الجارية.. إن ابنتك شفيت من الجنون بفضل الله ثم بفضل أدعيه وتعاويذ كانت أمي تعلمني إياها في صغري.. وقد تلوت هذه الرقى والتعاويذ على ابنتك فشفيت والحمد لله.!!

ولكن الجني قبل أن يخرج منها كلمني عندما ضيقت عليه الخناق وقال لي إنها اذا لم تتزوج ابن عمها فإنني سوف أعود إليها.. وسوف أكرر العودة مهما بلغت قسوتكم بالنسبة إلي.!!

وفرح والد الفتاة بهذا الخبر.!! وقال للجارية إنني سوف أزوجها من ابن عمها الليلة.. أما أنت فاطلبي مكافأتك فإنني لن أرد لك طلباً .؟!

فقالت العبدة إنني أريد أن تعتقني.. وأن تعيدني إلى العجوز التي باعتني فهي لي شبه الوالدة .!

فكساها التاجر وأعتقها وأعادها إلى العجوز معززة مكرمة.! وقال للعجوز لقد أعتقت هذه الجارية لوجه الله تعالى.. فشكرته العجوز على عمله ودعت له بالقبول فيما أنفق والبركة فيما أبقى.!

وبقيت الفتاة عند العجوز بضعة أيام ثم قالت لها بيعيني يا والدتي وخذي ثمني لك حلالاً بلالاً.. فزينتها العجوز وكستها أجمل الملابس وألطفها وألقيها بمثلها ثم أنزلتها إلى سوق الرقيق.!!

وجاء تاجر فاشتراها بأغلى من ثمنها الأول.. وذهب بها الرجل إلى بيته وقال لها إن عندي فتاة هي في سنك إلا أنها مختلة الشعور وأريد منك أن تبقي بجانبها دائما وأن تخففي من أضرارها على نفسها ومن أضرارها على الآخرين وأن تحضري لها ما تطلب .!

فقالت الجارية سمعاً وطاعة ودخلت على الفتاة المجنونة.. دون أن يخامرها الخوف .! فقد ألفت مثل هذه الحالات وأصبحت عندها أمور عادية.. لا تدعو إلى الرهبة.!!

إلا أن هذه الفتاة الجديدة كانت أشد جنونا من الفتاة الأولى.. وأشرس طباعا... فإنها بمجرد ما رأتها هجمت عليها.. وهمت بأن تطبق على رقبتها بكفيها.. وأن تختقها وتككك أنفاسها.!!

إلا أن الجارية تخلصت منها وابتعدت عنها.. ثم لبست ملابسها وفرت من البيت على عجل وبلا شعور ولا رغبة في الهرب ولكنه الخوف الشديد الذي داخلها.. فاندفعت هاربة من مصدر الخوف إلى الشارع العام الذي استمرت سائرة فيه بلا

هدف معين .!

وبينما كانت تمشي في الشارع رأت في زاوية من زواياه المنزوية مجموعة من الرجال مجتمعين في دهليز بيت مفتوح بابه على الشارع وهم يكتبون في أوراق صغيرة أنواعا من الكلمات ثم يلقون بهذه الأوراق المكتوبة في تلك القدر التي تغلي بالماء.. فوقفت الجارية عند الباب ونظرت اليهم وسألتهم عن الحكمة فيما يصنعون.!!

فقالوا إننا نسحر ابنة فلان التاجر.. فقد طلبنا منه واحدا إثر واحدا أن يزوجها أحدنا فرفض.. ولذلك فنحن نريد أن نسيئ اليها وأن ننغص على والدها حياته وأن نحرمه من الهدوء والراحة كما حرمنا من الزواج بابنته .؟!

فقالت لهم الفتاة إن عملكم هذا لم يضرها ولم يؤثر على صحتها ولا على عقلها بل هي بأتم الصحة والعافية.. وهذه الليلة هي ليلة زفافها على شريك حياتها.!!

فغضب الرجال من هذه الأخبار السيئة بالنسبة اليهم وعلموا أن عملهم هذا لم يؤثر على الفتاة.. وتركوا ما هم فيه وأراقوا ما في القدر وأطفأوا النار.. بينما صمموا على البحث عن طريقة أخرى يفسدون بها هذا الزواج أو ليعكروا صفو حياة العروسين.!!

وانصرفت الجارية عنهم متوجهة إلى البيت الذي خرجت منه.! وعندما وصلت إلى البيت اتجهت حالاً إلى غرفة الفتاة المجنونة.!! فوجدتها هادئة.. تتطلع إلى ما حولها بحثا عن ملابس نظيفة غير ممزقة لتلبسها وتقوم.. إلى الحمام لتنظيف نفسها وتصفف شعرها الذي تمزق أكثره وبقي أقله في حالة سيئة من الفوضى والقذارة.!!

وساعدتها الجارية على ما تريد.. وأحضرت لها الملابس التي

طلبتها.. ثم أحضرت لها أدوات النظافة في الحمام وأدخلتها فيه.

وذهبت الجارية إلى والد الفتاة فزفت اليه البشرى بشفاء ابنته ففرح فرحا شديدا.. وقال أين هي ابنتي الآن.. فقالت لقد أحضرت لها الملابس وأدخلتها في الحمام لتنظيف نفسها ولتلبس ثيابا غير ثيابها الممزقة.. ثم تخرج في غاية الهدوء والعقل والرزانة.!

وسأل السيد جاريته عن أسباب هذا التحول المفاجىء.. مع أنهم في السابق لم يتركوا وسيلة لشفائها إلا عملوا بها فلم ينجح فيها أي علاج.!!

فقصت عليه الجارية جميع ما كان.. بدون زيادة ولا نقصان .

فقال لها سيدها اطلبي مني ما تشائين مكافأة لك على عملك الطيب الذي كان فيه شفاء ابنتي فقالت الجارية إنني أطلب منك أن تعتقني لوجه الله تعالى وأن تعيدني إلى العجوز التي اشتريتني منها فهي بالنسبة إلى كالوالدة.!!

فأعتقها التاجر حالا وأعطاها كسوة فاخرة وصرة من النقود لنفقاتها.. ثم ذهب بها إلى العجوز معززة مكرمة.. وسلمها اليها.! وقال إنني أعتقتها لوجه الله تعالى.!!

فدعت له العجوز بما استحضرته من دعوات صالحات.!!! وضمت الفتاة إلى صدرها... فقد صار بين العجوز وبين الفتاة ألفة ومحبة.!! كما أن العجوز استفادت من وجود هذه الفتاة عندها مبلغا من المال لا يستهان به... ورأت أن وجودها عندها ما بين فترة وأخرى رزق هبط عليها من السماء.!!

وقالت الفتاة للعجوز بيعيني لمن يشتريني فقالت العجوز لها حبا وكرامة وألبستها ملابس جميلة وعرضتها في السوق للبيع.. وجاء

عويد الستاد فاشتراها وأخذها إلى بيته وهو لا يعرفها بينما هي قد عرفته.. وأدخلها في بيته.. فوجدت الجارية التي كانت اشترتها والتي اختطفت منها زوجها في البيت فعرفت كل واحدة منهما صاحبتها. ورفضت الزوجة المزيفة بقاء هذه الجارية عندها.!!

فقال عويد لقد اشتريتها بثمن رخيص.. وقد تم البيع ولا سبيل إلى ردها الآن.!! فقالت الزوجة المزيفة إنه لا عمل لها عندنا إلا تنظيف الحمامات.. فقال عويد فليكن هذا عملها حتى تحتاجين اليها في أي عمل آخر...

وقالت الزوجة المزيفة للجارية إن عملك أن تنظفي الحمامات.! كل يوم سبع مرات.!

فقالت الجارية سمعاً وطاعة.. وبدأت في عملها دون أن تبدي أي اعتراض.!!

وجاء اليوم الثاني من وجود هذه الجارية في البيت وأخرجت من حقيبتها الشيلة التي كانت أهدتها إليها أم عويد.. وكانت شيلة ممتازة لا يوجد لها نظير في السوق.. ورأت الزوجة المزيفة هذه الشيلة فأعجبتها أيما إعجاب.!!

وطلبتها من الجارية فقالت الجارية إن هذه الشيلة ثمينة جداً وهي هدية لي خصه.. وأرى من الواجب علي أن أحتفظ بها.!! وأن لا أفرط فيها لا بمن ولا بثمن.!!

ولكن الزوجة المزيفة ألحت عليها.. وبالغت في طلب هذه الشيلة.!! فقالت الجارية إنني إذا أردت أن أفرط في هذه الشيلة فلا يمكن أن أفرط فيه مجانا.. فقالت الزوجة المزيفة الطلبي ثمنا لها ما شئت.!!

فقالت أن تسمحي لي بأن أنام بدلك مع سيدي.!! ليلة واحدة فقط.. فوافقت الزوجة المزيفة على هذا الطلب وأعطتها الجارية الشيلة.!!

وجاء الليل.. وقرب موعد النوم فأسقت الزوجة المزيفة زوجها عويد كأسا من المخدرات فذهب في غيبوبة وجاءت الزوجة المزيفة فقالت للجارية اذهبي إلى سيدك ونامي عنده.!!

وجاءت الجارية إلى سيدها وهي فرحة مستبشرة فقد أتيحت لها الفرصة لكي تكاشف عويد بأمرها وأمر هذه الجارية المعتدية التي اغتصبت منها حقها وادعت ما ليس لها.! ولكن الجارية وجدت عويد يغط في نوم عميق.. فبقيت بجواره وهي تردد هذه الكلمات لعلها توكظة بها والكلمات هي:-

يا عويد الستاد.. يا ما انشغل قلبي عليك وذاب.! ويا ما صاليت مجانين وعشاق.! حتى لقيتك بعد شدات وصعاب.! وأنا الآن بجنبك لكن القلب بحجاب.!

واستمرت الجارية في ترديد هذه الكلمات بصوت حزين .! ولهجة مؤثرة حتى طلع الفجر وعويد يغط في نومه .!! ولا يدري بشيئ مما حوله.!!

وجاء الصباح فخرجت الجارية.. وقد خسرت شيلتها ولم تبلغ الغرض الذي قصدت اليه.. وذهبت إلى عملها المعتاد واستمرت فيه .! وهي صابرة مثابرة لا تبدي أي تأفف أو اشمئزاز.!!

وانتهت من عملها وأخرجت السروال الذي كانت أهدته اليها أم عويد. وجعلت تقبله وتلبسه تارة وتخلعه أخرى لتلفت

اليه نظر الزوجة المزيفة .. وكان سروالا نادرا حقا.. لا يوجد للبيع مثله بأي ثمن من الأثمان.!!

وأعجبت الزوجة المزيفة بهذا السروال وقالت للجارية أعطيني هذا السروال.. فقالت الجارية إنني أعطيك إياه ولكن بثمن فليس في هذه الحياة شيء إلا وله ثمنه.!!

فقالت الزوجة المزيفة اطلبي الثمن الذي تريدين.!! فقالت الجارية.. إنني أدفعه اليك بشرط أن تسمحي لي بالنوم عند سيدي ليلة واحدة.!!

فوافقت الزوجة على ذلك وأخذت السروال وجاء موعد النوم وأعطت الزوجة المزيفة زوجها كأسا من الماء فيه مخدر فنام نوما عميقا.. وقالت للجارية اذهبي فنامي عند سيدك.!!

فذهبت اليه فوجدته يغط في سبات عميق.. لايشعر معه بوجودها بجانبه.. فأخذت في البكاء والنحيب وترديد الكلمات التي قالتها في الليلة الماضية.. ولكن بصوت حزين.. وقلب مجروح إلى أن جاء الصباح فخرجت من عنده بدون جدوى.!!

وكان بيت عويد هذا في قلب المدينة.. وكانت حوانيت أهل الحرف من خبازي وبخارين وحدادين وحلاقين كلها مجاورة لبيت عويد ومحيطة به إحاطة السوار بالمعصم.!!

وعندما أحضر لهم الخباز وجدوه محروقا.. والغسال عندما أحضر لهم الملابس وجدوها غير نظيفة.. والخياط عندما أحضر لهم الثياب وجدت خياطتها غير متقنة.!!

وسألهم عويد واحدا إثر واحد عن السبب ؟! فقالوا له جميعا إن السبب هو صوت حزين كئيب يصدر من بيتك طيلة ساعات

الليل.. إنه صوت إنسان مجروح.. يعاني من آلام جراحه... ويئن من تلك الجراح.. ويردد كلمات تعبر عما يعانيه من آلام مبرحة وهذه الكلمات هي :-

يا عويد الستاد.. يا ما ماع قلبي وذاب.. وياما صاليت مجانين وعشاق إلى آخره .

ألا تسمعه إنه يصدر من بيتك.. وإن جميع المجاورين لبيتك يسمعونه.. ويتابعونه.. ويتألمون من آلامه ويبكون لبكاء صاحبه!!

فقال عويد إنني سوف أراقب الوضع في هذه الليلة .! وأخرجت الجارية الصدرية.. وهي آخر سهم في الكنانة .! وجعلت تقلبها وتلبسها تارة وتخلعها تارة أخرى.. فرأتها الزوجة المزيفة فأعجبتها.. وطلبتها من الجارية فقالت أعطيك إياها على شرط أن تسمحي لي بالمنام عند زوجك.. فوافقت وأعطتها الصدرية.!!

وجاء الليل.. وحان موعد النوم.. وتهيأ عويد للمنام.. وجاءت الزوجة المزيفة بكأس المخدر وقدمته إلى عويد.. وتظاهر بأنه شربه بينما صبه بين ثوبه وجسمه.. ثم تمدد على سريره وتظاهر بأنه ذهب في نوم عميق.. وجاءت الجارية وجلست بجواره وعويد يحس بجلوسها.. ولكنه أبقى نفسه على عادتها ليرى ويسمع ما يدور حوله !

وعندما جاء آخر الليل جعلت الجارية تردد تلك الكلمات التي اعتادت ترديدها.. وعويد يسمع كلامها... ويعي معانيها.! وأتمت الجارية تلك الكلمات وقام عويد من نومه فرأى

الجارية التي اشتراها منذ بضعة أيام بجواره.!!

وسألها عن السبب في وجودها عنده بدل زوجته... فأخبرته بقصتها وقصة زوجته المزيفة.. واستمع إلى تلك القصة وهو يتعجب من لعب المصادفات بمصائر الناس ومقدارتهم.!! وأخذ منه الغيض والغضب كل مأخذ نحو تلك الجارية الغادرة الخائنة.. وتحت طائلة هذا الغضب الجارف قبض على تلك الجارية وذبحها كما تذبح الشاة .! ثم حفر لها حفرة في أحد أركان فناء داره فدفنها فيها.!! وعاش عويد مع زوجته القديمة التي صبرت وكافحت.. حتى قدر لها أخيراً الالتقاء بمن يحبها وتحبه.!! ورزقا أولاداً.. وعاش الجميع في سبات ونبات.. حتى جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات !!.

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



من وفاء الحيوان :-

محمد وكلبه الامين

كانوا أخوين في زراعتهما وكان الكبير يقوم بالأعمال المتصلة بالصحراء من حشيش... وحطب وما إلى ذلك والصغير يقوم بأعمال الزراعة من سقي وحرث وحصاد وبذر.. وكان عند الأخوين كلب أمين كما أنه في نفس الوقت ذكي إلى الغاية.!! وكان هذا الكلب يحرس هذه الزراعة فلا يقربها إنسان ولاحيوان إلا من أراد أهله قربه..

وذهب محمد ذات يوم إلى الصحراء ليجمع من أعشابها علفاً للدواب التي تعمل طول النهار وجزءاً من الليل.. وكان محمد لا يجد هذه الأعشاب إلا في مكان بعيد في الصحراء .! فيقطع تلك الأعشاب ويجمعها ثم يحملها على ظهره.. فليس هناك دابة زائدة عن أعمال الزراعة ليأخذها معه ويحمل عليها تلك الأعشاب.!!

وكان من عادة محمد أن يحضر إلى المزرعة بحشيشه بعد المغرب . وقبل العشاء الآخرة.!!

وجاء محمد ذات يوم يحمل ما جمعه من حشيش... ووجد في طريقه جراءا ظنها جراء ضبع.. ففرح بها.. وقال إن هذا رزق ساقه الله لنا ولسوف نأكل لحماً منها بضعة أيام.!!

وذبح محمد هذه الجراء وحملها معه فوق حشيشه وحمل

الحشيش على ظهره وواصل سيره إلى المزرعة.!!

وعندما مشي ساعة أو بعض الساعة أحس بحركة عنيفة وسريعة خلفه.. والتفت فإذا هي ذئبة هاجمة عليه بكل سرعتها وكل قوتها.. وفي هذه اللحظة علم أن الجراء جراء ذئبة وليست جراء ضبعه.!!

فأنزل حشيشه ثم قذف بجراء الذئبة عليها واستعد قليلا ليرى هل ترضى بهم بعد القتل وتتركة يذهب إلى حال سبيله أم تهاجمه للأخذ بالثأر.؟!

ووصلت الذئبة إلى جرائها.. وشمتهم ولحست من دمائهم فازداد حنقها.. وازداد سعارها... وتركت جراءها القتلى وتبعت الرجل.. وأيقن محمد بالشر... وواجه الهلاك.!! إنها ذئبة وقد قتل أولادها.. ولا مجال للهرب ولا معين إلا الله.. واستعد محمد للقاء الذئبة والدفاع عن نفسه حتى النهاية.!!

وما هي إلا حياة أو موت.. ولن تتركه هذه الذئبة حتى يقتلها أو تقتله.. ووصلت الذئبة إلى محمد وقفزت إلى رقبته التي كان ربط عليها غترته.. ووقفت الذئبة على رجليها.. وتماسكا.. وقد قبض محمد على رأس الذئبة بيديه.. وأبعد أنيابها عن رقبته وعن رأسه.!

لكن ذنب الذئبة يضرب رجليه ويكاد أن يسقطه على الأرض. كما أن مخالب يديها تعمل في صدره وهو يحاول أن يبعدهما عن بطنه لئلا تنثر أمعاءه.!! وبقي محمد يكافح في سبيل الوقاية.!! والذئبة تكافح في سبيل الانتقام والنكاية.!

وبقي الخصمان يتصارعان... وتأخر محمد عن الحضور في موعده.!! وأحس الكلب بأن هناك قوة تحول دون سيده محمد ودون الحضور في الموعد.. وأحس الكلب بأن خطرا يتهدد سيده..

وبحث الكلب عن سيده الثاني حتى وجده مستلقيا يستريح

في انتظار مجيء أخيه وتقدم الكلب حتى وقف عند رأسه وصار يعوي حتى أيقظ سيده.. وعندما رآه طرده.!!

ولكن الكلب لم يذهب بل صار يعض ثوب سيده ويجره ويتحرك حركات هستيرية.! ويذهب قليلاً عن سيده ثم يعود.. وعلم الرجل من هذه الحركات أن شيئاً قد أزعج الكلب... وقام الرجل من منامه وتبع الكلب.. وصار الكلب يسعى إلى الصحراء بكل قوته.. والرجل يمشي وراءه ولكن الكلب أسرع منه.. إلا أن الكلب إذا اختفي عن سيده عاد أدراجه حتى يرى سيده حركاته ثم بعد ذلك ينطلق متغلغلاً في الصحراء..

وسار الكلب وسيده على هذا المنوال والكلب يحاول كل مرة بقدر ما يستطيع لأن في تأخر دقائق معدودات أخطار قد تودي بحياة سيده.!!

وعندما أشرف الكلب من مكان عال رأى سيده في صراع عنيف مع تلك الذئبة.. فأسرع الكلب إليهما... بعد أن رآه سيده الثاني ورأى اتجاهه.!!

ووصل الكلب إلى سيده وهو في الرمق الآخير من الحياة.!! وقفز الكلب إلى الذئبة وغرز فيها أسنانه حتى اخترقت الجلد واللحم ثم جر تلك الخاصرة بكل ما يملك من قوة فانبعج بطن الذئبة وسقطت أمعاؤها على الأرض ولكنها لاتزال متعلقة بسيده.!!

وقفز الكلب قفزته الثانية وقبض بأسنانه على رقبة الذئبة وجرها عن سيده بعنف.. وكانت قد ارتخت أعصابها.. وضعفت قوتها فانجرت مع الكلب وجرت محمد معها وسقط الإثنان صرعى.... وكأن لسان حال الذئبة يقول :-

اقتلوني ومــالكــا واقتلوا مــالكا معي

وجر الكلب تلك الذئبة عن سيده بعد أن فقدت كل مقاومة تستطيع الهجوم بها .! وقضى الكلب على رمق هذه الذئبة ثم عاد إلى سيده محمد.. فوجد الدماء تسيل من عضديه ومن صدره وهو لا يحير دوابا.!! ولا يصدر عنه أي حركة.. ولكنه لا يزال حيا لأن نفسه يتردد... وشخيره يسمع إلا أنه راح في غيبوبة عميقة .!

ووصل الأخ إلى ميدان المعركة بعد أن انتهى كل شيء.!! ورأى أخاه ملقى على الأرض والذئبة بعيدة عنه ملقاة أيضا .! ووجد الكلب يدور حول سيده محمد ويشم أطرافه.!! ويتحسس الحياة فيه.!!

فلم يكن من الأخ إلا أن يحمل أخاه محمدا ويسير به إلى جهة المزرعة.. والكلب تارة يتقدمهما ليمهد لهما الطريق وتارة يتأخر عنهما خوفا عليهما من عدو جديد يلحق بهما من الوراء.!!

واستمر الرفقة الثلاثة سائرين حتى وصلوا إلى المزرعة وأنزل محمد في البيت فلما أحس بالراحة والدفء فتح عينيه... وإذا زوجته تضمد جراحة.!! وإذا أخوه يقف بجواره ويهنيه بالسلامة.. وإذا كلبه الوفي القوي الأمين يربض غير بعيد عنه.!!

وبقي محمد تحت العلاج البدائي المتعارف عليه ما يقارب نصف السنة.. حتى من الله عليه بالشفاء وعاد يعمل في المزرعة مع أخيه. وعرف محمد لكلبه هذه المكرمة وعلم أنه مدين بحياته لهذا الكلب .! فصار لا يأكل طعاما إلا إذا كان الكلب بجواره ليقاسمه لقمة العيش وليرد اليه بعض الجميل الذي أسداه اليه.!!

وعاش الكلب بقيه حياته وكأنه فرد من أفراد الأسرة لاينفصل عنهم ليلاً ولانهارًا حتى فرق بينهم الموت.!!

سبحونـــــة :

١٤- بنـت الغـول..!

«رويت أصل هذه السبحونة عن الأخ الأستاذ عبد الرحمن بن فهد البواردي وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

جاء الأطفال إلى جدتهم في هذه الليلة.. وطلب منها أحدهم أن تقص عليهم سبحونة بنت الغول فقالت الجدة حبا وكرامة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اللي عنده زوجة وعنده أخت قد ماتت أمها ومات أبوها وصار هذا الأخ هو كل شيء بالنسبة إلى هذه الأخت.!!

وكان هذا الأخ كثير الأسفار لا يؤوب من سفر إلا تهيأ لسفر آخر.!! وكانت الزوجة تكره وجود هذه الأخت معها في بيت زوجها وتضيق بها ضيقاً شديداً.. فقد كبرت الفتاة وبلغت سن الزواج ولكنه لم يتقد لخطبتها أحد.!!

وكانت الزوجة تفكر في طريقة تتخلص بها منها... ولكنها

لم تعثر على طريقة بمعقولة.. واستمرت الزوجة على هذه الحالة من الضيق بالفتاة والتفكير في الخلاص منها فترة طويلة من الزمن.!!

وسافر الزوج ذات مرة .! وكانت الزوجة قد رسمت خطة للتخلص من الفتاة.!!

وقالت الزوجة للفتاة ذات يوم.. إننا في هذا البيت دائما وقد ضقنا من العيش بين اربعة هذه الجدران.!! فما رأيك يا عزيزتي لو أخذنا معنا طعامنا وشرابنا وخرجنا إلى طرف من أطراف المدينة . ثم بحثنا عن بستان وجلسنا في ركن من أركانه نطبخ غداءنا.. ونمتع أنظارنا بالخضرة.. ونمتع أرواحنا باستنشاق الهواء العليل.. ونطلق لأبصارنا العنان.. فنتطلع إلى الآفاق.. ونرى ما حسن ولاق.

فقالت الفتاة :- الرأي لك يا سيدتي العزيزة.!! فقالت الزوجة إذا توكلنا على الله وجمعوا ما يحتاجونه من دقيق وجليل.. ولبسوا ثم أقفلوا دارهم ومشوا إلى حيث تريد الزوجة.!!

وخرجتا من المدينة.. واستمرتا تضربان في الصحراء متجهتين إلى بستان بعيد عن البلد بعض الشيء.!! ووصلتا إلى البستان واختارتا ركنا من أركانه وجلستا فيه.. وأخرجتا أدوات الطبخ والأطعمة وأحضرتا الحطب.. وبحثتا عن الكبريت فلم تجداه وقلبا كل الأغراض بحثا عن الكبريت إلا أنه لا كبريت.!!



وقالت زوجة ابن السلطان للفتاة عندما أطلت عليها إن الغول سوف يكبرك ويسمنك ثم يأكلك.!!

فقالت الزوجة لقد نسينا الكبريت أو سقط منا في الطريق وسوف أعود أمشي على أثرنا فإما أن أجده.. وإما أن أصل إلى البيت فآتي منه بكبريت.. فأبقي أنت هنا عند أغراضنا حتى أذهب ثم آتيك بأقصى سرعة ممكنة..

فقالت الفتاة... اذهبي ولكن لا تتأخري .! فإنني أستوحش من البقاء هنا وحيدة.!!

فقالت الزوجة إن هذا البستان أمان فليس فيه ما يخشى منه كما أنه بعيد عن البلد فلا يأتيه أحد.!! ولا داعي لأن تخافي مع أنني سوف أعود اليك - إن شاء الله - في أقرب وقت مستطاع..!!!

وذهبت الزوجة إلى البلد لتأتي بالكبريت وبقيب الفتاة في البستان تنتظر عودتها.!!

ومضت ساعة وساعتان وثلاث... والزوجة لم ترجع.. وكانت الفتاة تنتظر في كل لحظة عودتها... ولكن هذه الزوجة لم تعد .! وقرب المساء والزوجة لم تعد.!!

فجمعت الفتاة أغراضها وأخذتها معها..وخرجت من البستان بعد أن غربت الشمس .! وحجب الظلام الأبصار عن الرؤية .! ولهذا فإنها سوف تمشي على غير هدى.. وسوف تترك خطاها تقودها إلى أي مكان.. فالسير قد يوصلها إلى مأمن.!! أما البقاء في البستان فهذا هو الشيء الذي ليس بالإمكان.!!

ومشت الفتاة في طريق مجهول... وجدت في السير.. ونظرت ذات مرة وتطلعت إلى الآفاق البعيدة..ورأت نورا يضيء من بعيد فقصدت نحوه.!! وجدت في المسير حتى وصلت إلى مصدر النور .! فوجدت قصراً كبيراً ووجدت بابه مفتوحا

فدخلت في القصر.!!

وتطلعت وتسمعت فلم تر أحدا.. ولم تسمع أحدا .! وعلمت أن القصر خال تماما.. فبحثت عن غرفة لترتاح فيها إلى الصباح .! ووجدت الغرفة المطلوبة.... ففرشت فراشها فيها.. وتمددت عليه .!

وقبل أن تغمض جفنيها سمعت صوتا عند الباب وحركة غير عادية.!! فقامت من فراشها عجلى.. ونظرت.!! فرأت عفريتا عظيما قد دخل من الباب.. وتغلغل داخل القصر.!!

فخافت الفتاة خوفا شديدا.. وأرادت أن تختفي عنه في مكان منزو فلم تر اكثر انزواء من الحمام فدخلت فيه.. وأغلقت الباب على نفسها... واختفت في ركن خفي منه.!! وبقيت وأعضاؤها ترتجف وقلبها يدق دقات متوالية.!!

وبينما كانت على هذه الحالة.. وإذا بالعفريت يفتح باب الحمام ويدخل فيه لقضاء حاجته.. وأمسكت الفتاة أنفسها.. وبقيت جامدة في مكانها... وهي تقول في نفسها اللهم سلم.! سلم.!!!

وبقي العفريت أو الغول في الحمام لقضاء حاجته وبينما هو على هذه الحالة ضرط ضرطة عظيمة منكرة.!! وبدافع لاشعوري ضحكت الفتاة من هذه الضرطة .! وسمعها الغول.. فقال لها من أنت أيتها التي تضحكين .؟! فقالت أنا ابنة ضرطتك... فقال لها أهلا وسهلا بابنة ضرطتي.!! وقال لها خذي راحتك واطمأني فلا خوف عليك وسوف أرتب لك جميع الأمور في

الصباح.!!

فدعت له الفتاة بالسعادة وطول العمر.. وذهبت الى غرفتها فنامت .! وفي الصباح قامت .! فوجدت كل شيء بين يديها .! وجاء إليها الغول فإعطاها مفاتيح الغرف كلها.. وأخبرها بمحتويات كل غرفة وأطلق يدها لتعمل ما تشاء وتأخذ ما تشاء وتدع ما تشاء .! ما عدا غرفة واحدة.. قال لها أما هذه الغرفة فاياك أن تفتحيها.!! ووعدته الفتاة بأن لا تفتحها ولا تقربها.!!

وبقيت الفتاة في هذا القصر العظيم الذي توفرت لها فيه جميع متطلبات الحياة.. ما عدا الاجتماع بأبناء جنسها.. ولكن ذلك لم يؤثر على نفسيتها فهي لم تعرف من أبناء جنسها من البشر إلا كل غدر وخيانة .! وكيد وحسد.!!

وأقرب الناس إليها وأمسهم بها زوجة أخيها التي كانت تلقى منها مختلف ألوان الأذى.!! وآخر ذلك المكيدة التي عملتها بأن ذهبت بها إلى بستان ناء.. وتركتها فيه وحيدة.!! وعرضتها للضياع.!! وانتهاك الشرف والتشرد.!!

ولذلك فقد كانت الفتاة على الرغم من وحدتها وعدم الأنيس والجليس مراتاحه كل الارتياح.!!

بقيت الفتاة على هذه الحالة مدة طويلة من الزمن والغول يغدو اليها ويروح.. ويحضر اليها كل ما تتطلبه حياتها الجديدة من مأكل أو ملبس أو مشرب.!!

وذهب الغول ذات يوم على عادته.. وروادت الفتاة نفسها أن تعرف ما في هذه الغرفة سرا.. بحيث لا يشعر الغول بما فعلت.!! ودفعت هذا التفكير عن نفسها مرة ومرتين.. ولكن حب الاستطلاع كان أقوى من أي شيء آخر.!!

فأخذت المفتاح وفتحت الغرفة ودخلت فيها.. فوجدتها خالية من كل شيء .! ومحاطة بأربعة جدران ليس فيها إلا نافذة واحدة كانت مقفولة ففتحتها الفتاة لترى منها ما هو خارج الغرفة.!!!

وعندما أطلت الفتاة من هذه النافذة السحرية رأت قصر السلطان. ورأت فيه زوجة ابن السلطان كما أن هذه الزوجة رأتها.!!

وبدأت زوجة ابن السلطان الخطاب بتوجيه سؤال لهذه الفتاة التي أطلت عليها.. وهذا هو السؤال :-

(هل أنت ابنة الغول ؟! فقالت الفتاة نعم انني ابنته .

فقالت الأميرة انه سوف يكبرك ويسمنك.. ثم ياكلك.!!

وسمعت الفتاة هذا الكلام ولم تجد له جوابا.. وكان صداه في نفسها عميقا.!! وتأثيره عليها سيء جدا.. وداخلها الخوف.!! انقبضت نفسها عن الطعام والشرب.. وساءت صحتها حتى لاحظ الغول عليها ذلك.. فسألها عما بها .! وما الذي جرى لها حتى انحرفت صحتها هذا الانحراف المفاجيء.!! وصارت نفسها يخيم عليها الحزن والوجوم .؟!

وقال لها ما الذي بك يا ابنتي العزيزة..؟!

فقالت الفتاة للغول انني حزينة جدا لأنني خالفت أمر

والدي.!! وارتكبت حماقة ما كان يليق بي أن أرتكبها.!! فقال لها الغول لعلك فتحت الغرفة التي نهيتك عن فتحها .؟!

فقالت الفتاة . نعم لقد فتحتها .؟!

فقال الغول.. وماذا رأيت .؟! وماذا سمعت .؟! فقالت الفتاة لقد رأيت قصر السلطان.. ورأيت زوجة ولده وخاطبتني وسألتني من أنا فقلت لها إنني ابنتك.. فقالت لي بالحرف الواحد انه سوف يكبرك ويسمنك ثم يأكلك.!! وأنا لست حزينة من هذا الكلام فالاعمار بيد الله ولن يموت إنسان حتى تنتهي أيامه في هذه الحياة.!! ولكنني حزينة لأنني خالفت أمر والدي.!!

فقال الغول لا تخافي ولا تحزني وعاودي فتح الغرفة بعد أن تلبسي أحسن ما عندك من لباس وحلي.. وتطلعي من النافذة فان زوجة هذا الأمير سوف تقول لك ثانية مثل ما قالت لك أولا.!! فاذا كان ذلك فأجيبيها بما يلي :-

أنا بنت الغول يكبرني ويسمني وابن السلطان يزوجني.!! وهكذا كان..وعندما سمعت زوجة ابن السلطان هذا الكلام غضبت غضباً شديداً وانصرفت عن الفتاة .! فلما جاء زوجها ابن السلطان أخبرته بما جرى وأرته الفتاة التي تطل من النافذة وطلبت منه أن يؤدب هذه الفتاة المجنونة وأن يهدم عليها قصرها.!!

ونظر الأمير إلى ابنة الغول التي أثارت غضب زوجته وغيرتها.! فأعجب بها وأخذت بمجامع قلبه.!!

ولاحظت الزوجة هذا وأدركته بحاسه المرأة التي لا تخطيء في مثل هذه الأمور.!! وكررت الزوجة طلبها من ابن السلطان.!! ولكن ابن السلطان قابل انفعالها وطلبها هذا بقتور ظاهر.. ولم يجبها إلى ما طلبت منه.!!

فاشتدت الغيرة والغضب بزوجة ابن السلطان.!! وقادتها تلك الحالة إلى أن ترمي نفسها من احدى النوافذ .! وسقطت على الأرض جثة هامدة.!!

وبعث ابن السلطان رسولا إلى الغول يخطب منه إبنته فرحب الغول بهذه الخطبة ووافق عليها.!! ودفع المهر واستعد كل من العروسين للقاء.. وجاءت ليلة الزواج فزفت العروس إلى عريسها في حفل بهيج.!! وغناء وضجيج.!!

وكان اسم ابنة الغول ططر.. وكان أبوها قد أمرها واكد عليها أن لا تكلم ابن السلطان حتى يدعوها باسمها.!! كما أكد عليها أن لا تخبره باسمها حتى يعرفه من نفسه.!!

وكلم ابن السلطان زوجته فلم تجبه.. وأعاد عليها القول فلم يجد له صدى.!! ولا سمع منها ردا لكلامه.!! فسكت ابن السلطان ولم يبلالغ في الأمر.. وترك الأمور تسير على طبيعتها.!!

ومضى على هذه الحالة فترة طويلة من الزمن لا إبن السلطان يكلم زوجته ولا هي اذا كلمها ترد الجواب.. وضاق ابن السلطان بهذه الحالة.. ولم يبق لديه مجال للصبر على هذا الوضع فقال لزوجته ابنة الغول :-

اذا لم تكلميني فانني سوف أتزوج زوجة ثانية !! فلم تجبه.! ولم تتأثر من كلامه ولم تغضب كما هي عادة الزوجات في

مثل هذه المواقف والمناسبات.!! وعزم ابن السلطان على الزواج وبحث عن زوجة فوجدها.!! لأن كل السبل ممهدة أمامه ليدرك ما يريد .! ويجد ما يطلب.!!

وتزوج ابن السلطان ودخل بزوجته الجديدة.!! ثم جاء بها وأسكنها في ركن من أركان القصر.. وعلمت ابنة الغول بهذا الزواج فلم تثر ولم تغضب.. بل قابلت الأمر بهدوء تام..!!

ولما استقر المقام بالزوجة الجديدة ذهبت إليها ابنة الغول زائرة.! وسلمت كل واحدة من الضرتين على صاحبتها.. ودعت إبنة الغول زميلتها أو على الأصح شريكتها في زوجها إلى حفلة تقيمها لها في ركنها الخاص.!!

فأجابت الزوجة الجديدة هذه الدعوة.. وفرحت بها لأنها سوف ترى أمور ضرتها على طبيعتها.!! وقد تجد مجالا للقدح أو للتندر بها أمام زوجها ابن السلطان الذي تريد كل واحدة منهما ان تمتلكه دون الأخرى.!!

وجاءت الزوجة الجديدة إلى منزل ضرتها.. وقامت ابنة الغول فرحبت بالقادمة الجديدة وأدخلتها معها في غرفة الاستقبال.!! وجعلت تتحدث معها وتؤانسها ولم تقم لتعد شيئا مما يقدم للضيوف في مثل هذه المناسبة من طعام أو قهوة أو شاي.!!

وبعد أن طالت الجلسة.. واروت كل واحدة منهما غلتها من الحديث.. التفتت ابنة الغول الى ابريق كان قريباً منها.. وبالقرب منه الشاي والسكر فقالت.. ياشاهي سوروحك وأتني.. وبعد فترة وجيزة جاءها الشاي جاهزاً فصبت منه

وقدمت لضيفتها العزيزة.!! ثم شربت هي معها.

وكان شاياً لذيذاً شربتا منه وأكثرتا..

وبعد ان انتهوا من شرب الشاي التفتت ابنة الغول إلى سمكات كانت عندها فقالت لهن:-

يا سمك اقل روحك واتني.! وبعد لحظات قلى السمك نفسه وأتى إليهما يسعى في طبق نظيف ومنظر لطيف.!!

فأكلوا هنيئاً ثم قالت للقهوة مثل ذلك فجاءتهم بعد لحظات جاهزة فشربوها مريئاً.!!

وبعد ذلك قامت بنت الغول ومعها ضيفتها أو ضرتها على الأصح ومشت بها في نواحي جناحها الخاص وأرتها مختلف الغرف.. وأخيرا وصلت بها إلى المطبخ فوجدتا فيه تنورا... فأوقدت فيه ابنة الغول ناراً حتى احمر وسطه وصار يلتهب كله فألقت نفسها في وسطه ثم خرجت منه سليمة لم يمسها أي ضرر.!!

وانتهت الحفلة بهذا المشهد العجيب.!! وأرادت الضرة أن تذهب إلى ركنها الخاص.. وقالت لابنة الغول:- انني أدعوك إلى منزلي غداً لتناول طعام الغداء.! فأجابت ابنة الغول بالقبول.!!

وجاء الغد وذهبت ابنة الغول إلى الدعوة عند ضرتها فاستقبلتها الداعية استقبالاً طيباً.. وقادتها إلى صالة الجلوس.. ثم أرادت المضيفة أن تفعل مثل ما فعلت ابنة الغول.. فليس من المعقول أن ترضى بتخلفها وعجزها عن مجارات ضرتها.!!

وقالت الزوجة الجديدة للشاي:- يا شاي سوروحك واتني وانتظرت فترة من الزمن ولم يأتها الشاي.. ثم نظرت إلى

سمكات عندها فقالت يا سمك اقل روحك واتني..!! وانتظرت السمك يأتي.. ولكنه لم يأت.!!

ثم قامت بضرتها ابنة الغول تريها مختلف مرافق الجناح الذي تسكن فيه حتى وصلتا إلى المطبخ فأوقدت فيه المضيفة ناراً حتى صار مثل الجمرة التي جيء بها لتنافسها وتتشاركها في زوجها.!!

وجاء ابن السلطان فوجد زوجته الجديدة محترقة في التنور.!! وسأل الخدم عن كيفية الحادث فأخبروه بكل ما جرى.!! وأنها قتلت نفسها بنفسها.!!

وذهب ابن السلطان إلى زوجته ابنة الغول.. وكلمها فلم تكلمه.! وهددها للمرة الثانية بأنها إذا لم تكلمه فانه سوف يتزوج ثانية.. ولكنها لاذت بالصمت ولم تجبه بكلمة.. ولم يخفها تهديده.!!

فخرج ابن السلطان مغضباً.. وأرسل رسولا يخطب له أخت زوجته التي احترقت.. فقبلت الخطبة وأقيمت الاستعدادت للزواج.! وتم كل شيء.. ثم نقل ابن السلطان زوجته الجديدة إلى ركن أختها المتوفاه.!!

وجاءت ابنة الغول تزور الزوجة الجديدة الثانية.. فاستقبلتها ورحبت بها... وقدمت لها شاياً وقهوة.!! ثم قالت ابنة الغول انني أريد أن تزورين غداً في بيتي وقبلت الزوجة الجديدة الدعوة.!! وذهبت إلى ابنة الغولى فرحبت بها وأجلستها في صالة الجلوس.!!

وكان أمامهما الشاي والسكر والابريق فقالت ياشاي سورروحك واتني... وبعد لحظات جاءهما الشاي جاهزا.. ثم

قالت للسمك مثل ذلك ثم صنعت بالتنور كما صنعت سابقا.. وانتهت بذلك مراسيم الحفلة.. وودعت ابنة الغول ضرتها بعد أن دعتها الضرة إلى تناول الغداء عندها في اليوم التالي .!

وذهبت ابنة الغول الى بيت الضرة الجديدة الثانية فأرادت أن تقلد ابنة الغول فيما كانت تصنع فلم تنجح .! وأملت أن تنجح في التجربة الأخيرة وهي الوقوع في التنور ثم الخروج منه سالمة.!! ولكنها فشلت أيضا في هذه التجربة.!! وكانت نتيجة الفشل احتراقها في التنور.!!

وجاء ابن السلطان فوجد زوجته الجديدة الثانية ميتة حرقا.! وسأل عما حدث فأخبر به.. وانها احترقت قضاء وقدراً.!!

فقال انا الله وانا اليه راجعون.. واشتد غضب ابن السلطان على زوجته ابنة الغول.. لأنها هي السبب في جميع ما جرى فلو أنها كلمته واخبرته باسمها لما حصل من هذا شيء.!!

وبقي ابن السلطان حزيناً عدة أيام فهو حانق على زوجته ابنة الغول كما أنه لا يستطيع أن يتزوج مرة ثالثة لئلا يجني على الثالثة كما جنى على سابقاتها.!!

وجاء ذات يوم وهو حزين كثير التفكير في مشكلة زوجته ابنة الغول.. وعدم اخباره باسمها.. وعدم محادثتها له ومحادثته لها.. ودخل إلى جناح هذه الزوجة التي شغلت باله فسمع ابريق الصيني يشكو من ابريق النحاس الى سيدته ابنة الغول ويقول ياستي طظر شوفي ابريق النحاس ضربني.!! فلما سمع الزوج

هذا الكلام ذهب إلى زوجته إبنة الغول حالا وقال لها يا ستي ططر.. يا شبيهة القمر.. كلميني كلمتين.. قلبي عليك انفطر.!!

فالتفتت إليه ابنة الغول ضاحكة متعجبة.!! وقالت له بلسان فصيح.. يداوي القلب الجريح.!! من أين عرفت اسمي.!! وقد اخفييته عنك وأبحت لك جسمي.!!

فقال ابن السلطان لقد سمعت اسمك من ابريق الصيني وهو يشكو من ابريق النحاس.!!

وانطلق بعد هذه الحادثة لسان الزوجة فصارت تحدث زوجها ويحدثها ويكلمها فتكلمه ويسألها فتجيبه.. ويأمرها فتطيعه.. ويجاذبها أطراف الحديث.. فتنساق معه إلى أحاديث لذيذة ممتعة عن تجاربها في الحياة.. وعما مر بها في دهرها من شدائد وتقلبات.!!

وعاش الزوجان بعد ذلك في سبات ونبات حتى رزقوا الكثير من البنين والبنات.. الى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سـالفة:

١٠- ولد العَليمي والأمير قطن بن قطن

«رويت أصل هذه السالفة عن الأخ الصديق سالم بن عبدالله الدريبي وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

قال أحد الأطفال لجدته قصي علي سالفة العَليمي وولده مع أمير طباطب.. وقطن بن قطن فقالت الجدة حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال التاجر من احدى مدن القصيم يلقب بالعليمي وكان هذا التاجر يتعامل مع الآخرين بالدين فيعطيهم البضائع بقيمة أكثر من قيمتها بنسبة ثلاثين في المئة إلى خمسين في المئة على أن تسدد له القيمة بعد عام واحد. واذا لم يستطع المستدين ان يسدد فان عليه.. أن يشتري بالمبلغ الذي في ذمته بضائع من هذا التاجر بقيمة تزيد بنسبة ثلاثين أو خمسين في المئة.!!

وهكذا جمع هذا التاجر ثروته الطائلة التي كان الناس ينظرون إليها بألم وحسرة.. وكانت نفوسهم تتعلق بهذه

الأموال.. وتتوق إلى عودتها إلى مصادرها الأولى.!! وعاش العليمي وثروته تزدد سنة بعد سنة... ومصاريفه العائلية قليلة جداً لأن أفراد عائلته الأدنين لا يزيدون عن ثلاثة أنفار هو وزوجته وولده الوحيد الذي تعلقت آماله به ليكون وارث ثروته... ومخلد ذكره.!!

وكبر الولد الوحيد بين أبوين لم يرزقا إلا هو فكان موضع عطف وشفقة ورعاية قد تتعدى حدود العقول في كثير من الأحيان.!

وشب الطفل مدللاً مخدوماً مجاب الطلبات.. محقق الرغبات.. وكان والده لا يبخل عليه بشيء مهما كثر.. وعاش ولد العليمي بين أصحابه ولذاته.. وهم يتنافسون على القرب منه ومصادقته ومماشاته لأنه ينفق على نفسه وعلى من يرافقه بلا حساب.!!

وبلغ الشاب سن الزواج.. فزوجه والده بابنة عمه.. التي كان يحبها.. كما أنها تبادله هذا الحب.! وعاش الشاب مع ابنة عمه في سعادة ووفاق تامين.. الأمر الذي أثلج صدر الوالد وأقر عينه وجعله يطمئن إلى استقرار ولده وإلى سلوكه الطريق السوي.!!

وكبر الوالد.. وضعف عن الأخذ والعطاء وتكاثرت عليه الأمراض.. وألح عليه الكبر حتى عجز عن ممارسة عمله في البيع والشراء والأخذ والعطاء.!!

ونظر إلى ولده وحاول أن يجعل منه تاجراً يحل محله ولكن ولده ليست لديه عقلية تجارية.. وليس من هواة جمع الدراهم.! وانما هو من هواة تفريقها وصرفها في وجوهها وفي غير وجوهها.!! ولهذا فقد عدل الوالد عن هذه المحاولة.. وترك ولده وشأنه لأنه



ولد الأمير ينظر إلى زوجة الحطاب التي ظنها فتاة بكراً فتعجبه.!!
وتحتال عجوز حتى يهرب زوجها ويتركها.!!

لايستطيع أن يكرهه على ما لايريد.!! وصفى التاجر أمواله وجعلها في عقارات وأراضي وبساتين.. وأوصى ولده بأن ينمي هذه العقارات وان يأكل من ريعها في حدود الحاجة وأن يترك الباقي ينمو ويزيد.. فان ثروته كلما كثرت ارتفعت قيمته عند الناس وزاد احترامهم له وتقديرهم اياه حتى ولو كان لا فائدة لهم من ثروته .! وكان الشاب يصغي الى نصائح والده بسمعه.. فيدخل الكلام من هنا ويخرج من هنا ولايبقى له في نفس الشاب أي أثر .! بينما كان والده يعتقد أن تلك النصائح قد تسربت إلى نفسه .! وتشرب بها عقله وتفكيره.!!

وقدر الله على الوالد فتوفي.. واستولى الابن على تلك الثروة الطائلة.. التي كان ينفق منها في حياة والده في حدود.!! ولكن تلك الثروة الآن انتقلت إليه وصار هو المتصرف الوحيد فيها.!!

وبدأ الشاب ينفق من هذه الثروة ويسرف في الانفاق.. والتف قرناء السوء حوله.. وأخذوا يفتحون له الأبواب .! ويزينون له مغامرات الشباب.. ويقولون له فيما يقولون أين والدك .؟! لقد جمع هذه الثروة على حساب راحته وصحته وسعادته.. ثم ذهب وتركها ولم يتمتع بها.. والعاقل من أخذ العبرة من غيره.. واستفاد من تجارب من سبقه.!!

وبدأ الشاب يدخل في تلك الأمور التي يزينها له قرناءه شيئاً فشيئاً إلى أن استمرأ تلك المعيشة وألفها وانجرف في تيارها.. وصار ينفق من ثروة والده في الليل والنهار.. وبلا حساب.!!

حتى تقلصت الحاصلات وضاقت عن الوفاء بمتطلبات حياته وحياة رفاقه.!! فزينوا له أن يبيع من تلك العقارات.. وأن ينفق من ثمنها فالخير كثير.. والرزق واسع.. ولن ينقص من

ثروته بيع بستان منها..وباع الشاب أحد البساتين.. وجعل ينفق من قيمته.. حتى نفدت.. ثم باع بيتاً كان يدر عليه أجورا وافرة وجعل ينفق من ثمنه حتى نفد.!!

استمر الشاب على هذه الحالة يبيع من تلك العقارات واحداً اثر واحد وهو سادر في غيه.. لايفكر في مستقبله.. وانما يفكر في حاضرة... ولا يلتفت إلى قول صديق أو نصح ناصح.!!

وبعد فترة من الوقت نفذ المال ونفذ العقار.. فجعل يبيع من الأواني والأثاث الذي في بيته.. حتى لم يبق في بيته ما يباع.. ثم زين له قرناء السوء أن يبيع البيت الذي يسكنه لأنه كبير وأن يستأجر بيتاً صغيراً على قدر حاجته.. وبيع البيت وصرفت قيمته ونفدت .! وبقي الشاب صفر اليدين.. وبدأ الأصحاب يتفرقون عنه.. واحتاج إلى أحدهم ذات يوم في أمر من الأمور فذهب إليه فوجد منه فتوار في المقابلة.. واعتذاراً رقيقاً عن عدم تحقيق رغبته.. وذهب إلى صديق آخر فقابله نفس المقابلة.!!

وعرف الشاب أنه كان طيلة السنوات الماضية مخدوعاً بهؤلاء الأصحاب.. وأنه كان يعيش في ظلام دامس لا يرى فيه المرء مواطيء قدميه.!!

وعاد إلى زوجته وشكا إليها ما وجده من الأصحاب ورفاق الصبا.. واوضح لها وضعه المالي على حقيقته... فقالت له زوجته وابنة عمه انه ليس امامك إلا العمل والعيش من عرق جبينك.!!

فقال لها زوجها.. انني لن أجد عملاً شريفاً يليق بمكاني ومقامي .! أما العمل الصغير فإنني آنف منه وأخشى من شماتة الشامتين.!!

فقالت الزوجة واذاً فما هو الرأي .؟! فقال لها زوجها انني

سوف أفكر في الأمر إلى الغد.. ثم بعد ذلك أخبرك بما هداني إليه تفكيري.!!

وجاء الغد.. وسألت الزوجة زوجها عما استقر عليه رأيه.؟ فقال الزوج ان الرأي عندي ان نسافر من هذه البلد التي نعرف فيها إلى بلد لا نعرف فيها وبهذا نعيش في مأمن من أقوال الناس وشماتتهم وسوف أعمل في بلاد الغربة أي عمل يدر علينا الرزق.!!

ولن آنف من أي عمل مهما كان صغيراً أو حقيراً اذا كان يضمن لنا لقمة العيش.. فهل ترافقينني في هذه الغربة أنت ووالدتك ؟

واستشارت الفتاة أمها.. فوافقت على أن تسافر معهم إلى أي بلد يريدون.!!

وشد الثلاثة رحالهم.. وواصلوا السير من القصيم قاصدين مدينة طباطب احدى مدن نجد الكبيرة... ووصلوها.. واستأجروا بيتاً في أحد أحيائها الشعبية وسكنوا فيه.. وخرج الشاب يتجول في الشوارع بحثاً عن عمل.!!

ورأى عجوزاً في أحد الحوانيت تبيع حطباً وتبيع فحماً وتبيع شاياً وتبيع سكراً... ووقف الشاب أمام العجوز فظنت أنه زبون يريد أن يشتري منها شيئاً ولكن الشاب أطال الوقوف دون أن يتقدم بطلب أي شيء.. وقالت له العجوز ماذا تريد يا ولدي ؟ فقال انني رجل غريب في هذه البلدة وألتمس عملاً لأعيش منه أنا وأسرتي.!!

.. ورأت العجوز في جسم الشاب نشاطاً وفتوة.. فأخذت له من داخل الحانوت حبلاً وفأساً وناولته إياهما.. وقالت ان خير طريق تسلكه لكسب الرزق هو الاحتطاب.. وعليك أن تحضر

الحطب من الصحراء وعلي أن أبيعه على عملائي.. ثم أخصم عمولتي وقيمة الحبل والفأس من القيمة وأدفع لك الباقي.!!

وأخذ الشاب الحبل والفأس واتجه نحو الصحراء... وضرب في أرجائها حتى وجد وادياً ملتف الأشجار والأخشاب.. وضرب بفأسه في بعض الأشجار اليابسة حتى جمع من الحطب ما يستطيع حمله.. ثم ربطه وحمله على ظهره وتوجه به إلى المدينة وأعطاه العجوز فباعته له وحسمت حقها من الثمن ثم دفعت له الباقي.!!

فذهب به إلى السوق واشترى منه ما يلزمه ويلزم عائلته من طعام.. وجاء إلى أهله وهو يحمل لهم ما تيسر من مأكول ومشروب .! وفرحت الأسرة بهذا الكسب الحلال.!!

واستمر الشاب على طريقته هذه كل يوم يذهب إلى الصحراء ويأتي بحزمه من الحطب يقتات هو وعائلته بثمنها.. وفي ذات يوم خرج إلى سوق المدينة يتجول ويفرج عن نفسه.. ورأى حانوت تاجر فوقف عنده ورأى التاجر وجهاً غريباً لم يره من قبل فدعاه التاجر الى الجلوس.. فلبى الشاب الدعوة وجلس قريباً من التاجر.!!

وسأل التاجر هذا الشاب عن بلده فقال انه من القصيم وسمى له المدينة التي كان يسكنها.. وسأله عن نسبه فانتسب له.. فعرف التاجر والده وسأله عنه فقال انه توفي.. وانتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية..

وسأله عن ثروة والده- فهو يعرفه.. والتاجر يعرف التاجر فتلجلج الشاب في الدواب.. ثم قال انها وزعت على الورثة

وتشتت.! ولم يبق منها شيء.!!

فقال التاجر للشاب إن والدك صديق قديم لي ومن حقه علي أن أبذل لك أي عون تريده حتى تستعيد مكانة والدك فشكره الشاب وأثنى على مروءته وشهامته.. وقال:-

انني في الوقت الحاضر لا أحتاج إلى شيء.!! قال الشاب هذا الكلام من باب الترفع والاباء.. لأنه عرف من تجربته للأصحاب أنهم كما قال الشاعر العربي القديم:-

وما أكثر الأصحاب حين تعدهم
ولكنهم في النائبات قليل

فقال التاجر للشاب انني مستعد بأي عون.. فاذا احوجتك الدينا الى شيء فأت إلي فانك سوف تجد مني كل ما يسرك.. وان أغناك الله وسدد أمورك فذلك هو أفضل ما أريد.!!

فشكره الشاب على وفائه وأريحته.. واستأذن منه.. وذهب إلى شأنه.!!

واستمر الشاب في عمله.. وتوثقت العلاقة بينه وبين العجوز التي تبيع له الحطب... حتى سألته ذات يوم عن بيته وطلبت منه أن تزور عائلته فرحب بطلبها.. وأخبر أهله فرحبوا بزيارتها أيضاً.!!

وجائت العجوز إلى دار ولد العليمي.. فرحب بها أهل الدار واحتفوا بها لأن رب الدار قد ذكر لهم تعاونها معه وحرصها على مصلحته.!!

ورأت العجوز زوجة الشاب فبهرها جمالها.. وسحرت بكريم أخلاقها.. ورصانة منطقها.. وأحبت العجوز هذه العائلة وصارت

تزورهم ما بين فترة وأخرى حتى ألفها أهل البيت وألفتهم.!!

وفي ذات يوم مر على العجوز أمير البلد.. وقال لها يا أم فلان انني أريد زوجة لولدي.. ولكن ولدي كما تعرفين لايملأ عينه شيء.. فهو يريد زوجته فارعة القامة مشرقة الابتسامة حسنة الحديث مليحة الحركات.. ساحرة اللفتات.!! وأخذ الأمير يعدد الأوصاف التي يراد توفرها في زوجة ابن الأمير.!!

وأجابت العجوز بأنها لاتعرف امرأة تتوفر فيها هذه الصفات الا فتاة غريبة تقيم مع عائلتها في أحد الأحياء الشعبية.. فاذا كنتم ترغبون أن تزوجوا الأمير ولو من غريبة فانني مستعدة بكل ما تريدون.!

فأجاب الأمير بأنه لامانع من زواجه بغريبة.. ولكن ابنه يريد ان يرى زوجته.. قبل الزواج بها فاذا كانت على ما يريد ويهوى أتممنا بقية الاجراآت اللازمة لهذا الزواج.!!

فقالت العجوز:-

علي أن أري الأمير هذه الشابة بطريق الحيلة.. وما على الأمير إلا أن يقصد البيت الفلاني في الساعة الفلانية .! من يوم الجمعة القادم وعليه أن يلبس ثياب المساكين وأن يدق الباب كأنه غريب يطلب شربة ماء. فاذا جاءت له بالماء فليشرب ثم ليضع في قعر الاناء عشر جنيهات ذهبية.!!

فوافق الأمير على هذه الخطة.. وذهب إلى ولده فأخبره بالتفاصيل التي التفقا عليه هو والعجوز.!!

ففرح الشاب بهذه الاجراآت.. واستعد لتنفيذ تلك الخطوات.!!

فلما جاء يوم الجمعة وتجمع الناس في المسجد لسماع الخطبة

وأداء الصلاة ذهب ابن الأمير في ثياب المساكين ودق الباب دقاً خفيفاً وكانت العجوز قد جاءت إلى هذه الأسرة.. وعندما سمعت دق الباب علمت أنه ولد الأمير فقامت مسرعة وأطلت من فوق حائط السطح ورأت ابن الأمير وكلمته من أعلى البيت وسألته عما يريد فقال انني رجل غريب وأريد شربة ماء.!!

فأجابته العجوز بأن الماء سوف يأتيه حالاً ورجعت إلى الفتاة وأمها وقالت انه رجل مسكين يريد شربة ماء.. وأرادت أم الفتاة أن تقوم لتعطي السائل ماء.. ولكن العجوز أمسكت الوالدة بيدها وقالت اقعدي فأنت امرأة كبيرة تثقل عليك الحركة ويشق عليك صعود الدرج وهبوطها.!! وفي هذه الأثناء قامت الفتاة لتعطي المسكين ماء يشرب منه.!!

وكانت على رأسها ووجهها شيلة (أي غطاء الرأس والوجه) فجذبت العجوز هذا الغطاء وقالت لها انه لاينبغي أن تتستري من سائل مسكين لامطمع له أكثر من شربة ماء.!!

وذهبت الفتاة بدون غطاء.. وملأت إناءاً من الماء البارد وفتحت الباب وقدمت الماء للمسكين.. وبقيت عند الباب تنتظر فراغه من الشراب لتأخذ منه الاناء.. فوضع المسكين شفتيه في الماء وتظاهر بأنه يشرب.. مع أنه لايشرب.. وانما ركز نظره في الفتاة.. وصعد فيها نظره وصوبه.. فرأى فتاة قد جمعت كل ما يريده ويهواه وسحر بجمالها.!!

وانتهى ابن الأمير من الشرب ثم أدخل يده في جيبه وأخرج منه صرة فيها عشر جنيهات ذهبية فأسقطها في قعر الاناء ثم دفع الاناء إلى الفتاة وذهب الى حال سبيله.!

وذهب الابن إلى أبيه فأخبره أنه رأى الفتاة.. وأنها هي الفتاة التي يتخيلها ويحلم بأن تكون زوجته.. فوعد الامير ابنه بانه سوف يتزوجها.. وأن أى عقبة تحول دون هذا الزواج سوف يذللها.!!!

أما الفتاة فانها عندما أخذت الاناء، من المسكين لاحظت الصرة التي وضعت في قعر الاناء... فذهبت الى أمها والعجوز عندها.! ولفتت أنظارهم الى الصرة التي في الاناء فأخذنها وفككنها فوجدتا بداخلها عشر جنيهات ذهبية.!!

فقالت العجوز.. لابد أن يكون هذا المسكين هو ابن الأمير وهو انسان غني وسخي.. وهو ولاشك قد علم بحالة الحاجة التي تعيشون فيها فأراد أن يخفف عنكم وأن ينالكم شيء من بره ومعروفه.!!

وفرحت أم الفتاة بتلك الجنيهات أكثر من أي واحدة منهن.! وخرجت العجوزمن هندهم وذهبت في حال سبيلها.!!

وأرسل الأمير إلى العجوز وقال لها اخطبي الفتاة من امها لابني.. فقالت العجوز سمعاً وطاعة.!!

وذهبت العجوز الى الأم فأخبرتها برغبة الأمير.. وأنه يريد ابنتها لتكون زوجة لابنه فرحبت أم الفتاة بهذه الخطبة وقالت انني سوف اضايق زوج ابنتي ختى يطلق.. أو يهرب وعندئذ تكون ابنتي زوجة لابن الأمير.!!

وعلم زوج الفتاة الحطاب بخبر تلك الجنيهات.. كماأنه لاحظ تحولاً واضحاً من أم الفتاة نحوه.. وأدرك بحاسته السادسة أن في الأمر شيئا.. وأن أم زوجته تدبر خطة ليطلق زوجته وابنة عمه.!!

ولكنه مع ذلك لم يظهر لها شيئاً من مخاوفة.. واستمر على طريقته السابقة.. كل يوم يذهب إلى الصحراء ويأتي بحزمة من

الحطب تبيعها له العجوز.. ويأخذ ثمنها ويشتري به قوتاً لأهله.!!

وذهب الشاب ذات يوم على عادته.. وجاء بالحطب وقبض ثمنه واشترى به ما يلزم ثم جاء إلى بيته فوجده مقفلاً ودق الباب فلم يفتح له.!! وبالغ في دق الباب فكلمته أم زوجته وقالت انهم لن يفتحوا له الباب ولم يبق لهم فيه أرب.. وأن عليه أن يرحل وأن لا يراهم ولا يرونه بعد الآن.!!

ولم يكن هذا الأمر مفاجأة بالنسبة اليه فقد أحس من قبل بما يدبر حوله.. فانصرف من عند أهله.. وقد صدم صدمة عنيفة مبا قوبل به. وضاقت الدنيا عليه.. ولم يدر ماذا يصنع أمام هذه الكارثة الجديدة.!!

وتذكر في تلك الحالة صديق والده.. فذهب اليه حالاً ودق عليه الباب ففتح له.. وقابل التاجر الذي هو صديق والده وأخبره بكل ما جرى.. وأن ابن الأمير هو الذي أغرى الأم طمعاً في ابنتها.. وأن الفتاة ليس عندها علم بما جرى.. بل هي على وفاق تام مع زوجها وابن عمها.!!

فقال التاجر.. ان مشكلتك عويصة للغاية.. وليس أمامك إلا حل واحد وهو أن ترحل حالاً إلى الأمير قطن بن قطن أمير عمان.. وسوف اكتب معك له كتاباً.. أوضح فيه أمرك.. واطلب منه عونك.!!

فرحب الشاب بهذه الفكرة وأبدى إستعداداً تاماً لتنفيذها فجهز التاجر حالاً ذلولين عمانيتين من كرائم الابل.. ووضع عليهما كل ما يلزم المسافر.. فركب الشاب على واحدة.. وركب عبد مملوك على الثنية ليكون مرافقاً للشاب ومساعداً له في هذه المهمة الشاقة التي تتطلب سيراً متواصلاً.. وأعطاهما

كتاباً للأمير قطن.!

وسارا في طريقهما إلى الأمير قطن بن قطن ولاحظت الفتاة ماجرى بالنسبة إلى زوجها وابن عمها الذي تحبه حباً عميقاً.! وترتاح العيش معه على أي حالة يكون عليها من فقر أو غنى !! وتفضل ذلك على أي أمر آخر.!!

إلا أنها من ناحية ثانية لاتستطيع تجاه أمها أن تقول أي كلمة..! ولا أن تبدي أية رغبة.. ورأت الفتاة زوجها يرحل من البلد.! ويمشي في الصحراء.. فلبست ملابسها خفية عن أمها.. ثم تسقلت الجدار وتبعت زوجها حتى لحقت به. !!

ورآها زوجها فأوقف الرواحل وتقابل الزوجان.. وكل منهما يبكى بكاء مراً علىماجرى..!! وقالت الزوجة لقد تسللت من البيت من حيث لاتشعر أمي لنهرب منها ومن هذا البلد سوياً.!

فشكرها زوجها على وفائها.. وقال لها عودي إلى أمك وابقي بجوارها... وأنا ذاهب في سبيل خلاصك مما يدبر لي ولك من مكيدة. !!

فاذا قدر لي النجاح في مهمتي فانني سوف أكون عندك بعد بضعة أيام.. وإلافاننا سوف نترك أمورنا للمقادير تسيرها كما تشاء.. وتشبثت الفتاة بزوجها.. وقالت لابد من الهرب معك إلى حيث تهرب . !!

فقال لها زوجها انك لو هربت معي للحقوا بنا وقتلوني واسترجعوك غصباً.. وأنت تعلمين أنه ليس لدينا قوة ندافع بها عن أنفسنا.!!

عندئذ اقتنعت الفتاة بصواب رأي زوجها وابن عمها..

وعادت إلى بيت أمها وهي دامعة العين كسيرة الفؤاد.!!

وسار ولد العليمي في طريقه وواصل السير ليله بنهاره... حتى وصل إلى عمان بعد ثلاثة أيام من رحيله من مدينة طباطب ووصل إلى عاصمة ملك الأمير قطن بن قطن... ووجده جالساً مجلساً عاماً في الميدان الرئسي من المدينة.!!

وجاء فسلم عليه وجلس في جانب من جوانب الميدان مع الجالسين.. ورأى في مجلس الأمير قطن بن قطن ما هاله وبهره.! فقد رأى جثث القتلى تتناثر في جوانب الميدان.. لأن جميع أفراد رعية الأمير يأتون إليه زرافات ووحداناً.!!

فمنهم من يقطع رأسه.. ومنهم من يقطع يده.. ومنهم من يسلب ماله.. ومنهم من يعطيه حتىيغنيه.. أو يوليه ولاية حتى يرفعه ويعليه.!!

وبقي ولد العليمي في مجلس الأمير قطن بن قطن وهويشاهد هذه الأحداث.. ويتعجب منها.. وتهوله.. وتروع فؤاده .! وعند ما انتهى سلام الوفود.. ونفذت الأحكام التي يصدرها الأمير بدأ الناس يتفرقون جماعات وأفراداً مثلما اجتمعوا.!!

وقام الأمير قطن من الميدان متجهاً إلى قصره الخاص فتبعه ولد العليمي.. وأعطاه الكتاب الذي بعثه إليه التاجر ففض الكتاب وقرأه وهو يمشي وعرف التاجر وعرف مضمون الكتاب.. وعرف مشكلة حامله.!!

وسار ولد العليمي بجانب الأمير.. حتى وصلوا إلى مجلسه الخاص فجلس الأمير.. وأجلس الشاب أمامه.. ونشر الكتاب مرة ثانية يقرأه ويتأمل مضمونه.. وبينما هو كذلك وإذا بالشاب تأخذه

سنة من النوم وهو جالس.. واذا به يضحك في مجلس الأمير.. فغضب الأمير غضباً شديداً وظن أن هذا الضحك ينطوي على هزء وسخرية واستخفاف من الشاب بالأمير.!!

فنهر الشاب وهدده بالقتل إذا لم يوضح له أسباباً معقولة لهذا الضحك..؟!

فقال الشاب عفواً أيها الأمير الجليل فقد أسأت الأدب في مجلسكم المهيب.!! والسبب في ذلك أنني نعست من شدة التعب ومواصلة السير وكثرة السهر.. ومن شدة شوقي إلى ابنة عمي رأيت في المنام كأنني معها أداعبها وهي تداعبني.. وجاء في أثناء هذه المداعبة ما يدعو إلى الضحك فضحكت.. وأنا أكرر اعتذاري وأسفي لما حصل .؟!

فقبل الأمير عذره.. ودعا أحد خدمه فقال له اذهب به إلى دار الضيافة.. وغداً يقابلني لأرى في أمره ما أرى.!!

فذهب الشاب مع الخادم وسكن في دار الضيافة.!! وفي اليوم الثاني جاء الشاب إلى الأمير في الموعد المحدد... فوجد الأمير وحده.. وكان الأمير قد أمر باحضار أربعين فتاة من الفتيات الأبكار.. وأن يلبسن أحسن ملابسهن وأن يتزين بأجمل حليهن.!! فلما استقر الشاب في مجلسه قال له الأمير انني سوف أعرض عليك الآن أربعين فتاة أبكاراً فاختر واحدة منهن بدل ابنة عمك.!! فسكت الشاب ولم يعارض أمر الأمير.!! وجاءت الفتيات الأربعون وصارت كل واحدة تمر من أمام الشاب في كامل زينتها وأبهى حللها.!!

حتى تكامل مرور أربعين فتاة من أمامه وهو لايقول شيئاً.!

وعندما تكامل مرورهن اجمعين جميعاً في جانب من جوانب البهو أمام الشاب وقال الأمير للشاب اختر واحدة من هؤلاء الفتيات بدل ابنة عمك.. فقال الشاب انني لم أر واحدة منهن تقارب ابنة عمي في جمالها ودلالها.. وكمالها.!!

فتعجب الأمير من ملام الشاب.. وقال في نفسه لابد أن ابنة عم هذا الشاب فريدة وحدها.. ودرة زمانها.. وقال الأمير للشاب قم وتجهز للسفر حالاً..وقام الشاب وذهب إلى دار الضيافة واستعد للسفر.!!

أما الأمير فانه أمر بأن يجهر له مائتي ذلول عمانية من خيار الابل .! وأن تجهز حالاً بما يلزمها.. وأن يختار من رجاله مائتي شخص من الرجال الشجعان .. فلما كمل اعداد الجيش وختيار الرجال أخبر الأمير.. فركب الأمير ومعه مائتي رجل على مائتي ذلول.!!

وسار الشاب في رفقة الأمير.. وواصل الركب سيره.. فلما قربوا من مدينة طباطب بحثوا عن مكان خفي... فنزلوا فيه حتى جاء الليل.. وعندما خيم الظلام على الكون رأوا مدينة طباطب .! وقد ازدانت بالأنوار و معالم الزينة.!!

وذهب الأمير مع الشاب إلى طرف من أطراف المدينة يتلمسون الأخبار.. فعلموا أن زواج ابن الأمير من الفتاة الغريبة سيكون في تلك الليلة.!!

فعاد الأمير إلى رجاله.. وقال لهم انني سوف أذهب أنا والشاب إلى المدينة.. فاذا جاء الصباح ولم نعد إليكم فشدوا رحالكم . وسيروا مسرعين إلى بلادكم.!!

وبعد القاء هذه التعليمات.!! أخذ الأمير بيد الشاب وذهبوا

إلى المدينة متسللين ومروا في طريقهم إلى قصر الأمير بمسجد.!! فقال الأمير للشاب ابق في هذا المسجد حتى أعود اليك.. فبقي الشاب في المسجد.!!

وذهب الأمير قطن بن قطن متجهاً إلى بيت أمير طباطب في وسط الزحام وقد تنكر في ثياب تشبه ثياب النساء.. وغطى وجهه حتى لم يبق إلا عيونه ، واندس بين النساء.. وصار يمشي في صفوفهم... حتى دخل بيت الأمير وجلسوا في الغرفة التي فيها العروس.!!

وتحين الأمير قطن فرصة من غفلة الحاضرين عندما أديرت أكواب الشاي والحليب فاختفى في ركن من أركان الغرفة... وحشر نفسه بين الحائط.. وبين الستائر التي تكسو جميع الحيطان وبقي في مكانه لايتحرك.!!

فلما شرب الحاضرون القهوة والشاي أديرت مجامر البخور.. قيل للمجتمعين بارك الله فيمن زار وخفف.!! وهذه هي الاشارة للانصراف.!! فقام الناس وخرجوا من هذه الغرفة.!!

وأقفل على العروسين الباب من الخارج.. ولم يبق عند الباب إلا خادم الأمير الخاص.. وأم العروس.. وفي هذه اللحظة خرج الأمير قطن بن قطن من بين الستائر.. وهجم على ابن الأمير فأمسكه ودق عنقه.. دون أن يخرج منه أي صوت.. ودون أن يحاول المقاومة.!! وكان الأمير قطن بن قطن يتمتع بقوة هائلة.. حتى قيل في تقدير هذه القوة انها تبلغ قوة اربعين رجلاً.!!

وبعد أن قضى علىابن الأمير كانت الفتاة تعلم بأن زوجها قدذهب إلى قطن بن قطن ليستنجد به.. ولم تشك في أن هذا الشخص هو الأمير قطن بن قطن.!! الذي جاء مع ابن عمها

لانقاذها.!! ورسم الأمير قطن خطة الهرب بالفتاة... وقالت له الفتاة إنه ليس عند الباب إلا والدتي وخادم الأمير الخاص.!!

فقال لها دقي الباب عليهم وقولي لهم افتحوا الباب لزوجي.! ليذهب زوجي إلى الحمام ففتحوا الباب وخرج الأمير قطن بن قطن فأمسك رأس العجوز بيد ورأس الخدم باليد الأخرى.. ثم دق رأس أحدهما بالآخر وألقاهما على الأرض ميتين.!!

ثم أخذ الفتاة وصار يمشي بها في طرقات القصر ولاأحد يعترض طريقه..لأن كل من رآه ظنه أحد الضيوف المتخلفين في القصر .! وخرج الأمير قطن بن قطن من القصر دون أن يلقى أي مشكلة.!! ومر على زوج الفتاة في المسجد وأخذه معه واتجه الثلاثة إلى حيث يختبيئ رفاقهما.!! وبمجرد وصولهم شدوا الرحال وساروا في طريقهم إلى بلاد قطن بن قطن.!! وجدوا في السير خوفا من أن يلحق بهم أحد.!!

واستمر بهم السير دون أن يلحق بهم أحد.. وجاء إلى الأمير قطن بن قطن أحد رجاله ذات يوم.. وقال له وهو يسر إليه ما يقول : أتدري أيها الأمير أن زوجة هذا الشاب عبدة سوداء.؟! وقد جشمنا هذه المشاق.. وأركبنا هذه الأخطار في سبيل هذه العبدة ومن أجلها .؟!

فغضب الأمير قطن بن قطن من هذا الخبر.. وقال لنا قل الخبر :- وهل أنت واثق مما تقول..؟!

فقال الرجل انني واثق كل الثقة .! وإذا كانت الفتاة غير عبدة سوداء.. فان للأمير أن يقطع رأسي وأن يرميه للكلاب.!!

فقال الأمير وكيف عرفت ذلك .؟! فقال الرجل لأميره لقد

رأيت قدميها وأطراف أصابعها والكل أسود.. ولاشك أن بقية جسمها مثل أطرافها.!!

فقال الأمير قطن انني سوف استطلع الخبر بنفسي.. وسوف أتخلف عنكم قليلاً.. ثم اطلق لذلولي رسنها وأصيح فيكم انجوا بأنفسكم.!! لقد لحق بكم الأعداء.!!

وفي هذه الحالة يجب أن تنطلق الرواحل الى الأمام بأقصى سرعتها.. وسوف يتكشف لي بعض أطراف المرأة فأعرف من ذلك صدق قولك أو كذبه..!!

فان كان كلامك صدقا فسوف أقتلها و أقتل زوجها معها.!! وأن كان خبرك كاذباً فانني سوف أقطع رأسك وأرميه للكلاب كما قلت.!!

فوافق مبلغ الخبر على هذه الاجراءات.!!

وتأخر الأمير عن رجاله قليلاً ثم على حين غفلة صاح فيهم صيحة منكرة .! انجوا بأنفسكم.!! فلقد لحق بكم الأعداء.!!

وانطلق الأمير بذلوله... ورأته الابل فانطلقت بأقصى سرعتها.!! وتبدى وجه المرأة حيث طار عنه الغطاء.. بسبب تيار الهواء وتبدت يديها وساقيها.!! فرأى الأمير قطن ما هاله وأعجبه من جمال المرأة.. وصفاء بشرتها وشدة بياضها.!!

أما السواد الذي رآه الرجل المبلغ للخبر في أطرافها فهو نوع من الحناء الأسود الذي كانت تصبغ به اطراف العروس في تلك الأيام.!!

وبعد أن تكشفت للأمير قطن بن قطن الحقيقة... قال لرجاله هدئوا السير فقد فتناالأعداء.. وزال الخطر.!! فسار الركب سير الهوينا.!! وعندما نزلوا في أول منزل بعد أن جرى ما جرى.. طلب

الأمير هذا الخادم وقطع رأسه وألقاه للكلاب كما اتفقا.!!

وعاد الأمير قطن بن قطن إلى بلاده سالماً ومعه ضيفه الذي جاء اليه مستجيراً به من ظلم وقع عليه من قوم لايستطيع أخذ الحق منهم.

وبقي ولد العليمي بجوار الأمير قطن بن قطن شيفاً معززاً مكرماً ومعه ابنة عمه التي أحبها وأحبته وكان وفياً معها كما أنها كانت وفية معه.!!

وبعد ان استقر ولد العليمي في بلاد قطن بن قطن.. أعطاه الأمير مقاطعة كبيرة من مقاطعات مملكته الواسعة.. وقال له إنها لك وأنت الحاكم المتصرف فيها.. لا معارض لك ولامحاسب إلاالله.!!

وعاش ولد العليمي في تلك المقاطعة عيشة سعيدة رغدة.! ورزق من زوجته الوفية.. وابنة عمه السرية.. أولاداً كثيرين.!! وحملت وكملت وفي أصيبع الصغيردملت .!!

للشاعرة عمشا العتيبة

لا واهـنـي الليـي دلـوه بـدنـياه
والا صـغـير مـا يـعـرف الـعـلـوم
يـا لـيتـنـي طـير إلى طـار يـنـصـاه
اللي عـلى دار الحبـيـب يحوم
عن نـايف أخبرني عسى الشر ماجاه
ومـاجـور يـالمـنـصـور هـيـف الـقـحـوم

(عن كتاب شاعرات من البدية)

سالفـــــة:

١٦-الذي ما مر عليه يوم اقشر

«رويت أصل هذه السالفة عن الأخ الصديق الأستاذ عبدالعزيز الجماز وكتبتها بأسلوبي الخاص واثبتها هنا كما ترى»

جاء الأطفال جدتهم ليلاً فلم يجدوها في مكانها المعتاد.. وانتظروها فطال انتظارهم ونفد صبر هم فلم يكن منهم إلا ان طلبوا من أحدهم أن يقص عليهم قصة مما يحفظ..فقال زميلهم حباً وكرامة :-

هناك هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اللي من البادية.. قد رزقه الله كثرة المال والسخاء وحسن الخلق.!! كما أنه رزق زوجة صالحة مصلحة واولادا بررة يطيعونه إذا أمر ويقبلون نصحه اذا نصح.!!

وكان الضيف والمحتاج إذا جاء إلى هذا الرجل لم يذهب إلا وقد نال فوق ما يتمنى وأكرم فوق ما يتصور.!! حتى انتشرت مكارم هذا الرجل وعظم شأنه وكثر محبوه.. وكثر قاصدوه.!!

وفي ذات يوم جاء إليه ضيوف ثلاثة لايعرفهم ولا يعرفونه

فرحب بهم على عادته.. وأدخلهم بيته وشب النار وصنع لهم القهوة والشاي.. وكان في أثناء تقديم القهوة والشاي يؤنس ضيوفه ويحدثهم ويصغي إلى أحاديثهم اذاتحدثوا.!!

وجاءت فرق الغنم وأذواد الابل من المرعى فحفت ببيته وأمر أحد أولاده بأن يذبح للضيوف خروفاً سميناً ففعل.. وجهز العشاء.! وقدم للضيوف.!!

وكان من عدة هذا الرجل الكريم أن لايأكل مع ضيوفه بل يقدم لهم طعامهم او ضيافتهم.. ثم يترك لهم الحرية الكاملة في طريقة تناول طعامهم.!! ورأى الضيوف الثلاثة كرم هذا الرجل وطيب اخلاقه وكثرة ماله.. واولاده.. وبر الأولاد بوالدهم حتى أن كلمة هذا الوالد لاتكاد تتكامل من فمه حتى يشرع أحد الأولاد في تنفيذ ما طلب.!!

وصار الضيوف الثلاثة يتناولون عشاءهم ويتحدثون بمختلف الأحاديث.. ومن جملة أحاديثهم التحدث عن مضيفهم وما أعطاه الله من بسطة في المال والولد والخلق.. وما طبع عليه من الكرم والبذل.!!

وقال أحد الضيوف الثلاثة.. انه أي مضيفهم لم يمر عليه في حياته يوم أقشر . أي يوم شقاء وشدة.!! وسمع مضيفهم هذه الكلمة الأخيرة.. وسرها في نفسه وقال انني لابد أن أناقش ضيوفي عن هذه الكلمة.!!

فلما انتهى الضيوف من الطعام قموا.. وذهب بهم مضيفهم إلى حيث توجد القهوة والشاي.. وصار يقدم لهم أكواب الشاي والقهوة ويتحدث معهم.. وقال لهم من جملة حديثه :-



هكذا شردت الراحلة بالأطفال الصغار .! عندما خرج الوالد من الدحل... فلم يلحق بهم حتى صاروا جثثاً هامدة.!!

لقد سمعت واحداً منكم يقول انه لم يمر بي في حياتي يوم أقشر .! وأنتم تعلمون أن الحياة كما تعطي فهي تأخذ .! وكماتسعد فهي تشقي .! وهي دائماً تمزج السعادة باشقاء.. والخير بالشر.. ولم تصف هذه الحياة حتى لأنبياء الله.!!

وأنا أريد أن يقص علي كل واحد منكم أصعب يوم مر عليه في حياته.. واذا انتهيتم

من أحاديثكم فانني سوف أقص عليكم اصعب يوم مر علي في حياتي.!!

فقال أحد الضيوف الثلاثة انني سوف أقص عليكم اصعب يوم مر علي في حياتي.. فلقد سافرت في سنة من السنوات في طلب العيشة إلى بلاد الخليج.. وركبنا مركبا لاستخراج اللؤلؤ من قعر البحر وبينما كنا ذات يوم في وسط البحر هبت علينا ريح عاصف ومعها سحاب ورعد وبرق.. فصارت الريح والأمواج ترفع المركب إلىفوق ثم تهبط به إلى أسفل... وكان كل واحد من ركاب المركب يعمل في المركب.. ويحاول أن يوجهه حيث تتجه الريح.. حتى يخف اصطدامنا بالريح واصطدامها بنا.!!

وأيقنا بالهلاك.. فقد رأينا المركب على رغم الجهود المبذولة قد بدأ يتزعزع.. وبدأ يدخله الماء بكثرة لانستطيع تفاديها.. وبعد لحظات من الصراع والكفاح امتلأ المركب ماء وبدأ يغوص في أعماق البحر .

وتناثر الركاب من فوقه وجعلوا يعومون على ظهر الماء.. والأمواج والرياح تصفقهم من ذات اليمين إلى ذات الشمال.. ومن ذات الشمال الى ذات اليمين.!!

وبدأ البحر يبتلع رفاقي واحدا اثر واحد.!! وليس منا من

يستطيع أن يبذل أي عون لأي رفيق من رفاقه.. لأن كل انسان مشغول بنفسه.. وليس عنده أي قدرة لعون رفاقه.!!

ونظرت حولي فاذا رفاقي قد تفرقوا في البحر لاأدري من مات منهم.. ولا بمن هو على قيد الحياة .! ما عدا اثنين منهم.. كانا يجيدان السباحة.. وبدأنا نحن الثلاثة نكافح في سبيل الحياة..ونصارع الريح والأمواج..ونترقب الفرج في كل لحظة من اللحظات.!!

وخارت قوى أحد رفيقي وبدأت الأمواج تطغى عليه.!! وأحس بأنه فقد أي مقاومه.. واستغاث بنا ولكن كل واحد منا كان مشغولاً بنفسه.. وليس لديه أي جهد زائد ليبذله لصديقه وابتلع البحر هذا الصديق من جملة من ابتلع.!!

وبقيت أنا وزميلي الذي لايزال لديه شيء من القوة لمصارعة الأمواج والرياح..وفي اليوم الثالث من هذه الحادثة رأينا مركباً كان سائراً في طريقه.. ورآنا ركاب المركب فمالوا بمركبهم إلى جهتنا وانتشلونا من البحر.. فنجونا من الغرق بعد أن يئسنا من الحياة.!!

فكأننا قد ولدنا من جديد.!! فهذا هو أصعب شيء مر علي في حياتي.!! وجاء دور الضيف الثاني فقال إن أصعب شيء مرّ علي في حياتي هو :-

أنني كنت في سنة من السنين مع خمسة من رفاقي.. وفكرنا في أن نغزو احدى القبائل.. ثم نترقب فرصة غفلتهم فناخذ بعض إليهم ونهرب بها.. وسرنا نحن الرفقة الستة حتى وصلنا بالقرب من مضارب هذه القبيلة.. واختفينا في غار إلى أن جاء الليل.!!

وعندما هدأت حركة الحي وظننا أنهم قد ناموا تسللنا الى مبارك الابل واقتطعنا ذودا منها.. وسقناه أمامنا وسرنا سيرا

حثيثا.!! وواصلنا السير ليلنا بنهارنا.!!

وجاء اليوم الثالث و لم يلحق بنا أحد.. وعندئذ أمنا بعض الشيء.. وقلنا لعل القوم طلبونا في اتجاه آخر غير الاتجاه الذي نحن فيه..أو لعلهم يئسوا من اللحاق بنا فانقلبوا راجعين.. وتركنا الابل ترعى في مكان منخفض خصيب.!!

ونام بعضنا.. بينما كان البعض الآخر يعد الطعام... والتفت أحدنا إلى جهة من الجهات فرأى غباراً مثاراً.!! فقلنا لعلها ريح .! ولكن الغبار في جهة محدودة.. وهذا الغبار وما تحته يسير في اتجاهنا .! وبدأت المخاوف تدب إلى نفوسنا وأيقظ بعضنا.. وبدأنا في الاستعداد.!!

وفي هذه الأثناء.. ظهرت لنا رؤوس الخيل تعدو بفرسانها.! وقربت منا الخيل وكان كل واحد منا قد أعد بندقيتة واستعد لاطلاق النار.. وعندما وصلت الخيل ألى متناول بنادقنا أطلقنا عليها النار .! فذعرت الخيل وتفرقت.. ثم أحاطت بنا من كل جنب.!!

وبدأنا نتبادل اطلاق النار معهم فترة قليلة وهم يضيقون الخناق علينا شيئاً فشيئاً . ويصلوننا نارا حامية من بنادقهم فتساقطنا نحن الستة صرعى وجاء القوم فأخذوا سلاحنا وأمتعتنا.. وبدأوا يتحسسون رفاقي واحداً اثر واحد هل فيهم شيء من الحياة فوجدوهم جثثا هامدة.!!

وجاء الدور علي.. فجاؤو وطعنوني عدة طعنات في مواضع حساسة من جسمي فلم أتحرك.. فقد ضغطت على أعصابي وتحملت الآلام العظيمة كل ذلك من أجل النجاة.. وتيقن

القوم أننا كلنا اموات فأخذوا ابلهم وعادوا بها وتركونا ملقين في الصحراء.!!

وبقيت في مصرعي يوماً وليلة حتى استعدت بعض قوتي ونظرت إلى أصحابي وإذاهم قد انتفخت بطونهم وبدأت العفونة تتسرب من أجسامهم.. فبدأت أزحف وأجر نفسي جراً لأبتعد عن هذا المنظر المؤلم والرائحة الكريهة.. كما أنني اتجهت إلى جهة قد يلقاني فيها أو ألقى فيها بعض الناس الذين ينقذون حياتي.!!

وفي اليوم الثالث من الحدثة مر بي راعي غنم فسقاني ماء وأطعمني تمراً.. ثم ساعدني علي الركوب على احدى الدواب التي معه.!! وسار بي إلى الحي الذين ينتسب إليهم.. فبقيت عند هذا الحي ما يقارب الشهر.!! وهم يعالجونني و يضمدون جراحي.!! حتى برئت ونجوت من بين رفاقي السنة من موت محقق.!!

فهذا هو أصعب ما مر بي في حياتي.!!

وجاء دور الضيف الثالث وكان اكولاً جشعاً.. وكان في نفس الوقت مرحاً مزاحاً.!!

فقال ان أصعب ما مر بي او سيمر بي في حياتي هو تأخير وجبة الطعام عن ميعادها.!! وضحك الحاضرون.!!

ثم جاء دور المضيف فقال له ضيوفه قص علينا أصعب ما مر بك في حياتك يا مضيفنا الكريم فقد وعدتنا بذلك.!!

فقال مضيفهم حباً وكرامة.!! لاشك أنكم تظنون أن حياتي كلها سعادة وغنى.. ولكن الواقع غير ذلك فقد مر بي في حياتي اطوار منها ما يحطم.!! ومنها ما يبني .! فيها ما يسعد.! وفيها مايشقى.!!

وأنا سوف أقص عليكم أخطر حادثة مرت علي في حياتي لتعلموا أن الحياة ليست رخاء مستمراً.. وليست شدة دائمة.!!

فأصغى إليه الضيوف الثلاثة وعلموا أنهم سيسمعون قصة طريفة فريدة في نوعها.!!

فقال مضيفهم يا أبنائي لقد كان لي في أول شبابي أموال أكثر من هذه الأموال.. وكان لي زوجة رزقت منها بأربعة أبناء إثنين منهم كانوا كباراً منهم من يسرح بالغنم ومنهم من يسح بالإبل ولي ولدان صغيران.!!

وكنا ذات سنة من السنوات في الصمان وجاءنا الصيف واحتجنا إلى الماء.. كما احتجنا إلى الانتقال من مكاننا الذين نحن فيه إلى مكان آخر يكون قفرا.. وأكثر مرعى وأخذت الأولاد الصغار معي على الراحلة.. وأمرت الأولاد الكبار أن يسرحوا بإبلهم وغنمهم.!! ووالدتهم معهم.. وموعدهم في المساء مكان معروف عينته لهم قرب دحل من دحول الصمان.!!

وذهبت بالأولاد الصغار إلى هذاالدحل.. وعندما وصلت إليه أنخت راحلتي وعليها أولادي .! الذي أرهقهم الظمأ.. فتركت الأولاد عليها ونسيت أن أعقلها.. وأخذت معي قربة وذهبت مسرعا إلى فم الدحل.. ونزلت فيه بصعوبة..! لأن بابه ضيق.. وفيه انحدار يتطلب رفقاً وحذراً.! واتسع الدحل.. ومشيت فيه وأنا أتحسس طريقي إلى الماء.!!

وفي أثنا سيري شممت رائحة خبيثة فمددت يدي فاذا هي تقع على جثة انسان ميت فانقبضت نفسي وتشاءمت من

يومي هذا ولكنني حاولت أن أتجاهل هذه الأمور وأن أفكر في أمور أخرى تلهيني عنها.!!

الا أنني كلما صرفت نفسي عن هذه الأفكار عادت إليها بعد فترة قصيرة.!!

والمهم أنني واصلت سيري في داخل الدحل.. في ظلمة قاتمة.!! من الأفكار السوداء والتشاؤم الملح.. ووصلت إلى الماء وملأت قربتي ثم علقتها فوق احدى كتفي.. وجئت خرجا من هذاالدحل الموحش .! وعندما بلغت مدخل الدحل أخرجت القربة أولا .! وعندما رأتها راحلتي تخرج من فم الدحل نفرت منها وخافت .! ثم ثارت من مبركها وشردت تعدو بأقصى سرعتها.. وأولادي الصغار فوق ظهرها والظمأ يكاد يقتلهم.!!

وخرجت من الدحل وحملت القربة وتبعت الراحلة..لعلها تهدأ عن قريب فألحق بها وأنقذ أولادي الصغار من الهلاك .!! وتبعتها والقربة على ظهري وأنا أمشي مشي مثقل.. لأن القربة تعوقني عن السير السريع.!!

وأخذ مني التعب والثقل كل مأخذ فوضعت القربة من فوق ظهري وجعلتها تحت احدى الشجرات ثم واصلت السير الحثيث خلف الراحلة والأولاد.!!

ومضى أول يوم ولم ألحق بالراحلة.. وجاء اليوم الثاني وعلمت أنني لاأستطيع اللحاق بها على قدمي.. وقررت أن أعود إلى أهلي.! وآخذ راحة سريعة ثم أتبع آثار راحلتي الهاربة حتى أدركها.!!

وعدت حتى وصلت الموضع الذي تواعدنا فيه فلم اجد فيه أحدا.. فكررت راجعا إلى الدحل.. وعندما قربت.. رأيت سواد امرأة تجلس بالقرب منه فمشيت حتى قربت من السواد. فاذا هو سواد زوجتي.. فسالتها عن الأولاد الكبار والموشي .!!

فقالت عوضك الله خيرا منهم..فقلت وما الخبر.؟! فقالت والحزن والعبرة يخنقان صوتها.. لقد أغر علينا بعد مسيرك جماعة من الحشنل (اللصوص).. وهجموا على الابل والغنم ليأخذوها.! ووقف أولادك دونها.. وقاتلوا اللصوص ودافعوا عن انفسهم و عن مواشيهم ولكن الكثرة تغلب الشجاعة.!!

فقد قتل الولد الأكبر ثم قتل الولد الأصغر واستولى الحنشل على الأموال والأثاث.. ونجوت أنا بنفسي وليس معي أو علي إلا هذه الأطمار البالية.. أما جميع ما كان عندنا فقد استولى عليه الحنشل وحملوه إلى حيث لاأدري.!!

ثم سألت الزوجة بكثير من الخوف والجزع عن أولادها الصغار !

فقال الرجل عوضك الله عنهم بأبرك منهم.. فقالت وماذا حدث فقص عليها ما جرى بحذافيره.. ثم قال لها إن نأخذ القربة.. فنتعاقب على حملها.. وأن نتبع آثار الراحلة حتى نجدها فندفن الأولاد الذين لاشك أنهم لاقوا حتفهم.!! ثم نأخذ الراحلة ونبدأ حياة جديدة.!!

ومشى الرجل وزوجته مع آثار الراحلة الشاردة... حتى بلغوا مكان القربة فحملوها.. وساروا يومهم ذلك كله واليوم

الثاني وهم يبتعون آثار راحلتهم.. وعليهاالأولاد .! !

ولحقوا بالراحلة حتى وصلوها ثم أناخوها فوجدوا الأولاد جثثا هامدة .! فأنزلو هم وحفروا لهم حفرتين متجاورتين... وصلوا عليهما ثم دفنواهما في ثيابهما.!! وركبا الراحلة وعادا إلى الدحل فأخذا منه ماءا.. ثم ابتعدا عن الدحل وقيدا الرحلة لترعى وذهب الرجل يتصيد . ! !

فاصطاد أرنباً وجاء بها إلى زوجته فشوتها ثم أكلا وشربا وحمدا الله الذي لا يحمد على مكروه سواه . ! ! ثم واقعت زوجتي في تلك الليلة فحملت بأكبر أولادي الآن.. وهو الذي ترونه يخدمنا ويقوم شؤوننا.. والذي هو عميد الأسرة والبذرة الأولى لهذه السعادة . ! !

وجاء الصباح.. فركبت الراحلة.. أنا في المقدمة وزوجتي في المؤخرة وسرنا حتى وصلنا إلى مضارب فخذ من أفخاذ قبيلتنا .! فنزلنا عندهم.... وعلموا بالكارثة التي حلت بنا.. فمنهم من أعطانا عنزاً ومنهم من أعطانا شاتاً ومنهم من أعطانا طعاماً ومنهم من أعطانا سمناً وأقطاً .!!

وانتعشنا.. وبدأنا ننمي ما في أيدينا من المواشي.. فنمت شيئاً فشيئاً ورزقنا بالمولود الأول فكانت ولادته مبدأ السعد والخير والرزق الوفير . ! !

وما زلنا ننمي ما في أيدينا من المواشي . ! وهي تتكاثر وتنمو نمو الرمل حتى بلغت ما ترون الآن . ! !

وأنا أقص عليكم أيها الضيوف الكرام هذه القصة لأنني سمعت من أحدكم قوله : هذا والله الذي ما مر عليه في حياته يوم اقشر .! لتعلموا أن الحياة تعطي وتأخذ.. وتسعد وتشقي.. وأنها لاتدوم على حالة واحدة . ! !

فالعاقل هو الذي إذا أعطي شكر الله وبذل المعروف... وإذا ابتلي صبر وانتظر الفرج ! فإن الشدة لا تدوم.. وكل حال في هذه الدنيا إلى زوال . ! !

فدهش الضيوف الثلاثة من هذه الأحداث المخيفة التي مرت بمضيفهم.. ثم قضى المضيف حاجات ضيوفه فانصرفوا من عنده شاكرين .!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت . !!



سالفـــــــة:

١٧- جمعان وزوَجتـه وصديقه

«رويت هذه السالفة عن الأخ الصديق أبي صالح الشيخ
محمد الحديثي وكتبتها بأسلوبي الخاص اثبتها كما ترى»

قال أحد الأطفال لجدتهم قصي علينا سالفة جمعان وزوجته وصديقه.. فقالت الجدة حباً وكرامة ولكن على شرط أن لا تصدقوا بكل ما ينسب إلى النساء.. فإن المرأة مظلومة في كثير من الأحيان. وهي تحمل ذنوباً قد لا تكون ارتكبتها.. كما أنها قد تضخم بعض هفواتها الصغيرة حتى تكون كالجبال الشامخات.!!

وعلم الأطفال أن جدتهم قد خشيت أن يساء الظن في بيانات جنسها إلى حد غير معقول.! فأجابوا بأن شذوذ واحدة أو وحدات لا يمكن أن يكون قاعدة يبنى عليها حتى يساء الظن بالجميع فقصي علينا قصتهم ولن نتخذها قاعدة يقاس عليها.!!

فقالت الجدة حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك

الرجال اللي يدعى جمعان وكان له صديق قد ألفه وعرفه من وقت الصبا وكان هاذان الصديقان لا يكادان يفترقان . !

وتـزوج جمعان... ودخل في عالم جديد.. إلا أنه مع هذا لم يـنـس صـديـقـه.. ولم يـتـغـير شيء مما كـان بينه وبينه مـن اجتماعات وروحات وجيئات.!!

وعـاش جمعـان بين زوجتـه الجديـدة .! وصـديـقـه القـديم عيشة كلها سعادة وحب وإخاء ورخاء وأمل.!!

وعرضت لجمعان حاجة في بلاد بعيدة.. وأراد أن يسافر لقضاء هذه الحاجة.. وزوجته في البيت وحيدة.. وأهلها في قرية نائية وهي لاترغب ان تنتقل من المدينة التي يسكنها زوجها إلى القرية التي يسكنها أهلها.. كما أنها لاتستطيع أن تخرج من بيتها إلى السوق لشراء ما تحتاج إليه.. فقد كان من التقاليد الجارية والمتعارف عليها ان المرأة لا تخرج من بيتها إلا إلى قبرها.. وكان النساء يعرفن هذه القاعدة ويلتزمن العمل بها وينفذنها حباً أو كرها.!! وقد ألفن هذا الأمر القاسي وصار عندهن شيئاً عادياً لا غرابة فيه ولا شذوذ .!

وفكر الزوج في أمر زوجته.. ومن سوف يتعاهدها ويقضي لهاحوائجها من السوق في أيام غيابه.!! ولم ير جمعان فيمن حوله أفضل وآمن من صديق صباه.. وصفي كبره.!!

وقال جمعان لصديقه أنني سوف أكل اليك أمر زوجتي وبيتي في غيابي وسوف أضع عندك بعض النقود فإذا لزمهم شيء من السوق اشتريته وأتيت به إليهم.!!

فقال الصديق حباً وكرامة.. ووضعت النقود عند الصديق وسافر جمعان إلىالمدينة التي يقصدها.!!



ونظر جمعان إلى هذين البيتين الناقصين ولم يعرف ماذا يعنيان.!!
وعلم أن وراءهما سراً.. ! لابد من البحث عنه.!!

وصار صديق جمعان يمر على زوجة صديقه فيقرع عليها الباب .! ثم يكلمها من وراء حجاب . !!

ويسمع منها ما تريده وتطلبه من السوق فيذهب ويشتريه ثم يأتي به إليها فتفتح الزوجة الباب قليلاً بقدر ما يتسع للزنبيل.! فإذا دخل الزنبيل أغلقت الباب.. وذهب الصديق إلى حال سبيله.!!

وبقوا على هذا فترة من الزمن.!! ولكن الزوجة في ذات يوم قالت لصديق زوجها تفضل وادخل البيت وارتح قليلاً لأقم لك فنجال قهوة.. فاعتذر في أول مرة.. ثم عرضت عليه الدخول وألحت مرة ثانية وثالثة.. وعندما جاءت المرة الرابعة قالت له ادخل فتناول فنجال قهوة جاهز.. ولن يؤخرك تناوله عن أي حاجة من حاجاتك .!

وتحت وطأة الحاح المرأة وتكرر هذا اللإلحاح.. دخل الرجل إلى بيت صديقه والخجل يكاد يخنقه ويعقد لسانه.. كما أنه دخل بنية حسنة وقصد نظيف وشريف.!! وأخذته المرأة بيده وقادته إلى غرفة نوم صديقه وأجلسته على السرير.!!

واستراب الصديق من زوجة صديقه.. وشك في تصرفها.! وعلم بقصدها.. ولكنه كان ذكياً ولبقا في نفس الوقت.!! وكانت قد أظهرت له بعض رغبتها.. ولكنه قال لها إنه لا داعي للعجلة فالوقت عندنا واسع.. ونحن في بيت آمن.. فقومي وأحضري القهوة والشاي.. واصنعي لنا نوعا من الخبز لنتناوله مع الشاي... وكلما تريدين سوف يكون.!!

فقامت الزوجة وذهبت إلى المطبخ وبدأت في إعداد ما طلبه صديق زوجها على عجل.!!

وانتهز الصديق هذه الفرصة.. وقام إلى أحد حيطان الغرفة وكتب عليه ما يلي :-

رب عذرا تزينت فأتتني ودعتني لوصلها فأبيت
لم يكن طبعي العفاف ولكن . . . .

ووقف في الكتابة عند كلمة لكن وترك مكان الشطر الثاني من البيت الثاني فراغاً لم يملأه بشيء... ثم لبس نعاله... وتسلل إلى باب الدار فخرج منه دون أن تشعر المرأة بخروجه.. وأغلق باب بيت صديقه كالمعتاد وذهب إلى حال سبيله.!!

وبعد يومين أو ثلاثة.!! مر عليها ودق الباب فكلمته من وراء الباب وكلمها كذلك وسألها عما تريد فأخبرته وذهب إلى السوق فأحضر ما طلبت.. وعاودت الزوجة طلب دخول صديق زوجها .! ولكنه اعتذر عن الدخول بأن لديه بعض المواعيد التي لا يستطيع تأخيرها.!!

ولامته على خروجه من البيت دون أن يتناول القهوة والشاي.! فقال إنني أرجوك المعذرة فقد تذكرت أن لدي موعداً لايمكن تأخيره فاستعجلت وخرجت بدون استئذان.. ولكنني اعتبرت بيت صديقي كبيتي الذي أدخله متى شئت وأخرج منه متى شئت دون أن أحتاج إلى إستئذان في الدخول أو الخروج.!!

واستمر الصديق على طريقته هذه يقظاً حذراً يؤدي واجب الصداقة ويلزم جانب العفاف والبعد عن مكامن الريب.!! وجاء الصديق جمعان فوجد زوجته على ما يرام ووجد صديقه الوفي كذالك على ما يرام .! وقد قضى مهمته التي سافر من أجلها.. فشكر الله على توفيقه.!! وحمده على تسديده.!! وسار مع صديقه القديم بحسب ما اعتادا .!

وجاء جمعان إلى بيته ذات يوم.. واستلقى على السرير أثناء النهار انتظاراً لإحضار وجبة الغداء.. ولم يكن فيه نوم فينام.. وليس لديه رغبة للقراءة فيقرأ.!! ولهذا فقد استلقى على السرير.. وصار يتجول بنظره في جدران الغرفة . !!

ولفت نظره تلك الأسطر من الكتابة التي ما كان يعهدها في هذا المكان .. فقام وقرأها حتى وصل إلى الشطر الثاني من البيت الثاني فوجده مفقوداً.!! والبيتان بدونه ليس لهما أية معنى ولا فائدة .! وأعمل قريحته لتأتي بتمام البيتين.. ولكنها لم تسعفه بسيئ وتعلقت نفسه بمعرفة تمام البيت الثاني.. فأن هذا ا لشطر من البيت هو الذي يحتوي على سر الأسرار.!! وخلاصة الأخبار.!! وكتب هذين البيتين الناقصين في ورقة.. وذهب بهما إلى صديق شاعر وطلب منه أن يأتي بإكمال البيتين.. ولكنه عجز وذهب إلى شاعر ثان وثالث ورابع.. ولكن أحدا من هؤلاء الشعراء لم يستطع أن يأتي بإكمال البيتين.!!

وتشبث جمعان بمعرفة هذا النقص بأي ثمن مهما كان غالياً وكان له صديق ليس شاعراً ولكنه حكيم ومجرب وصائب الرأي.! وعرض عليه البيتين.. وقال إنني أريد أن أعرف الجزء الناقص منهما بأي ثمن.. وقد عرضت هذين البيتين على جميع الشعراء الذين أعرفهم فلم يستطيعوا أن يأتوا بالجزء الناقص منها والآن ماذا ترى.؟!

فقال الصديق إنه لا يستطيع إكمال هذين البيتين إلا شخص من بني فهم.!! وبنو فهم قبيلة تسكن أحد وديان الحجاز فهل لديك وقت واستعداد لتسافر إلى بني فهم.؟!

فقال جمعان نعم.. فوصف له صديقه ذلك الوادي الذي فيه

مضارب بني فهم.. وأخبره أن أي واحد من هذه القبيلة يستطيع أن يحل هذا اللغز.. ويأتي بإكمال البيتين.!!

فشكر جمعان صديقه على هذا الراي وبدأ جمعان يستعد للرحلة.. وعندما تكاملت لديه حاجاته شد رحاله إلى مضارب قبيلة بني فهم.. وعهد إلى صديقه القديم بتعاهد عائلته فرحب بذلك.. وواصل جمعان السير حتى وصل إلى ذلك الوادي فرأى مضارب الحي وسأل عنهم فقيل له بنو فهم.!!

وجاء جمعان يمشي بين البيوت.. حتى رأى بيتاً كبيراً يجلس في فنائه شيخ لا هو بالهرم ولا هو بالشاب... وإنما هو كهل تبدو عليه أمارات الشهامة والكرم والذكاء.!!

فأناخ جمعان راحلته بجوار هذا البيت وجاء حتى سلم على الشيخ. وقال له إنني ضيفك اليوم.. فقال له الشيخ على الرحب والسعة وحياك الله وبياك.. من أين أتيت وإلى أين أنت ذاهب.؟!

فقال جمعان أما من أين أتيت فإنني أتيت من بلاد بعيدة في نجد وأما أين أقصد فإنني أقصد قبيلتكم لأمر هام أريده منكم.!!

فقال الشيخ حط رحال دابتك ودعها ترعي.. وتعال لنشر القهوة والشاي.. وسوف تنال ما أردت إن شاء الله.!!

وحط جمعان رحال دابته وتركها ترعى.. وجاء إلى الشيخ.! وجلس بجانبه وهو يصنع القهوة.. وقص عليه جمعان قصته.. وأخبره بما يريد من إكمال البيتين الذين أنشده إياهما.. فقال الشيخ إن أمرك ميسر.. وطلبك مجاب.. وأنت ضيفنا الليلة.! ولن يأتي الغد إلا وأنت حاصل على ما تريد.. وعالم بما كان

يخفى عليك.!!

وبقى جمعان مع الشيخ يحستون أكواب القهوة والشاي ويتحدثون مختلف الأحاديث.. ولكن جمعان كان يتلهف على معرفة ما خفي عليه.. يظهر ذلك للشيخ من قلق جمعان وتشتت فكره.!! وجاء المساء وكان للشيخ ابنتان شابتان واحدة منهما ترعى الغنم.. والأخرى ترعى البهم.!!.

وجاءت الصغرى بقطيعها واستقبلها والدها ومعه ضيفه.. وعرفه بها وعرفها به.. ثم قال يا بنية.! إن هذا ضيفنا معه بيتين من الشعر يريد أن يقرأهما عليك وهما ناقصان ونريد منك إتمام النقص.!! فأصغت الفتاة إلى جمعان.. فقرأ عليها البيتين وهما:-

رب عذرا تزينت فأتتني ودعتني لوصلها فأبيت
لم يكن طبعي العفاف ولكن . . . .

ثم سكت جمعان وانتظر من الفتاة إكمال البيت وفكرت هنيهة ثم قالت:-

كنت خلا لبعلها فاستحيت.!

وقال لها والدها أليس له إكمال غير هذا فقالت الفتاة هذا.؟! هو إكماله.. ولا شيء غير هذا يكمله.!!

وسمع جمعان هذه التكملة ووعاها... وفهم معناها وسكت وكتم ما فهم.!!

ثم بعد فترة قصيرة جاءت الفتاة الكبرى ومعها قطيعها من الغنم فاستقبلها والدها وعرفها بضيفه وعرف ضيفه بها.!!

ثم قال الشيخ يا بنية لدى ضيفنا بيتان من الشعر ناقصان ويريد أن تكمليها له فأنصتت الفتاة.!!

وقرأ الضيف عليها جمعان البتيتين السابقين ثم انتظر الجواب وفكرت الفتاة قليلاً ثم قالت:-

كنت خلا لبعلها فاستحيت.!

وقال الشيخ للفتاة أليس للبيت تكملة غير هذا فقالت الفتاة هذا هو إكماله الصحيح ولا شيء غير هذا.!!

فأخذ الشيخ ضيفه بيده وقال إن ما قالته ابنتاي هو إكمال البيت ولا شيء غيره.!!

فشكر جمعان مضيفه على كريم أخلاقه وبات عنده تلك الليلة معززاً مكرماً.!!

ولما جاء الصباح.. استأذن من مضيفه الشيخ وطلب منه أن يسمح له بالعودة إلى أهله.. وطلب الشيخ من جمعان أن يقيم عنده ثلاثة أيام لتتم أيام الضيافة.. ولكن جمعان اعتذر بأن لديه أعمالاً هامة لا تتحمل التاخير.!!

فأذن له مضيفه بالرحيل وعاد جمعان إلى بلده وأهله وقد عرف كل شيء.!! وطلب من زوجته أن تأخذ من البيت كلما تريده وأن تستعد للسفر إلى أهلها.!!

واستغربت الزوجة ما سمعت.. وسألت زوجها عن الدواعي والأسباب.؟! ولكن جمعان لاذ بالصمت.. ولم يقل لها أكثر مما قال.!! وحاولت أن تستجره للحديث لعلها تستطيع أن تلقي بالتهمة على صديقه.!!

ولكن جمعان لم يتح لها الفرصة ولم يفتح أبواب الحديث والمناقشة، وإنما هناك أمر واحد لا بد من تنفيذه.. وهو رحيلها إلى أهلها بما شاءت من أثاث البيت ومحتوياته.!!

ولم تجد الزوجة مناصاً من هذا الأمر المفاجيء.. وعرفت الأسباب ولم ترد أن تشد الحبل.. لأنها تعرف نفسها وتعلم أنها خاطئة عوقبت بما تستحق.!!

ورحل جمعان بزوجته إلى أهلها.. وسلم الأمانة لأصحابها وعاد إلى صديقه الوفي.. وعاش الصديقان بقية عمرهما في وفاق ووئام تأمين.. ولم يفكر واحد منهما في الزواج بعد هذه الصدمة العنيفة لكل واحد منهما.. بسبب تلك المرأة التي حاولت أن تسلك مسلكاً وعراً وأن تفك عرى صداقة وثيقة.. مر عليها أزمان.!! وأزمان وهي لا تزداد إلا رسوخاً ووثوقاً.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

شالح بن هدلان يهدد منافسيه

يا قاطع الحسنى ترى العلم شاره
لا بد دورات الليالي يدورن
حريبنا كنه رقيد الخباره
خطر عليه الياتوقظ من الجن
ومن حل دار الناس حلوا دياره
لا بد ما تسكن دياره ويغبن
ومن شق ستر الناس شقوا ستاره
ومن ضحك بالثرمان يضحك بلاسن

عن كتاب «أبطال من الصحراء»

سـالفـة:

١٨- الفتاة الوحيدة مع جار والدها

«رويت هذه السالفة عن الأستاذ الفاضل الأخ إبراهيم السدحان وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

جاء الأطفال إلى جدتهم ليلاً وكان أحد الأطفال قد سمع بسالفه وأحب أن يسمعها مرة ثانية.. وأن يسمعها رفاقه.!!

فقال لجدته قصي علينا سالفة الفتاة الوحيدة مع جار والدها فقالت حباً وكرامة وشرعت في السالفة قائلة:

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اللي متزوج من ابنة عمه.. وكان يحبها وهي تبادله هذا الحب.!! ورزق الزوج من زوجته ابنة جميلة ففرح الأبوان بهذه المولودة التي سوف توثق روابط الزواج وتزيدها قوة ومتانة.!!

وانشغل الوالد وزوجته بتربية هذه الفتاة تربية حسنة.! أحضروا لها في البيت مدرسة عجوزاً تعلمها القراءة والكتابة

وتدرسها مبادىء الدين الحنيف.!!

وحملت الزوجة بالمولود الثاني وعندما جاء ميعاد الوضع تعسر خروج الجنين من بطن أمه.. فبقيت الأم تعاني آلام الوضع ثلاثة أيام دون أن يخرج الجنين من بطنها.. واستحضر لها زوجها الماهرات من القابلات.. ولكنهم لم يستطعن أن يصنع شيئاً أمام هذه الحالة الغريبة التي لم يشاهدن لها مثيلاً.!!

وبقيت الأم تعاني وتصارع في سبيل إخراج الجنين ولكن قوتها خارت.. ومجهودها نضب.. والمولود لا يزال في بطنها.!!

وماتت الأم.. ومات الجنين في بطنها فكانت مأساة هذه الوفاة مضاعفة على الأب والابنة وكانت صدمة عنيفة هزت أركان الأسرة هزاً مقلقاً..! بقيت على أثرها فترة من الزمن تعاني من آلامها.!!

ثم تتابعت الأيام وبدأت المصيبة تخف شيئاً فشيئاً إلى أن تلاشت آثارها.!! هذا والزوج باق بدون زواج.. بينما كانت ابنته تقوم بجميع شؤون البيت بالإضافة إلى مواصلة دراستها وتعلمها.! وبلغت الفتاة سن الزواج ولكن أحداً لم يتقدم لخطبتها.. مع أنها كانت فتاة ذكية وجميلة.. بل هي بارعة الجمال.. مع ذكاء نادر.. وعقل راجح.. ودين مستقيم.!!

وجاءت سنة من السنوات أحب فيها والد الفتاة أن يحج بوالده الشيخ الكبير في السن.. وهو لا يستطيع أن يحج بامرأة وشيخ كبير في آن واحد لأن كل واحد منهما يريد مجهوداً خاصاً وهو لا يستطيع أن يبذل أكثر من جهد واحد.! ولهذا فقد قرر

أن تبقى ابنته في البيت وأن يوكل عليها جاره.!!

وتركوا عند الفتاة في البيت كلما يلزمها... ووضعوا عندها نقوداً لتعطي جارها فيشتري لها ما ينقصها.!!

واستعد الجار بتحمل هذه الأمانة.. وسار والد الفتاة بشيخه إلى بلد الله الحرام.. وصار الجار يتردد على بيت جاره ويقضي للفتاة كل حوائجها.!!

وانتهى وقت الحج وقفل الحجاج راجعين إلى أهليهم ووصل موكب الحجاج إلى مكان لا يبعد عن البلد إلا نصف يوم فأقاموا فيه يتنظفون ويرتاحون.. وأرسلوا شخصاً منهم يبشر بقرب وصولهم ليستعد أهل البلد لاستقبالهم استقبالاً حافلاً.!!

وجاء الجار عندما سمع الخبر مسرعاً ودق على الفتاة بابها في وقت ليس من العادة أن يأتي فيه.!! فجاءت الفتاة إلى الباب مسرعة وكلمت الطارق من خلفه فكلمها وعرفته ففتحت الباب أكثر من المعتاد قليلاً.. ورأى الرجل الفتاة فبهره جمالها.!! فاندفع بحركة لا شعورية إلى داخل البيت وحاول أن يقبلها.!! لكن الفتاة صدته بعنف.!!

ولم يتوقف الرجل.! بل كرر المحاولة لتقبيلها.!! فدافعت عن نفسها ونظرت فيما حولها فرأت مغرفة الطعام بالقرب منها فأخذتها وضربته بها في وجهه حتى سال دمه.!!

وعندئذ انصرف عنها.. وبشرها بقرب وصول والدها.! وخرج من البيت وقد لف عمامته على وجهه ليستر الضربة التي

تسيل منها الدم.!!

وذهب الجار إلى بيته مسرعاً وضمد جراحه.. وأصلح حاله وخرج لاستقبال الحجاج الذين من جملتهم جاره وموكله.. واستقبلهم الرجل ومشى في ركابهم حتى قربوا من البيت.. وسأل الوالد جاره عن الأمانة التي تركت عنده،، وقال:

كيف حال البيضة.؟! والبيضة كناية عن ابنته فقال الجار لقد مرجت فقال الأب وكان يثق بجاره ثقة عمياء.! ويأخذ ما يقوله قضية مسلمة لا تتحمل النقاش ولا الجدل قال الأب لجاره وما هي الحيلة في الخلاص منها.؟! فقال الجار تهدم عليها حجرتها.. فتموت ويموت معها عارها.!!

وكانت من الصدف الطيبة أن هذا الكلام كان بالقرب من بيت الرجل.. وقد سمعت ابنته كل ما قالا.. وعلمت بما يراد بها فلبست ثيابها.. وأخذت بعض حاجاتها الخفيفة ثم تسللت من باب خلفي دون أن يشعر بها أحد ووجهت وجهتها إلى الصحراء.!!

وصارت الفتاة تمشي في النهار وتأكل من أعشاب الأرض.! وتصيد من حيواناتها ما تستطيع وتشويه وتأكله فإذا جاء الليل أوت إلى غار أو إلى مكان منخفض فنامت فيه.. فإذا جاء الصباح واصلت تجوالها.!!

بقيت الفتاة على هذه الحالة سنة كاملة حتى أبيض ثوبها الأسود وأسود وجهها الأبيض وبشرتها.!! وصار من يراها لا يشك أنها عبدة هاربة من أسيادها.!

وفي ذات ليلة نظرت فرأت نوراً يضيء من بعيد.!! وكانت قد سئمت الغربة والوحدة ورغبت في العيش مع الناس.! والأنس بهم.. وتوجهت الفتاة إلى مصدر النور حتى وصلته فإذا هو يصدر من قصر كبير منفرد عن البيوت.!

وجاءت إلى الباب فدقته وخرج إليها صاحب البيت.. وسألها عما تريد فتظاهرت بأنها رجل يبحث عن عمل.. سألها هل تجيد القراءة والكتابة فقالت نعم!! فاتفقا على أجر شهري معين.!

واشتغلت الفتاة عند هذا الرجل على أنها رجل.. ولم يكن في البيت إلا أسرة الرجل التي تتكون منه ومن زوجته وولده الصغير وابن كبير كان قد استقل وخرج من بيت والده وهذا العبد الكاتب الذي جاء أخيراً.!!

وأراد الرجل أن يسافر لبعض شأنه.. فأخبر أهله فأعدوا له ما يحتاجه.. ثم سافر بعد أن أوصاهم بأن يكونوا دائماً على حذر وأن يغلقوا الأبواب.. فلا يدخل عليهم إلا من يعرفون.!!

وفي ليلة من الليالي.. وبعد نوم الصبي.. وجاءت المرأة إلى غرفة العبد الكاتب وطلبت منه أن يساعدها على ترتيب بعض أثاث البيت فقام معها.. ورتبا كل شيء.!! وعندما أراد الانصراف إلى غرفته الخاصة.. في طرف قصي من أطراف القصر.! أخذت المرأة بيده وطلبت منه الجلوس بجوارها وحاولت أن تقبله ولكنه صدها عن نفسه بلطف.!

عاودت المرأة محاولاتها.. وألحت في طلبها فلم يكن من

هذا الخادم إلا أن يخبرها بأنه امرأة مثلها.. وليس لديه ما تبحث عنه وتريده هذه الزوجة.!

وعندئذ تركت الزوجة هذا الخادم يذهب إلى غرفته الخاصة.! وفكرت في طريقة للخلاص منه. فهو قد يخبر زوجها.. أو قد يذيع الخبر بأي طريقة من الطرق فيكون في ذلك عارها وفضيحتها.. وقد يكون فيه خراب بيتها وتقويض سعادتها.. وتشتيت شملها.!!

ولهذا فقد فكرت جدياً في تدبيرحيلة للخلاص من هذا الخادم.! وبعد تفكير طويل اهتدت إلى الطريقة الناجحة للخلاص منه.!!

وعاد الزوج من سفرته.. فوجد زوجته حزينة كاسفة البال.! وسألها عن الأسباب.. فتمنعت عن الكلام.. ولكنه ألح عليها.! فقالت إن موظفك الكاتب راودني عن نفسي عدة مرات في غيابك.! ولكنه في آخر مرة كان عنيفاً شرساً.. وقد بذلت مجهوداً جباراً للدفاع عن نفسي فسقط من آثار الجهد جنيناً كان في بطني.. وقد احتفظت به لأريك إياه لتكون على علم بما جرى.!!

ثم أخرجت له بعد هذا الكلام فاراً مسلوخاً ومقطوعاً ذنبه.! وقالت لزوجها إن هذا هو الجنين.. وقد سقط في شهره الخامس.!!

فغضب الرجل غضباً شديداً من هذا الخادم الذي آواه وأوجد له عملاً مربحاً وأجراً مغرياً.. وهيأ له جميع وسائل

الراحة.!!

ولم يشك الرجل في صدق كلام زوجته.. لأنه لم يتعود منها إلا قول الصدق. ولهذا فقد طلب الخادم إلى غرفته الخاصة.. وحاول أن يسيطر على أعصابه وأعطاه بقية أجره.. ثم قال له إننا قد استغنينا عن خدمتك لأمور بلغتني عنك. فاذهب والتمس عملاً عند غيرنا.!

فأخذ الخادم أجره وعلم أن المرأة قد عملت له مكيدة قذرة.! ولا شك أنها قد اتهمته في عرضه .. ونسبت إليه ما يمس شرفه وأمانته.. ولهذا فقد قررت الفتاة أن تكشف اللثام عن نفسها.! وأن توضح قضيتها للرأي العام حتى يحكم.!! فذهبت إلى أسرة معروفة وطلبت منهم أن تعمل لديهم كخادمة لا كخادم.. وأخبرتهم أنها كانت تعمل عند فلان بن فلان كخادم... وأن زوجته في غياب زوجها راودته عن نفسه.. وألحت في الوصول إلى عرضها.! فلم يكن من الخادم إلا أن يوضح لها أنه امرأة مثلها وليس رجلاً.. وعندئذ حقدت عليه.. وخافت منه أن يكشف سرها لزوجها فيكون في ذلك خراب بيتها.. ولهذا فقد عملت له تلك المكيدة.. واتهمته بتلك التهمة القذرة.!!

فاستقبلتها تلك العائلة بالترحاب وصارت تعمل لديهم كخادمة وشاع في المدينة هذا الخبر.. وصار حديث الخاص والعام.. وانتشر إلى أن بلغ الرجل وزوجته.!! الذي هما بطلي الرواية.. واستوضح الرجل من زوجته وألح عليها حتى أخبرته بالحقيقة.. واعتذرت منه فقبل عذرها.!!

وكان معجباً بالخادم الذي تحول إلى خادمة كان معجباً بذكائه.. وبأدبه.. وبأعماله.. وبأفكاره.. ولهذا فقد تشاور مع ولده في أن يزوجه هذه المرأة فوافق الولد على ذلك.!!

وذهب الرجل إلى صاحب البيت الذي تعمل فيه الخادمة.. فطلبها وكلمها واعتذر منها.. وأخبرها أنه جاء يخطبها لابنه لتكون زوجة عزيزة لا خادمة منبوذة.!!

فوافقت الخادمة حالاً.. وذهب بها إلى قاضي البلد.. ومعه ابنه والشهود فزوجها القاضي بابن عمها السابق.. بعد أن تأكد من رضا كل منهما بصاحبه وبعد العقد أعيدت إلى البيت الذي تعمل فيه ريثما تهيأ الاستعدادات للزواج.. وزفت بعد ذلك تلك الخادمة الشريدة إلى زوجها.. وعاشت معه في سعادة وسرور ورزقت منه ثلاثة أطفال ذكور.!!

ثم انتقل عمل زوج هذه الغريبة إلى بلدة أخرى فتح فيها والده فرعاً لتجارته وبقي الشاب فترة طويلة معزولاً عن زوجته.. وزجته معزولة عنه. وكتب الشاب لوالده بأن يبعث زوجته وأولاه إليه في البلد التي يعمل فيها لأنه ليس عند الشاب فراغ حتى يأتي ويأخذ الأولاد بنفسه كما أن والده ليس عنده فراغ أيضاً فالكل منهما مشغول.. بل غارق في الشغل إلى أذنيه.

ولهذا فقد اختار الأب أحد عبيده الثقات الذي جرب أمانتهم.. وشجاعتهم. فأرسل معه زوجة ولده وأولاها.. وسار الجميع في طريقهم إلى البلدة التي يسكنها زوج المرأة.. وعندما وصلوا إلى منتصف الطريق.. نظر العبد إلى عمته فأعجبته.. ونزغه الشيطان فراودها عن نفسها ولكنها امتنعت عليه وصدته

عن نفسها بعنف وقوة.!!

فلم يكن من العبد إلا أن يأخذ ولدها الأكبر.. ويهددها بأنها إذا لم يتستجب لرغبته فإنه سوف يقتله.. وأصرت المرأة على موقفها فقتله أمامها ولم تتضعضع المرأة أمام هذه الكارثة المخيفة.. ولم تحن رأسها هذه الفعلة النكراء!!

وأخذت المرأة رأس ولدها وأخفته معها دون أن يشعر العبد وجاءت الليلة الثانية فعاود العبد محاولته لسيدته ولكن موقفها لم يتغير.. بل كانت أصلب عوداً من ذي قبل.!!

وأخذ العبد ولدها الأوسط.. وهددها بأنها إذا لم تستجب لرغبته فإنه سوف يذبحه أمامها.. وأصرت المرأة على موقفها وذبح العبد ولدها الثاني وهي ترى.. فلم تتزعزع.. ولم تخر قواها بل اصرت على موقفها.. وفي غفلة من غفلات العبد أخذت رأس ولدها الثاني وأخفته مع الأول دون أن يشعر العبد بذلك.!!

وجاءت الليلة الثالثة فكرر العبد محاولته لسيدته... ولكنها كانت عند موقفها الأول لم تحد عنه قيد أنملة... وهددها العبد بأنها إذا لم يتستجب لرغبته فإنه سوف يأخذ ولدها الثالث والأخير ويذبحه أمامها.. فلم يزدها هذا التهديد إلا إصراراً على موقفها الأول.!!

فذبح العبد ولدها الأخير أمامها.. وفي غفلة من غفلاته أخذت رأسه.. وأخفته مع الرأسين السابقين وواصل العبد سيره إلى المدينة التي يقصدها حتى وصلها وألقى المرأة في طرف من أطرافها وذهب وتركها تهيم في المدينة على وجهها لا تدري أين تذهب.!!

أما العبد فقد ذهب إلى ابن سيده.. ونزل عنده وأخبره أن

والده وزوجته وأولاده بخير.. وأن سيده قد أرسله ليكون في خدمته.. وسكت الابن وبقي العبد يعمل عنده.. بينما سيده لا يدري بما جرى.!!

أما المرأة فقد صارت تتجول في المدينة باحثه عن بيت زوجها.. وهي تخفي نفسها ولا تبوح باسمها.. ولا تخبر أحداً بمشكلتها.. بقيت تدور على البيوت وتستجدي أهلها طعاماً.!

حتى جاءت ذات يوم إلى بيت فقرعته.. وخرج إليها العبد الذي كان مرافقاً لها فعرفته ولم يعرفها... وعرفت أن البيت بيت زوجها.. فقالت للعبد إني مسكنية جائعة أريد طعاماً.!!

فذهب العبد وجاء لها بطعام وأدخلها في دهليز الدار.. وجلست تأكل.. ثم جاء إليها رجل آخر بقليل من الماء.. فقالت له إنني أريد مقابلة صاحب الدار لأن لي قصة غريبة أريد أن أقصها عليه فذهب الخادم إلى سيده وأخبره بما قالت المرأة.. فقال دعها تأتي.. وجاء الخادم فقادها إلى مجلس سيده.. وعندما دخلت المرأة رأت زوجها.. ومعه والدها.. كما أن المجلس يضم جار والدها الذي عمل لها المكيدة الأولى ويضم العبد الذي عمل لها المكيدة الأخيرة.!

قالت المرأة إن لي قصة غريبة أريد أن أقصها عليكم ولكنني لا أريد أن يطلع عليها أحد غيركم فأعطوني مفاتيح المكان لأقفله علي وعليكم حتى تسمعوا قصتي.. وبعد ذلك أسلم لك المفاتيح.!

فأعطوها مفاتيح المكان فأقفلته ثم عادت إلى موضعها من المجلس وشرعت تقص عليها قصتها فقالت:

لقد كنت عند والدي وحيدة في البيت فحج في سنة من السنوات ووكل بي جارنا وعمل معي الجار كيت وكيت.! فهربت.! واشتغلت عند رجل راودني زوجته عن نفسي على أنني رجل فلما اتضح لها أنني امرأة مثلها عملت لي مكيدة حتى أخرجتني من بيت زوجها فذهبت منه شريدة طريدة.!

ثم اتضحت براءتي فزوجني ابنه.. ورزقت منه بثلاثة أولاد ثم سافر زوجي إلى بلد نائية.. وطلب من والده أن يرسلني مع أولادي إليه.. فأرسلني مع أحد عبيده.!!

لكن العبد راودني عن نفسي ثلاث ليال متواليات وفي كل ليلة أمتنع عليه يذبح واحداً من أولادي حتى قضى عليهم جميعاً.. ثم جاء بي إلى هذه المدينة فألقاني في ضاحية من ضواحيها وتركني أهيم على وجهي لا أدري أين أيمم فبقيت أتجول في هذه المدينة وأستجدي حتى وصلت إليكم بطريق الصدفة.!!

هذه قصتي.. وهذه هي رؤوس أولادي.!! ونثرت الرؤوس الثلاثة بين أيدي القوم.!!

ونظر الأب إلى الرؤوس فإذا هي رؤوس أولاده فعلم أن العبد الذي قدم عليه من والده هو فاعل هذه الجريمة النكراء..فقام إليه وقتله.!

ثم علم الأب أن هذه هي ابنته وأن جاره قد خانه وغشه وخدعه.. وفرق بينه وبين ابنته فقام إليه وقتله.!

أما العبد فقد هرب عندما أحس بالخطر يهدد حياته..

وبحثوا عنه فلم يجدوه.. واستمر البحث عنه بينما ذهب الابن إلى والده.. وقد صمم على قتل زوجته.. فقدم إليه فجأة.. وأخبره بكل ما جرى ولم يزل يدبر الحيلة تلو الحيلة حتى استطاع أن يقتل زوجة والده.!

ثم قفل الشاب راجعاً إلى زوجته.. الشريفة الوفية فعاش معها في سبات ونبات ورزقا الكثير من البنين والبنات.!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

قال شالح بن هدلان يرثي أخاه

وأخـوي يـاللي يـوم الأخـوان فـلات
مـن خـلـقـتـه مـا قـال ذا لـك وذا لي
تـبـكـيـه هـجـن تـالي الليـل عجـلات
تـرقـب وعـدهـا يـوم غـاب الهلال
وتـبـكـي على شـوفه بـنـي عـفـيـفـات
مـن عـقـب فـقـد حـرمـن الـدلال

(عن كتاب أبطال من الصحراء)



سبحونـــــه:

١٩- الأميرة الساحرة مع الشاب الجميل الصوت

«رويت هذه السبحونة عن ابني صالح وقد رواها بدوره عن والدته وكتبتها بأسلوبي الخاص.وأثبتها هنا كما ترى»

جاء الأطفال إلى جدتهم كالمعتاد وقد اتفقوا على أن يطلبوا منها أن تقص عليهم سبحونة الأميرة الساحرة مع الشاب الجميل الصوت.!

وكانت الجدة قد تأخرت عن الحضور بسبب لا نعرفه نحن ولا يعرفه الأطفال.. وكاد الطفل الذي يعرف عنوان السبحونة أن يشرع في سردها على زملائه.. إلا أنه خشي أن لا يجيد روايتها.. وأن تتخرم عليه بعض حلقاتها.!

وفي هذه الأثناء حضرت الجدة فطلب منها الأطفال أن تقص عليهم هذه السبحونة فقالت حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك

الرجال اللي كان متزوجاً.. وقد رزقه الله من زوجته ولدين وبنتاً... وكان له بستان جميل في طرف من أطراف المدينة..

وكان هذا البستان عامراً.. فيه من كل شجرة.. ففيه النخل والتين والرمان والتفاح والعنب.. كما أن أرضه تنبت جميع أنواع البقول والخضروات.!!

وكان الابن الأصغر لصاحب البستان مغرماً بهذا البستان لا يكاد يفارقه ليلاً ولا نهاراً.!! يتمتع بخضرته..! ويجنى من فواكه.! ويحرسه عن العابثين.!!

وكان العمال في البستان يعملون فيه نهاراً... فإذا جاء الليل ذهب كل واحد منهم إلى أهله.. في المدينة ولا يبقى في البستان إلا هذا الشاب ابن صاحب البستان.!!

وكان عند هذا الشاب ربابة.. كما أنه كان شاعراً مرهف الإحساس.. فكان ينظم القصائد.. ثم يغنيها على ربابته .. بصوت ساحر جذاب.. ونغمة حلوة مؤثرة.!!

هذا هو ديدن هذا الشاب.. وهذه هي هوايته المفضلة.. وبينما كان هذا الشاب ذات ليلة يناغي ربابته... وربابته تناغيه... مرت في جو هذا البستان الأميرة الساحرة تطير في جذعها ومعها وصيفتها.!

وسمعت الأميرة صوت الشاب.! وصوت ربابته... فعجبت بالصوت أيما إعجاب واستشارت وصيفتها في الهبوط في البستان والتعرف بهذا الشاب والتمتع بصوته فوافقت.!!



الأميرة الساحرة ومعها وصيفتها تسمعان من الشاب ألحانه
وأغانيه الشجية التي يلحنها على ربابته.!

وهبطت الأميرة بجذعها في أحد جوانب البستان... ثم جئن يمشين إلى جهة الشاب... حتى وقفن عنده وهو يغني فسلمن عليه فسكت عن الغناء ورد عليهن السلام.. وهو مبهور بجمالهن.. وخائف منهن.. ومتعجب.!! كيف دخلن.؟! ومن أين أتين.!!

وسألهن الشاب فقال من أنتن.. ومن أين أتيتن فقالت الأميرة إننا من بلدك ومن المعجبات بصوتك وقد تسللنا من أهلنا خفية لنجتمع بك.!!

أما من نحن فهذا سر لا يمكن أن نبوح به من أول ليلة. ولكنك سوف تعرف كل شيء عنا فيما يأتي من الأيام.!

وأنس بهن الشاب بعض الشيء.. واستأذن منهن أن يقوم ليأتي إليهن ببعض الفاكهة فأذن له... وجاء بالفاكهة فأكلن منها وأكل ثم طلبن منه أن يغني لهن إحدى أغانيه فقال لهن حباً وكرامة:

وأخذ ربابته بين يديه ثم شرع يغني بإحدى أغانيه وهن جالسات سامعات منصتات.. وانتهت الأغنية الأولى.. وهن في غاية السرور والسعادة.!! وشعر الشاب بقوة تأثير صوته عليهن.!! ومدى أنسهن وسرورهن بهذه الألحان.!!

ثم طلبن منه أن يغني لهن أغنية ثانية... فأخذ ربابته أيضاً وشرع في الأغنية الثانية فأجاد فيها أيما إجادة وكان تأثيرها عليهن أعظم من تأثير الأولى.!!

وقرب طلوع الفجر.. فلم يكن من الأميرة إلا أن قامت... وكان معها قارورة من الطيب الفاخر.. فقالت للشاب إنني سوف أمسح عليك من هذا الطيب.! ثم أودعك ونذهب إلى أهلنا قبل طلوع الفجر... وسوف نعود إليك في الليلة الثانية.!!

وشم الشاب ذلك الطيب فراح في غيبوبة كاملة فغرفت الأميرة عقله.. وجعلته في وعاء من الصين ثم تركته جثة هامدة.!!

وأخفت الإناء الذي فيه عقل الشاب تحت إحدى الأشجار... وذهبت الأميرة مع وصفتها إلى الجذع وركبن ثم طار بهن في الجو ليعود بهن إلى أهلهن.!!

وجاءت الليلة الثانية فعادت الأميرة ووصيفتها إلى البستان فوجدت الشاب في مكانه حيث وضعته فأسقينه عقله في كأس من البلور.. فعادت إليه الحياة وفتح عينيه فإذا الفتيات أمامه.. فسلمن عليه ورد عليهن السلام.. ثم استأذن منهن وقام ليأتي لهن بفاكهة.!!

وذهب وبعد قليل عاد إليهن ومعه الفاكهة.. فأكلن وأكل معهن.. وبعد أن فرغوا من الأكل قلن له غن علينا.. فأخذ ربابته وشرع في الغناء بأغنية ثالثة لم يسمعنها من قبل.. وأنصتن لسماع هذه الأغنية وسررن بها أيما سرور.!!

وكان تأثيرها عليهن أعظم من تأثير سابقاتها.. ثم طلبن منه أغنية رابعة فقال الشاب حباً وكرامة وأخذ ربابته وغنى لهن

أغنية رابعة.. فسمعن صوتاً ونغمة لم يستمعن مثلها من قبل.!!

ثم قرب الفجر.. فقامت الأميرة لتطيبه وتودعه وشم الرائحة الزكية فأغمي عليه وغاب عن الوجود.. فغرفت الأميرة عقله وجعلته في وعاء الصين وتركت الشاب جثة هامدة.. وأخفت الإناء الذي فيه عقله تحت إحدى الشجرات ثم طرن وذهبن إلى أهلهن.!

واستمرت الفتاتان على هذه الطريقة بضعة ايام.. ولا أحد يعرف عن هذا الشاب وما هو فيه أي شيء.. إلى أن جاء والده ذات يوم يبحث عنه في البستان فقد مضى عدة أيام لم يروه فيها.!

وبحث الوالد عن ولده في جوانب البستان فلم يجده ونادى باسمه فلم يكلمه أحد.. وازداد قلق الوالد على ولده.. وجعل يبحث عنه تحت الأشجار فلعله سهر في الليل ونام في النهار.!

وصار الوالد ينتقل من ظل شجرة إلى ظل أخرى.. حتى جاء إلى عريش عنب.. فأطل تحته وإذا به يرى ولده نائماً تحت ذلك العريش.. وجاء الوالد إلى ولده وأراد أن يوقظه برفق.!!

ولكنه عندما قبض على يده وجدها باردة.. ولم يحس فيها بنبض.. ثم جس يده الثانية فوجدها مثل أختها..

ووضع أذنه على قلب ولده فلم يسمع دقات قلبه...

فازداد قلق الوالد وخوفه.. وقلب ولده من الجنب الأيمن إلى الجنب الأيسر فلم يتحر.. وعاود الانصات إلى دقات قلبه فلم يسمع شيئاً.!

وأيقن الوالد أن ولده قد مات.! فغطاه بثوب،. ثم ذهب إلى والدته وأخوانه فأخبرهم بحالة ابنه فجاؤا إليه مسرعين.. وقلبوه فوجدوه جثة هامدة.!!

فخيم عليهم الحزن.. وشرعوا في تجهيز جنازته.! فغسلوه وكفنوه ثم صلوا عليه وذهبوا به إلى المقبرة فدفنوه.!!

وعادت الأسرة والخوف والأسى يملأ قلوبهم على فقيدهم الشاب اللطيف المحبوب.. الذي غادر هذه الحياة ولم يتمتع بشبابه.. وفارق أهله وهو العلق النفيس الذي يعلقون عليه أكبر الآمال.!!

وكان أكثر الأسرة تأثراً بموت هذا الشاب أخته الشابة... التي كانت تحبه وتأنس به وترى فيه رمز سعادتها.. وكانت هذه الأخت علاوة على مشاعرها الخاصة نحو أخيها الأصغر مرهقة الإحساس سريعة التأثر بما يحدث حولها.!!

لهذا فقد كانت هذه الأخت هي أعظم أفراد الأسرة حزناً وقلقاً ووساوس.!!

وعزفت هذه الأخت عن الطعام والمنام.. وبقيت هي الوحيدة التي لازمها المصاب.!! وألح عليها العذاب.!! ليلاً ونهاراً.!

وكانت هذه الفتاة تنام في فراشها ليلاً على عادتها فإذا نام جميع أفراد الأسرة قامت من فوق فراشها ثم صعدت إلى السطوح. وجعلت تتجول فيها وتسهر مع النجوم.. وتفكر في هذا الكون وأحداثه.!

فإذا قرب الفجر نزلت من السطوح وعادت إلى فراشها حتى إذا قام أفراد أسرتها من النوم أيقظوها من فراشها وكأنها كانت نائمة طيلة ساعات الليل.!! مع أنها لم تذق للنوم طعماً.!!

واستمرت الفتاة علىهذه الحالة.!! وبينما كانت ذات ليلة في السطح تراقب النجوم.. سمعت صوتاً جميلاً مؤثراً يأتي إليها من جهة المقبرة.!! وأنصتت إلى هذا الصوت... فإذا هو صوت أخيها الميت.!! وكذبت سمعها في أول ليلة.!!

وانتظرت حتى جاءت الليلة الثانية وصعدت إلى السطوح على عادتها.. وأرهفت سمعها.. وإذا بالصوت الذي سمعته في الليلة الماضية يأتي إليها في هذه الليلة.!!

وكذبت نفسها باديء ذي بدء ولكنها أرهفت سمعها وأنصتت إلى الصوت تسمع مقاطعه وتسمع أوله وتسمع آخره.. فلا يزيدها كل ذلك إلا يقيناً بأن الصوت هو صوت أخيها.!! ولكن أخاها قد مات ودفن فكيف يخرج من قبره وكيف يغني على ربابته.؟!

واحتارت الفتاة في أمرها.؟ ومن تخبر من أفراد عائلتها هل تخبر أباها.! هل تخبر أمها.؟! هل تخبر أخاها.؟! أما أمها وأبوها

فقد رأت أن لا تفاتحهما في الأمر لئلا تنكأ جرحاً قد أندمل وتثير حزناً قد بدأ يغطي عليه النسيان.؟! وإذاً فليس هناك إلا أخوها.!!

ولكنها احتارت أيضاً كيف تصوغ الخبر لأخيها... وكيف تقنعها.؟!وأخيراً صممت على أن تخبر أخاها بما وقع لها كما وقع.! سواء صدقها أو لم يصدقها وانتهزت فرصة في النهار وخلت بأخيها وأخبرته بماسمعت.!!

فقال الأخ لأخته يظهر أنك ترين أحلاماً في المنام .!! وإلا فإن ميتاً كيف يتكلم وكيف يغني.. وأردف قائلاً:- إنك يا أختاه من فرط الحزن على أخيك تتوهمين.. أموراً ليست في دنيا الواقع.!

ولكن أخته ألحت عليه بأفكارها.. وقالت له:- لك أن تشك في كلامي.. ولكنني مستعدة أن أوقظك في الوقت الذي أسمع فيه صوت أخي لتسمعه كما سمعته.!! فهل أنت مستعد لذلك.؟! فأجابها الأخ بأنه مستعد تمام الاستعداد لسماع ما سمعت.!!

وجاء الليل.. وصعدت الفتاة إلى السطح كما كانت تصعد وأصغت بسمعها للصوت.. فسمعته... إنه صوت أخيها الميت يأتي من جهة المقبرة.. وصوت ربابته التي تناغيه ويناغيها.!!

وذهبت مسرعة فأيقظت أخاها.!! وصعد الأخ مسرعاً مع أخته.. وتسمع إلى الصوت فسمعه.. إنه صوت أخيه...

وصوت ربابته.!!

وعرف الساعة التي سمع فيها الصوت.. وقال لأخته إنني سوف أذهب غداً.. وأختفي في أحد القبور المهجورة ثم أسمع إلى الصوت من قريب.!! وأرى ما يحدث رأى العين.!!

وفرحت الفتاة بما توصلت إليه من إقناع أخيها وتصميمه على أن يرى بنفسه ماذا يحدث عن قريب..

وجاء الليل وذهب الأخ فاختفى في أحد القبور.. وقبل أن تحين ساعة سماعهم للصوت رأى جذعاً يحلق في الجو ثم يهبط قليلاً قليلاً حتى لامس الأرض التي بقرب قبر أخيه واستقر عليها.!!

وخرج من داخله فتاتان جميلتان.. ثم أزحن التراب عن القبر ورددن عقل الميت إليه... فجلس بشراً سوياً.. وقدمن له طعاماً فأكل وأكلن معه ثم قلن له غن لنا فأخذ الربابة وجعل يغني وهن يسمعن.. حتى قارب الفجر على الطلوع.. فأعطينه طيباً ثم غرفن عقله ووضعنه في إناء من الصين وبعد ذلك أعدنه إلى قبره وأهلن عليه التراب... وركبن في جذعهن وحلقن به في الجو.!

هذا والأخ يرى ما يحدث أمام عينيه ولا يكاد يصدق ما يرى. إلا أنه لا يستطيع أن يتجاهل هذه المشاهد التي تحدث أمام ناظريه.!

وعاد الشاب إلى أخته فوجدها في انتظاره.. لم تذق طعم

النوم.. فأخبرها بما شاهد.. وقال لها إنني سوف آخذ السهم والنشاب في الليلة القادمة.. وسوف أنتظر قدومهن.. فإذا جلسن معه فإنني سوف أسدد سهمي لرئيستهن فلعلي أجرحها جرحاً يعوقها عن الطيران.!

وبعد ذلك سوف نرغمها على إعادة أخي إلى حالته الطبيعية.. وإن لم تفعل هددناها بالقتل.!!

ففرحت الفتاة بما توصلا إليه وحبذت خطة أخيها الكبير وأملت أن يكون فيها نجاة أخيها الصغير.!!

وجاء الليل وأخذ الشاب قوسه ونشابه.. وذهب إلى المقبرة.. وفي الموعد المحدد جاء الجذع فحلق فوق المقبرة ثم هبط قليلاً قليلاً حتى لامس الأرض فاستقر عليها.. وخرجت الفتاتان وفعلن في هذه الليلة كما كن يفعلن في الليالي الماضيات.!!

وعندما رددن عقل الشاب عليه.. أوتر الشاب قوسه.. ثم سدد السهم إلى فخذ رئيستهن التي عرفها من طريقة جلوسها وتأدب الأخرى معها وعندما أطلق السهم أصاب فخذ الرئيسة فصرخت صرخة مكتومة.! علمت أنها قد رميت بسهم أصاب ساقها فقامت مسرعة والدم ينزف من ساقها... ومرت بالسعوط عند خشم الشاب فغشي عليه وغرفت عقله ووضعته في إناء الصين.. وأخذته معها وركبت مع وصيفتها فوق الجذع.. وهينمت ببضع كلمات فطار بهما الجذع والدم ينزف من ساق الأميرة.!!

حلق بهم الجذع في أجواء السماء.. ولم يبرح الشاب الرامي مكانه حتى غاب عنه الجذع خوفاً منهن... وبعد ذلك نهض من مخبئة وجاء يمشي إلى جهة أخيه.. فوجده جثة هامدة.!!

وحركه فلم يتحرك... فحمله بين يديه.. وذهب به مسرعاً إلى دارهم.. ووضع أخاه بمساعدة أخته في مكان خفي من البيت.. وأخبر أخته بما جرى.!!

وقال لقد جرحت الرئيسة.. وطارت والدم ينزف من فخذها.! وسوف أعرف اتجاههم من قطرات الدم التي تتساقط من فخذ الفتاة المجروحة.!!

وجاء الصباح.. وذهب أخو الشاب يتتبع قطرات الدم.. حتى عرف اتجاه الفتاتين.. فاشترى راحلة قوية.. واستعد للسفر في أثر هؤلاء الفتاتين.!!

وعندما تكامل استعداده أوصى أخته بأخيه وقال اخفى الخبر عن والديّ حتى أعود فإنني سوف أتتبع آثار هؤلاء الفتاتين.. وسيكون دليل قطرات الدم الساقطة من فخذ الفتاة المجروحة..

وقال الشاب لوالديه مبرراً سفره:- إنني سوف أذهب إلى البلد الفلاني ولن يستغرق غيابي بضعة أيام فدعت له أمه ودعا له والده بالسفر السعيد والعود الحميد.!!

وسافر الشاب متتبعاً قطرات الدم.. وصار ينتقل من بلد إلى بلد.. وقطرات الدم هي دليله إلى مبتغاه وطال بالشاب السفر ولكنه مصمم على الوصول إلى نتيجة.!!

واستمر في السير بضعة أيام.. حتى وصل إلى مدينة عظيمة يحكمها سلطان قوي عادل وهو في نفس الوقت مسلم.!

وتتبع قطرات الدم حتى توقفت عند قصر السلطان... إنها لم تتجاوزه. ولم تقصر دونه.!! وإذاً فهؤلاء الفتاتان من حاشية السلطان.. وهن تابعات لحرم القصر السلطاني.!!

وجاء الشاب على راحلته حتى أناخها عند باب السلطان وقال لبواب القصر إنني جئت من بلاد بعيدة أقصد السلطان... وأريد مقابلته لأمر يهمه ويتعلق به خاصة.!!

وأبلغ الخبر للسلطان... فقال أنزلوا هذا الشاب في قصر الضيافة وسوف نخبره بوقت المقابلة بعد أن يرتاح من سفره.!!

وأخبر الشاب بما قاله السلطان.. وأنزل في دار الضيافة.. واستراح بقية يومه ذلك.. وجاء اليوم الثاني.. فأذن السلطان لهذا الشاب الغريب بمقابلة ليسمع منه الخبر الهام الذي يتعلق بالسلطان.!!

وجاء الشاب.. ودخل على السطان فوجده وحيداً في انتظاره.!! وقد نحى الخدم والحشم بعيداً عن مكان جلوسه وسلم الشاب على السلطان.. ورد عليه السلطان التحية بأحسن منها ورحب به في بلاده وقال السلطان لضيفه الشاب لقد بلغني أن لديك أخباراً تهمني خاصة فما هي أخبارك.؟!

فقال الشاب:-

يا عظمة السلطان لقد جئت من بلاد بعيدة وتعرضت في سفري هذا لمصاعب جمة.. وذلك بسبب حادث غريب وقع لأخي الصغير.!

فقال عظمة السلطان وما هو الحادث الغريب الذي حدث

لأخيك فقص عليه الشاب جميع ما جرى لأخيه.. وتعجب السلطان من هذه الحادثة.!! ولكنه قال للشاب وما علاقة هذه الحادثة بنا أو بمملكتنا وأنت من بلاد أخرى غير بلادنا.؟! فقال الشاب لقد رميت الرئيسة من الفتاتين بسهم كما أخبرت عظمتكم وصار الدم ينزرف من ساقها.!!

وقد تتبعت قطرات الدم من بلادي حتى وصلت إلى عاصمة مملكتكم الزاهرة ثم تتبعت قطرات الدم حتى توقفت عند قصر عظمة السلطان.. ونظرت فإذا هي لم تتجاوزه ولم تقصر دونه.!! وتكلم الشاب بكلام بليغ أثنى فيه على السلطان وأشاد بعدله وحكمته وبعد نظره وأطال في هذا المجال.!!

فأثر كلام الشاب في السلطان وتحمس للأمر... وقال للشاب ثق أن الذي فعل الفعلة سوف يلقي جزاءه سواء كان من أسرتي أو من أفراد رعيتي.! ولن تسافر من مملكتي إلا بعد أن أكتشف الجريمة والمجرمين.. ويلقى المتعدي جزاءه العادل إن شاء الله.!!

فدعاء الشاب لعظمة السلطان بأن يوفقه الله ويحفظه وأن يجعله هادياً مهدياً.!! واستأذن من السلطان وخرج...

أما السلطان فإنه شك في ابنته.. لأن له بضعة أيام لم يرها.. وكان كلما سأل عنها أمها قالت إن عيونها مريضة.. وهي محتجبة في غرفة خاصة لا يدخل عليها أحد خوفاً من روائح الطيب التي تزيد مرض العيون وتضاعف آلامها.!!

وقد حاول السلطان عدة مرات أن يزور ابنته ليطمئن على صحتها.. ولكن والدتها تصده.! وتقول إن في عظمتكم روائح عطرية حادة.. وقد تضاعف آلام عيون ابنتك.. وتزيد من

التهابها.!

وكان السلطان إذا قالت له زوجته هذا الكلام يقتنع به ويعدل عن زيارة ابنته.. ولكن السلطان بعد أن سمع من الشاب الغريب ما سمع.!! داخله الشك في انبته وقال في نفسه لماذا لا تكون ابتني هي الفاعلة لما قاله هذا الشاب.؟!

ولبس السلطان ملابسه... ومشى متجهاً إلى غرفة ابنته باسم الزيارة... ووجد أمها وهو في طريقه لهذه الزيارة.!! وسألته زوجته أين يريد.؟! فقال إنني أريد زيارة ابنتي .! فقالت له زوجته لقد كنت أخبرتك أن زيارتك تؤثر عليها وتزيد من آلامها.!!

ولكن السطان قال لزوجته بعزم وتصميم إنني لابد أن أزورها الآن.. وأرى كيف حاله.. واستدعي لها الأطباء إذا اقتضى الأمر ذلك.!!

وحاولت الوالدة صرف السلطان عن رأيه.. ولكنه لم ينصرف... فقالت الوالدة إذاً فاسمح لي أن أذهب إلى ابنتي قبلك لتكون على استعداد لاستقبالك.. ولأعمل الاحتياطات الازمة لسلامة عيون ابنتي.!!

ووافق السلطان على هذا الرأي.. وجلس في غرفة الانتظار وذهبت الوالدة إلى ابنتها.. وأخبرتها بأن والدها سوف يزورها الآن.. فدهشت الفتاة وخافت.!! وقالت لوالدتها حاولي أن تصرفيه عن رأيه.!!

فقالت الوالدة لقد بذلت كلما أستطيعه من محاولات لمنعه من هذه الزيارة.!! وقد نجحت فيما مضى.. ولكنني في هذه المرة فشلت فقد وجدت والدك اليوم مصمم على الزيارة مهما

كانت النتائج وإذاً فعليك أن تخفي ما في فخذك.. وأن تظهري بمظهر الذي تؤمله عيونه لا غير.!!

واستعدت الفتاة لمقابلة والدها السلطان.. وجاء السلطان فدخل عند ابنته وسلم عليها فردت السلام.. وهي تغطي وجهها وعينيها.! وجلس السلطان في مكان بعيد عنها بعض الشيء ... ودار الحديث وتفرع.. ثم قال السلطان لابنته تعالي يا ابنتي عندي لأرى عينيك.

فقالت الفتاة إنني لا ارى الطريق إليك فقال السلطان لوالدتها شدي على يدها.. وقوديها إلي لأرى عيونها.!!

وأحرجت الفتاة وأحرجت والدتها وخافتا من انكشاف أمرهما.! إذا مشت الفتاة.. ولكنه لابد من تنفيذ أمر السلطان.. وقامت الوالدة وأخذت بيد ابنتها وقادتها إلى والدها.. ومشت الفتاة.!! ولاحظ السلطان أنها عرجاء.!! وأن إحدى رجليها غير طبيعية.!!

وسأل السلطان عن هذا العرج فقالت الفتاة إن رجلي خادرة من طول الجلوس وأنه ليس بها أيّ مرض.. وجاءت الفتاة حتى جلست بقرب والدها.!!

ونظر السلطان إلى عيونها فرأى فيها احمراراً.... ولكنه ليس ناتجاً عن مرض... وإنما هو ناتج عن البكاء.... وعرك العيون.!!

قال السلطان أريني رجلك.. وخافت الفتاة.!! أن ينكشف أمرها وأن يبدو من شأنها ما كانت تخفيه.. ولكنه لا بد من أن يرى السلطان رجلها.. وقربت له رجلها فكشفها ورأى آثار اللفائف والأربطة.!!

وسألها عما أصاب رجلها.. فقالت الفتاة لقد جئت أنزل مع الدرج وعيوني مربوطة فزلت قدمي وسقطت على الدرج فأصاب رجلي هذه بعض الرضوض.!!

وقال لأمها فكي هذه الأربطة من فوق رجلها لأرى مدى خطر الرضوض حتى نعالجها قبل أن يستفحل أمرها.!!

وترددت الأم بعض الشيء عن فك اللفائف.!! ولكنه لا بد من تنفيذ أمر السلطان.!! وجاءت إلى ابنتها وفكت الرباط حتى ظهر موضع الألم ورآه السلطان فوجده طعنة سهم.!! وليس رضوضاً من الدرجة.!! وتحقق السلطان أن ابنته هي التي فعلت ما ذكره الشاب الغريب.!!

وقال السلطان لابنته إن الذي في فخذك ليس آثار رضوض وإنما هو ضربة سهم فاصدقيني الخبر.. واخبريني بجلية الأمر.... ولا تحاولي أن تخدعيني.. فإن حبل الكذب قصير فتلعثمت الفتاة ولم تعرف طريقاً للخروج من هذا المأزق غير السكوت.!! ولكن السلطان يريد الحقيقة.. والحقيقة مؤلمة.. واستمرت الفتاة في سكوتها..

وسئم السلطان من هذا السكوت... تلكم السلطان بالحقيقة... وجابه ابنته بالواقع.. وقص عليها قصة الشاب الغريب... وأخيه المسحور.. ثم أردف السلطان قائلاً:-

إنه لا يخامرني أي شك في أنك أنت الفاعلة.!! وعليك أن تعترفي بالحقيقة وأن لا تحاولي خديعتي أكثر مما حاولت.!! وعليك أن تخبريني بصويحبتك.. التي كانت معك في تلك الرحلات.!

وتيقنت الفتاة بأن والدها عظمة السلطان قد اطلع على كل شيء وأنه ليس هناك مجال للف والدوران ولا فائدة من المماطلة

والمراوغة.! وكتمان الحقيقة.!!

وقالت الفتاة لوالدها.. نعم إنني أنا الفاعلة أما صويحبتي فهي فلانة.!! وهذه هفوة من هفوات الشباب ونزوة من نزوات المراهقة أرجو من والدي أن يغتفرها لي.. وسوف تكون هي الأولى والأخيرة بعون الله.!!

فقال السلطان يا ابنتي إن جريمتك هذه ليس من حقي أن أعفو عنها لأن ضررها يمس الدين.!! ويمس قوماً آخرين.!! ولابد من تنفيذ عقوبة رادعة تتناسب مع هذا الجرم الشنيع الذي ستمل على السحر وعلى انتهاك الحرمات.. وعلى الاعتداء على الناس.. وتركهم أمواتاً.!! أو كالأموات.!!

وأيقنت الفتاة بأنها سوف تلقى جزاءها... وأنه لا مجال للعفو أو للشفاعات.. وسلمت أمرها لله.. وندمت على ما كانت فعلت.. ولكن هذا الندم جاء متأخراً.!!

وطلب عظمة السلطان إحضار الفتاة المرافقة فحضرت.. وأمر عظمة السلطان بأن تحبس كل واحدة منهما في غرفة مهجورة في أحد أركان القصر وأن لا يأتي اليهن أحد فالزيارة بالنسبة لهن ممنوعة أشد المنع.!! وسوف يعاقب كل من يخالف هذه الأوامر السلطانية.!

وذهب السلطان إلى دست حكمه يدير شؤون مملكته ويصرف شؤون رعيته.. ويفكر في موضوع ابنته ورفيقتها... إنه لا بد أن يلقين جزاءهن العادل.!!

ولكنه لا يعرف حكم الشرع الشريف في هذا الموضوع.!! على وجه التحديد كما أنه لا يمكنه أن يعرضه على القضاة لئلا ينكشف أمر ابنته... لأن انكشافه فضيحة تمس السلطان

شخصياً ووتمس عائلته.!!

ولهذا فقد صمم السلطان أن يكون هو القاضي الذي يصدر الحكم في هذا لقضية.. وسوف يجتهد ويخلص النية لله فإن أصاب في حكمه قواعد الشرع وأحكامه فذلك بفضل الله وتوفيقه... وإن أخطأ فإنه لن يحرم الأجر.. فنيته طيبة.!! وقصده سام وشريف.!! وهو في سبيل تحقيق العدالة سوف ينفذ حكماً قاسياً صارماً في فلذة من فلذات كبدة.!!

كما صمم السلطان على أنه كما أصدر الحكم بنفسه.... فإنه سوف ينفذه بنفسه أيضاً.!! وذهب السلطان إلى غرفة الفتاتين.! بعد أن هدأ كل شيء حولهن.. ودخل عليهن وسيفه معه.!!

ووجود السيف مع عظمة السلطان أمر لا يلفت النظر فإن السيف لا يفارق يد السلطان ليلاً ولا نهاراً... وفرق السلطان قبل دخوله عليهن جميع من حول غرفتهن من الخدم.!! ثم دخل عليهن الغرفة وسل سيفه وقطع رأس ابنته ؟!! ثم أتبعه برأس رفيقتها..ووضع السلطان هذين الراسين في إناء واحد وغطاء.!! ثم طلب من أحد الحاشية أن يحمل هذا الإناء وأن يضعه في مجلسه الخاص.!! كما أمر السلطان أن يغسل الفتاتان.. وأن يدفن في التراب.!!

هذا وقد نسينا أن نذكر أن عظمة السلطان قبل أن ينفذ في الفتاتين حكم الإعدام كان قد أخذ وعاء الصين الذي فيه عقل الرجل المسحور كما أخذ من ابنته شرحاً وافياً في كيفية إعادة هذا العقل إلى صاحبه.!

وطلب السلطان حضور ضيفه الشاب الغريب.. والرؤوس

عن يساره.. وإناء الصين الذي فيه عقل الشاب المسحور عن يمينه.... وعندما جاء الشاب الغريب إلى السلطان سلم عليه ودعا له.! وجلس في مكان يبعد عن السلطان قليلاً.!!

ولكن عظمة السلطان أمره بالقرب منه وعين له المكان الذي يجب أن يجلس فيه وامتثل الشاب أمر السلطان وقام حتى جلس في المكان الذي أشار إليه عظمة السلطان.!!

ولم يتكلم السلطان بكلمة واحدة فقد كان يخيم على نفسه مزيج من الغضب والثورة والحزن على ما جرى أولاً وعلى ماجرى آخراً.! وكشف عظمة السلطان ذلك الإناء الذي فيه الرؤوس.!! وقال للشاب:- أنظر إلى هذه الرؤوس.. إنها هي الرؤوس التي شكوت منها.. قد نلن جزاءهن العادل.!!

ثم التفت يميناً فأخذ إناء الصين الذي فيه عقل أخيه.. وقال هذا هو عقل أخيك.. ولكي تعيده إلى وضعه الطبيعي يجب أن تعمل به كذا وكذا.!! وسرد عظمة السلطان وصفاً دقيقاً مفصلاً عن كيفية إعادة عقل الشاب المسحور إليه... كما وصفت له ابنته قبل أن يقتلها.!!

وسمع الشاب وصف إعادة عقل أخيه من السلطان ووعي تلك الخطوات.. التي يجب أن يتبعها وأن ينفذها واحدة تلو أخرى.!! ومبالغة في عدم نسيانها كتبها الشاب عنده في ورقة.!

وشكر الشاب الغريب عظمة السلطان على اهتمامه بالأمر... وعلى تنفيذ الحكم.. وعلى إعادة عقل أخيه إليه.!!

وودع الشاب الغريب عظمة لسلطان وشد الرحال قافلاً إلى بلده بعد أن نفحه السلطان بمبلغ من النقود ولفافات من الملابس الفاخرة.!

وواصل الشاب السير ليله بنهاره حتى وصل إلى بلده.. وحط الرحال عن راحلته.. وذهب بإناء الصين حتى وضعه في مكان خفي أمين.!!

وبعد أن سلم على والديه ذهب إلى أخته فسلم عليها..ثم أخبرها أنه وفق في رحلته.. وأنه توصل إلى كل ما يريد.. وقص عليها قصة سفره.. منذ أن فارقها حتى عاد إليها.. وطلبت الأخت من أخيها أن يسرع في إعادة عقل أخيها المسحور إليه.!

ولكن أخاهاً قال لها لا تعجلي فإن كل شيء مرهون بوقته وقد صبرنا الكثير ولم يبق إلا القليل.!! وتعرفين أن عقل أخي سلب منه ليلاً.. ولا يمكن أن يعاد إليه وتنجح الإعادة إلا إذا أعيد ليلاً.!

وسكتت الفتاة.. وبقيت تنتظر الليل.. بقلق ورجاء.. وخوف وأمل.!!

وجاء الليل.. ونام أهل البيت ما عدا الشاب وأخته... وأخذ الشاب إناء الصين.!! وذهب به إلى الغرفة التي يتمدد فيها أخوه المسحور.. وساعدته أخته فاقعداه.. ثم بلا قطنة فانشقاه إياها.!! ثم جعلا يبلان القطنة من إناء الصين وينشقانه إياها.. وبدأت تدب فيه الحياة شيئاً فشيئاً.. ثم سقوه البقية الباقية في إناء الصين.!!

ففتح الشاب عينيه.!! ونظر فيما حواليه.!! وتكلم وقال أين أنا فقال له أخوه وأخته أنت في دارنا.!! وراح يتذكر ما مر به قبل ساعته هذه ولكنه لا يذكر شيئاً معيناً وإنما يشعر أنه كان يسبح في أحلام متواصلة.!! ينتقل فيها من حلم إلى

حلم.. ثم عندما صحي من النوم كانت أحداث تلك الأحلام قد تبخرت من ذاكرته فهو يحس بآثارها.. ولكنه لا يتذكر دقائقها وأحداثها.!!

والمهم أن الشاب المسحور رجع إليه عقله... وعاد إلى حالته الطبيعية.!! وخرج به أخوه إلى البستان حتى لا يفاجأ والداه بوجوده بينهم.!! فقد يحدث ما لا تحمد عقباه.!! فإن الفرح المفاجيء قد يقتل.!! كما أن الحزن المفاجيء لا يقل عن ذلك ضرراً.! كما قال الشاعر العربي:

هجم السرور علي حتى أنه   من فرط ماقد سرني أبكاني

وأمر الأخ أخته أن تخفي الخبر عن أمها وأبيها.. حتى يخبرهم هو بطريقة تدريجية.!! وبأسلوب لبق لا يحدث لهم فرحاً جارفاً قد ينقلب إلى كارثة جارفة.!!

وعاد الشاب إلى البيت واجتمع بوالده ووالدته.. وقال لهما إن لدي بشرى سارة أزفها إليكم بمناسبة قدومي من رحلتي.. واشرأب الوالدان لما سيقوله ابنهما.!!

وقال الابن لقد كان موت أخي بتلك الحالة المفاجئة مثار دهشتي وتساؤلي.!! لأنني كنت قد سمعت أن هناك وفيات يحيى أصحابها بعد فترة من الزمن لأنهم يصابون بإغماء عميق.!! يبقون فيه فترة من الزمن ثم تعود إليهم حياتهم من جديد.!!

لهذا فإنني نتيجة لهذا التفكير ذهبت ليلاً وجلست بالقرب من قبر أخي فسمعت صوته من داخل القبر.. فلم يكن مني

إلا أن أحفر القبر وأخرجه منه.. فوجدته حياً.. ولكنه كان منهك القوى.!!

لهذا فقد أخذته معي وسافرت به إلى طبيب ذكر لي في البلد الفلانية.!! فعالجه.. حتى عاد إلى حالته الطبيعية بحمد الله وتوفيقه.! وسمع الوالدان هذا الكلام.. وكاد أن لا يصدقا ما سمعا وقالا لولدهما هل أنت جاد أم هازل.؟! وهل أنت تخبرنا بحقيقة... أم بخيال.؟!

وقال الشاب لوالديه.. إنني أخبركم بحقيقة.!! وليس هناك مجال لخداعكم أو التغرير بكم.!! وإن ما قلته لكم هو عين الحقيقة وأخي الآن موجود في البستان وهو يتمتع بكامل الصحة والسرور.!

وعلينا أن نذهب الآن سوية لنراه ونطمئن على راحته.! ولبس ولبس الوالد والوالدة ملابسهم على عجل.!! وذهبا مع ولدهما إلى البستان وهما بين الصدق والمكذب.!!

وكان خبر حياة ولدهما قد مر عليه في أذهانهما عدة مراحل.! بحيث أن رؤيته أصبحت غير مفاجئة ولن تحدث لوالديه أثراً عكسياً.!

ولهذا فإن الشاب عندما دخل البستان مع والديه نادى أخاه بأعلى صوته.! فأجابه أخوه من طرف البستان.! وسمع الولدان صوت ولدهما فصدقا بما قيل.! ولكنهما قالا لعلنا خدعنا بصوت يشبه صوته.!!

ولكن الشاب المسحور جاء يمشي مسرعاً حتى رأى والديه

فأقبل عليهما يقبل رأس كل واحد منهما.!! ويقبله كل واحد منهما.! ودموع الفرح تتساقط من عيونهما.!!

وعاشت الأسرة سعيدة.! بحياة أحد أفرادها من جديد.!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

قال محدى الهبداني يعاتب أخواله

اعتضت عن دار المهونات بالبيد
وخليت دار الذل للي سكنها
دار بدار ولا علينا تحاديد
وأرزاقنا رب الخلايق ضمنها
نروح عن دار العنى للأجاويد
لأهل بيوت من تجلوى زبنها
عيال الغبين المنتخين المواريد
على ظهور الخيل يذكر طعنها
إن جا نهار فيه فهق وتوريد
يسني على كل الموارد شطنها

عن كتاب «أبطال من الصحراء»

★ ★ ★

سالفـــــة:

٢٠- العفريت مع الأخوين الغني والفقير

«رويت هذه السالفة عن ابني سهيل وقد رواه بدوره
عن والدته وقد كتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

كان الوقت صيفاً والناس ينامون فوق السطوح.. ولهذا فقد صعد الأطفال إلى جدتهم فوق السطح فوجدوها في انتظارهم وقال لها أحدهم قصي علينا سالفة العفريت مع الأخوين الغني والفقير.!

فقالت الجدة حباً وكرامة.. هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الأخوين الذين أحدهما غني والآخر فقير.. وكان الغني عقيماً لا يولد له.. وليس عنده على سعة ثروته إلا زوجته التي هي من عشاق المال... وجمع المال.!!

أما الأخ الفقير.. فقد كان لديه ست بنيات كزغب القطا.! وهو يكافح في الحياة من أجل معيشتهن وراحتهن وظهورهن أمام زميلاتهن بالمظهر اللائق الذي لا يشعرن معه بأنهن أقل من غيرهن.!

وكان لدى هذا لوالد الفقير حمار يحتطب عليه صيفاً.. ويجمع الأعشاب ويحملها عليه شتاءً.. ويبيع محصوله اليومي ثم ينفقه على زوجته وعلى بنياته.!!

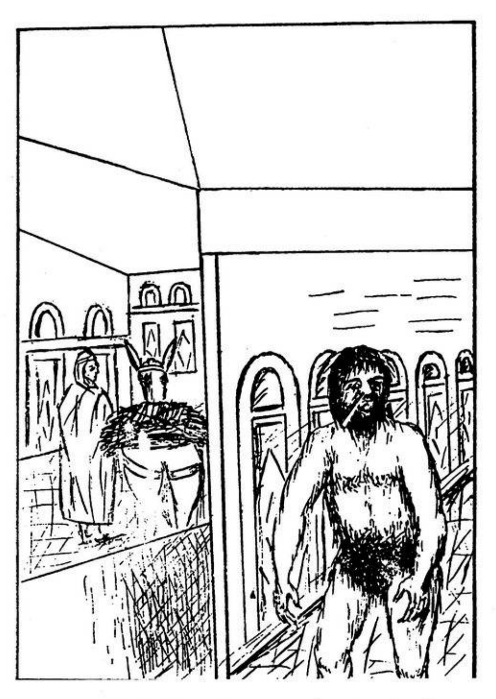
وكان هذا الأخ الفقير أيضاً لا يجد من أخيه الغني أي عون أو مساعدة.. وكيف يعنيه أو يساعده إنسان يقتر على نفسه ويحرمها من كريم المأكل والملبس.. ويعيش وليس له هم إلا الجمع والمنع والتقتير على نفسه وعلى زوجته... في كل جانب من جوانب حياتهم.!!

فأكلهم من أقل الأكل طيباً ولباسهم من أرخص اللباس.... وفراشهم من أخشن الفرش وهوايتهم ولذتهم الوحيدة هي تنمية هذا المال وزيادته.!!

وذهب الفقير ذات يوم إلى الصحراء.. وتغلغل فيها بحثاً عن نوع من الأعشاب المطلوبة المرغوبة.!!

ونظر ذات لحظة فرأى قصراً كبيراً في وسط الصحراء.! وتوجه إلى جهته.! وعندما أقبل عليه لم ير حوله أحداً فتخوف من هذا القصر العظيم المنفرد في وسط الصحراء.! واختفى هو وحماره في مكان منخفض... وبقي يراقب هذا القصر عن بعد.. ليرى هل فيه أحد.!!

وبعد وقت غير قصير من الانتظار رأى عفريتاً هائل الخلقة كريه المنظر يخرج من هذا القصر..ثم يغلق بابه..ثم يحفر للمفتاح حفرة ويدفنه فيها وبعد ذلك يبول على ذلك المكان الذي فيه المفتاح.. حتى لا يعرف أحد مكان المفتاح.!!



العفريت ينادي في قصره ويقول: - ياللي في المقصورة
حول تعش لحم خرفان ولحم وحش.!!

وذهب العفريت ضارباً في الصحراء باحثاً عن صيد من إنسان أو حيوان.!!

وبعد أن اختفى العفريت عن الفقير.. وظن أنه ذهب بعيداً ركب حماره وجاء إلى هذا القصر واستخرج المفتاح من مخبائه وفتح القصر ودخل هو وحماره فيه.!!

وعندما دخل القصر.. رأى في دالخه فضاء واسعاً يحيط به غرف مغلقة الأبواب.! وشم رائحة الطعام فذهب إلى المطبخ.. فوجد لحوماً مطبوخة ومعدة للأكل فأكل منها حتى شبع.!!

ثم جعل يتحول على الغرف.. فوجد غرفة مملوءة بالحيوانات الميتة المعلقة بأرجلها.. وغرفة أخرى كل ما فيها بشر قتلى ومعلقين بأرجلهم.. وفي أنف كل واحد منهم أنبوبة يتسرب دم الإنسان فيها.. ويجتمع في أناء ليشربه هذا العفريت إذا أحس بالظمأ.. فهو لا يأكل إلا لحماً.. ولا يشرب إلا دماً.!!

ووجد غرفة ثالثة بها رجال قد أقفل عليهم وهم ينتظرون دورهم في القتل.. ورأوا هذا الحطاب الفقير.. ورآهم وأخبروه عن العفريت وقالوا له انج بنفسك فإنه إن رجع ووجدك أكلك أنت وحمارك.!

فقال لهم الرجل الفقير إنه لا يمكنني الهرب في هذا الوقت.! وإنني أخشى إذا هربت أن يصادفني العفريت في الطريق فيأخذني مع حماري.! ولكنني سوف أختفي في هذا القصر ليلتي هذه... ثم أهرب غداً.!!

فقالوا له.. ما دمت مصراً على البقاء.. فإن عليك إذا قرب الليل أن تصعد إلى تلك المقصورة أنت وحمارك.. وأن تبقى فيها

طيلة ساعات الليل بدون حراك.. لأنه إن سمعك أو سمع حمارك فإنه سوف يصعد إليك.. وسيكون مصيرك الموت لا محالة.!

وسمع الفقير كلامهم.. وسألهم عن محتويات هذا القصر فأخبروه أنه مليء بالكنوز والذهب والفضة والجواهر التي يأتي بها العفريت من كل مكان.. ويخزنها في تلك الغرف.. التي خصص كل واحدة منها لنوع من أنواع هذه الثروات الطائلة.!!

وقرب الليل وصعد الفقير مع حماره إلى أعلى المقصورة الوحيدة التي في هذا القصر.!! وبعد صعودة بفترة وجيزه جاء الوحش ودخل القصر.. وأحس الفقير بدخوله من صوت الباب وصريره.. فكتم أنفاسه وربط فم حماره خوفاً من أن ينهق.!!

وتجول الوحش في القصر وتفقد جميع أموره.. وداخله الشك من أن يكون في المقصورة أحد.. فمشى حتى وقف عندها... ثم رفع صوته بهذه العبارة:-

«يا للي في المقصورة حول تعش.! لحم خرفان ولحم وحش».!

وسمع الفقير هذا النداء ولكنه تجاهله واستمر في صمته واحتاط على فم حماره بحيث لا يخرج منه أي صوت.!! وبعد لحظات أعاد الوحش نداءه:-

«ياللي في المقصورة حول تعش.! لحم خرفان ولحم وحش.!»

ولكن الذي في المقصورة لا يتكلم ولا يبد حراكاً... وأعاد الوحش عبارته للمرة الثالثة:-

«ياللي في المقصورة حول تعش.! لحم خرفان ولحم وحش.!»

ولم يسمع الوحش أي صوت ولم يلاحظ أي حركة فذهب إلى شؤونه الخاصة بعد أن تيقن أن القصر خالٍ من أي شخص غريب.! حتى المقصورة قد تأكد أنه ليس فيها أحد.!!

ونام الفقير الحطاب بجانب حماره.. حتى جاء الصباح وقام الوحش وقضى شؤونه.. ثم خرج من الباب وأقفله.. وذهب يضرب في كبد الصحراء باحثاً عن صيد جديد.!!

وأنزل الرجل حماره من سطح المقصورة.. ثم صار يفتح غرف القصر واحدة إثر واحدة، ليعرف ما في كل واحدة منها.. فواحدة يجد فيها ذهباً وأخرى يجد فيها فضة وثالثة يجد فيها جواهر.. ورابعة يجد فيها لؤلؤاً ومرجاناً وخامسة يجد فيها أنواع الأطياب والعطورات.!

وفكر الحطاب فيما يأخذ.. ورأى أن الذهب هو أثمن شيء وأحسن شيء يمكن أن يأخذه.. فملأ جميع الأوعية التي معه ذهباً ووضعها على ظهر حماره ثم فتح باب القصر ووجه حماره إلى جهة الطريق.!! وتبع حماره.. ووصل إلى بلده.!!

ودخل الحطاب على زوجته وأولاده وهم يبكون خوفاً عليه، فإنه لم يسبق أن غاب عنهم ليلة واحدة.. وقد خافوا أن تكون اختفطته بعض الوحوش.. أو تعرض لعصابة من اللصوص الطامعين.!

واستقبلته زوجته وأولاده بفرح وسرور وقالوا لقد تأخرت هذه المرة عن الحضور في موعدك فخفنا عليك.. وظننا مختلف الظنون.. فقص عليهم قصته مع الوحش.. ثم أنزل أكياس

الذهب من فوق ظهر الحمار ورأت الزوجة والأولاد بريق الذهب فكادوا أن يصعقوا من الفرح.!!

إنه فرح مضاعف وعنيف بعد حزن مضاعف وعنيف.! وقال الزوج لزوجته كيف نسيتطع أن نعرف مقدار هذا الذهب.؟! إننا لو عددناه لتعبنا ولم نصل إلى نتيجة إلا بعد أيام وليال طويلة.!!

فقالت له زوجته إن الرأي عندي أن نرسل إحدى البنيات إلى بيت عمها لتستعيرة منهم الصاع فنكيل الذهب به ونعرف مقدره بواسطته.!!

فوافق الزوج على هذا الرأيى وأرسل إحدى بناته إلى بيت عمها وطلبت منهم الصاع.!!

وكانت زوجة العم هذا امرأة تحب أن تدس أنفها في كل شيء.! وتريد أن تعرف كل شيء ولا سيما عن أخي زوجها وعائلته ولهذا فقد سألت الفتاة عما يريده أهلها بالصاع فقالت الفتاة إنني لا أدري.!

ولكن زوجة عمها قبل أن تعطيها الصاع جعلت في أسفله نقطاً من الدبس الخفيف الذي لا يلفت النظر.. من أجل أن يلتص بها بعض ما يكال في الصاع.!!

وذهبت الفتاة بالصاع إلى أهلها بعد أن أكدت عليها زوجة عمها أن تعيده بعد الفراغ من الكيل مباشرة.!! وجاءت الفتاة بالصاع فكالوا فيه الذهب.. وعرفوا مقداره بالأصواع.. ثم أعطوا الفتاة الصاع لتعيده إلى أهله.!!

وأعيد الصاع إلى أهله ونظرت زوجة العم إلى أسفل الصاع.. وهي تظن أنها ستجد في نقط الدبس حنطة أو شعيراً

أو ذرة.. ولكن ما أشد دهشتها عند ما وجدت في قعره خمس جنيهات ذهبية... إنها تعرف أن أخا زوجها فقير وأن معشيتهم كلها تقتير في تقتير.!

فمن أين جاء إليهم هذا الذهب.؟! إنهم بهذا سوف يكونون أرفع منهم مقاماً وأرغد منهم عيشاً وأنعم منهم بالاً .!!

وذهبت الزوجة مسرعة إلى زوجها.. وأخبرته بما توصلت إليه من أخبار.. وقالت له إن عند أخيك ثروة لا يحصيها العد وإنما تكال بالصاع.!! وأرته الخمس جنيهات الذهبية التي وجدتها في قعر الصاع.!

فدهش زوجها أيما دهشة.!! وقال لزوجته إنني لا أدري من أين جاءت أخي هذه الثروة العظيمة.؟! وسوف أذهب إلى أخي وأسأله... وسوف أعمل الأساب للحصول على مثل تلك الثروة التي حصل عليها أخي.!!

وشجعته زوجته على فكرته هذه وعلى الأسراع في تنفيذها.!!

وجاء الصباح وذهب الأخ إلى أخيه.. وسلم عليه بحفاوة ما كان يعهدها منه من قبل.!! وقال لأخيه تعالى معي إلى بيتي لأتناول وإياك فنجال قهوة.. ولنتحدث في هذه الأثناء عن بعض الشؤون التي تهمنا.!!

ووافق الأخ على كلام أخيه وذهب الأخوان.. وأوقدت النار.. وبدأ الحديث بين الأخوين... وسأل الأخ الغني أخاه عن تلك الجنيهات الذهبية التي يملكها... ومن أين جاءته.!!

فأنكر الأخر الفقير أن يكون عندهم شيء من هذا .. ولكن الأخ الغني أخرج من جيبه بعض تلك الجنيهات وقال إنه لا سبيل إلى الإنكار فقد وجدنا هذه الجنيهات في قعر الصاع الذي كلتم به الذهب.

وأمام هذه الحقيقة.! اعترف الأخ لأخيه بأنه صحيح أن لديهم ذهباً.. وأن الفقير وجده بطريق الصدفة وقال الغني لأخيه.. كيف وجدته.!؟ وأين.؟!

وقص الأخ الحطاب قصته مع الوحش على أخيه.. وكيف تعرض للخطر.. ثم كيف نجا منه.. وهرب بهذه الثروة.... فقال الأخ الغني صف لي هذه القصر.. أين يقع.. وكم المسافة التي تفصل بيننا وبينه.؟!

فقال الأخ لأخيه إنني أنصحك يا أخي بأن لا تذهب فإنني أخشى عليك فلقد نجحت أنا في الهرب من هذا الوحش بأعجوبة.. والفرصة التي أتيحت لي قد لا تتاح لك.. وإذا وقعت في يده فإن مصيرك الموت المحقق.!!

ولكن الأخ الغني أصر على أن يعرف هذا القصر وأن يقوم بمحاولة للحصول على كمية من الذهب.. مثل ما حصل أخوه.!!

ورأى الحطاب تصميم أخيه على رأيه فأخبره بمكان القصر والمسافة التي تفصل بينهم وبينه.. وأخبره بطريقة الوحش متى خروجه من القصر ومتى عودته... وأين يضع المفتاح.!!

كما أخبره بأن عليه أن يصعد إلى المقصورة هو والحمار وأن يكتم أنفاسه مع أنفاس حماره.. وإذا كلمة الوحش فإن عليه أن لا يجيبه.!! ووصف الأخ لأخيه كل دقيقة وجليلة يمكن أن تمر عليه كما وصف له طريقة التهرب من المآزق التي تمر به أو يمر بها.!

وأخذ الغني حمار أخيه.. وأخبر زوجته بأنه سوف يذهب ليأتي لها بالذهب.!! فشجعته ودفعته دفعاً إلى هذا المخاطرة الجريئة التي ليس فيها حالة وسط.. وإنما هي الحياة مع الغنى أو الموت السريع.!!

وذهب الأخ الغني في الطريق المرسوم.. وسرى طليلة الليل وعندما ظهرت تباشير الصباح رأى القصر .. وبحث عن مكان خفي حتى وجده وأخفى حماره واختفى.!!

وبقي يراقب القصر.. وباب القصر.. وبعد فترة قصيرة خرج الوحش وأغلق الباب وحفر للمفتاح في مكان خفي ودفنه..ثم بال عليه وذهب في طريقه يضرب في كبد الصحراء بحثاً عن الصيد.!

وعندما اختفى الوحش وابتعد عن القصر خرج الرجل من مكمنه وركب حماره وجاء إلى القصر واستخرج المفتاح.. وفتح الباب ودخل بحماره داخل القصر.. وتجول فيه وعرف كل شيء.!!

ورأى الرجال القتلى.! المعلقين بأرجلهم.. ورأى الرجال الأحياء الذين حذروه ونصحوه.!! وقالوا له انج بنفسك... ولكنه لم يسمع كلامهم.. ولم يتعظ بعظاتهم... وراح يتجول في

القصر... ويفتح كل غرفة ليعرف ما فيها ثم يغلقها كما وجدها.. واستمر على ذلك إلى أن وصل إلى المبطخ فوجد فيه قدوراً ملأى بأنواع الأطعمة من لحوم وغيرها فأكل منها حتى شبع... ثم ذهب وأخذ حماره عندما قرب الميل وصعد هو إياه إلى المقصورة.!!

وعندما بقي بعض الوقت أحس بباب القصر يفتح.. وبالوحش يدخل فكتم أنفساه وربط فم الحمار خوفاً من أن ينهق.!!

وجاء الوحش يتجول في القصر.. ويتفقد أموره.. ويتحسس الغرف لئلا يكون جاء إليها شخص غريب.. وانتهى من جولته تلك ولم يبق إلا المقصورة فجاء بالقرب منها ونادى بندائه المعهود:-

«ياللي في المقصورة حول تعش.! لحم خرفان ولحم وحش.!» وسمع الرجل هذا الكلام فسكت ولم يجبه..

ولكن الوشح أعاد الجملة ثانية.. ثم أعادها ثالثة بصوت شعر منه الرجل أن الوحش متأكد من وجوده.!! فنطق الرجل لا شعورياً بقوله بالهنى والعافية ! أي كل طعامك وحدك هنيئاً.!!

ولهذا عرف الوحش أن في المقصورة شخصاً غريباً فصعد إليه وقبض عليه بيد وعلى حماره باليد الأخرى وأنزلهما إلى أسفل القصر ثم ذهب بالحمار إلى غرفة البهائم فعلقه برجليه.. وترك الدم يسيل من منخريه.!! وذهب بالرجل إلى غرفة الرجال.. وعلقه أيضاً برجليه.. وجعل في أنفه مكاحل لاختزان الدم.. ثم ضغط عليه بآلات عنده لإنزال الدم إلى تلك المكاحل.!!

وهكذا لقي هذا الرجل الغني مصيرة المحتوم الذي ساقه إليه الطمع والجشع الذي لا يعرف الحدود ولا تقف في وجهه المخاوف والسدود.!!

وانتظرت الزوجة زوجها ليأتي إليها بالذهب.. ولكنه تأخر عن الموعد الذي حدده لرجوعه.! ثم جاء اليوم الثاني والثالث... ولم يعد الرجل.. وتيقن الجميع أنه قد لقي مصرعه.. وراح ضحية أطماعه.!!

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت.!!

الشاعرة حصة العنزية

يـا عـيـال يـا طـول غـربـتـكـم
نـصـف الـشـهـر مـا تـقـضـونـه
خـسـارة بـس عـنـوتـكـم
مـع راعـي الـفـرت تـتـلـونـه
جـيـتـوا وهـي مـا تحرتـكـم
تـرجـي الـفـوايـد تجيـبـونـه
حـصـيـلـكـم بـس كـروتـكـم
والـزود للشـوق صـابـونـة.!

عن كتاب «شاعرات من البادية»

أبو عباة في الهند:

يقابل ابن بسام وهو لا يعرفه

كان أبو عباة رحمة الله رجل ملهم بالحجة وسليط اللسان لا يكاد أحد ينجو من لسانه.. وهو إذا تكلم في حق شخص وهو غاضب عليه وسمه بميسم من العيوب التي لا تفارقه.!!

وسافر أبو عباة في سنة من السنوات إلى الهند ليسترفد من تجارها أهل نجد.. وكان ابن بسام من أكبر تجار نجد في الهند وهو يصدر إلى نجد أنواعاً من الرز مكتوباً عليها وارد البسام.. ولهذا فقد صارت له شهرة عظيمة في جميع نواحي نجد.. كما أن له تجارة كبيرة يتعاطى فيها داخل الهند وخارجه..

ووصل أبو عباة إلى المدينة التي يسكنها ابن بسام وسأل أبو عباة عن مقر التاجر حتى عرفه.. وعندما افتتح البسام متجره وجلس على كرسيه بين موظفينه وزبائنه الذين يترددون عليه... ويشترون منه ويبيعون عليه... دخل أبو عباة وسلم عليه فصافحه التاجر... وحياه... تحية فاترة لأنه لا يعرفه ولأن

هيئته رثه وجسمه قميء.

وجلس أبو عباة مع الجالسين وطلب ابن بسام فنجال شاي للوافد الجديد الذي لا يعرفه ثم انصرف لأعماله وتجارته وأخذه وعطائه.. وشرب ابو عباة الفنجال... وانتظر أن يكلمه ابن بسام.. أو يسأله عن اسمه وبلده.. ولكن ابن بسام انشغل بتجارته وبيعه وشرائه.. وطال جلوس أبو عباة دون أن يلتفت إليه ابن بسام... أو يسأل عن اسمه أو حاجته.!!

وعندما يئس أبو عباة من الالتفات إليه قام على رجليه ومشى حتى وقف على رأس ابن بسام.. وقال له هل تدري ماذا نصنع في نجد بالأكياس الفارغة من الرز والمكتوب عليها ابن بسام.؟!

فسكت ابن بسام لأن الأمر كان مفاجأة بالنسبة إليه.. كما أنه لم يتعود يقف إنسان في وجهه ثم يكلمه بهذه الجفوة والخشونة.!

وواصل أبو عباة حديثه قائلاً:-

إن تلك الأكياس التي مكتوب عليها اسمك نستعملها في نجد لحمل السماد من الكنف.!! ونفرشها تحت الدواب لتروث عليها البهائم.!!

قال أبو عباة هذا الكلام ثم استدار على عقبيه وخرج. ونظر إليه ابن بسام وهو مشدوه لا يحير جواباً... ونظر من حول ابن بسام إليه.. وهم لا يقلون عنه دهشة وعجباً.

وكتمها ابن بسام في نفسه.. وتجاهل ما حدث.. إلا أن ما حدث كان مصدر قلق وهواجس تحوك في النفس... وسأل ابن بسام نفسه هل بيني وبين أحد عداوة أو بغضاً.؟! هل جنيت على أحد... فأنا لا أدري.؟! وتجيبه نفسه بالنفي عما يدري.. أما ما لا يدري فهو علم غيب لا يعلمه إلا الله.

ويسكت ابن بسام على هذه الإهانة.. ويدعوه أحد التجار من أهل نجد لتناول القهوة والشاي ذات يوم.. ويدخل ابن بسام إلى بيت الداعي فيرى المجلس ملآناً.. ومن بين الجالسين فيه ذلك الشخص الذي أهانه وسخر منه وسخرمن اسمه وجعله أعجوبة للآخرين.!

وجلس ابن بسام وسأل من بجواره عن الشخص الغريب من هو ومن أي بلد فأخبره جاره باسم الرجل وبلده.. فلم يكن من ابن بسام إلا أن قام بوقاره وهيبته.. وسلم على أبو عباة واعتذر منه.. وقال:

لقد جئتني في مكان عملي وأنا مشغول كما أنني لا أعرفك وأنت لم تعرفني بنفسك .. ودعا ابن بسام أبو عباة لتناول القهوة في داره فلبى الدعوة وتناول القهوة في بيت ابن بسام.. وأكرمه ابن بسام غاية الإكرام ووعده بكل خير.!!

وجمع ابن بسام تجار نجد وقص عليهم قصته مع أبو عباة وقال إن من الخير لنا أن نجمع له مبلغاً من المال.. ثم ندعوه ونعطيه إياه لعله يرحل عنا سريعاً بسلام.!!

وجمع التجار جملة من المال ودعوا أبو عباة فأعطوه ذلك المال

وكان مبلغاً محترماً.!! فأخذه وكر راجعاً إلى نجد.. ليأكل من هذا المبلغ حتى ينفد.. ثم يسافر مرة أخرى لكسب غيره.. وذلك كشأن السواد الأعظم من الناس الذين لا يهمهم إلا حاضرهم.!! أما مستقبلهم فهو متروك للأقدار... تصرفه كيف تشاء.!



سبحونـــــــة:

٢١- الفتاة اليتيمة مع المدرّس الساحر

جاء الأطفال إلى جدتهم متأخرين.. فوجدوها قلقة عليهم وقد خامرتها بعض الشكوك بشأنهم خوفاً من أن يكون حدث لهم أو لأحدهم حادث.! أو أصيب منهم شخص بعارض من عوارض الكون.!

وقد فرحت الجدة فرحاً لا مزيد عليه عندما تكامل لديها الأطفال والكل منهم بكامل قوته وحيويته ونشاطه.!!

وقالت الجدة إنني سوف أقص عليكم سبحونة الفتاة اليتيمة مع المدرس الساحر.. فوافق الجميع وشرعت الجدة في السبحونة قائلة:

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اللي متزوج هاك المرأة وقد رزق منها ابنة لطيفة مؤدبة مهذبة.!! وقد أراد الله أن يختار الوالد إلى جواره.. ثم مرضت الأم حزناً عليه فتوفيت أيضاً.. وبقيت الفتاة يتيمة حزينة.. مكسورة الخاطر..

ولم يكن لها من يكفلها ويتولى شؤونها بعد موت أبويها غير

جدتها.! فأخذتها الجدة عندها واهتمت بأمورها ووفرت لها جميع ما تحتاجه في حياتها اليومية من مأكل وملبس ومشرب.. وأحبت كل واحدة منهما الثانية وأنست بها.. وشعرت كل واحدة منهما أنها لا تستطيع أن تعيش بدون الأخرى.!!

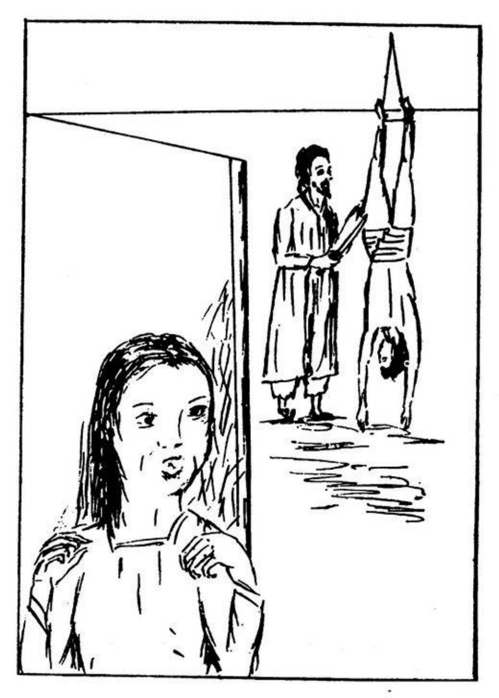
وفي سنة من السنوات قدم إلى مدينتهم رجل غريب وفتح مدرسة لتعليم الأطفال من فتيان وفيتات.. وجعل المدرسة في طرف من أطراف المدينة.. وسكن في أعلى المبنى وجعل التدريس في الطابق الأرضي.!!

ثم بث في المدينة دعاية واسعة لهذه المدرسة وكثرة فوائدها وضآلة تكاليفها.. فأما بعض الناس فقد توقفوا عن إدخال أولادهم في هذه المدرسة لأنهم لا يعرفون شيئاً عن هذا المدرس الغريب.. ومن الخطأ أن يتسرع المرء في مثل هذه الأمور.!!

أما البعض الآخر.. فقد سارع إلى إدخال أولاده في هذه المدرسة. وقال إنني لا بد أن أنتهز الفرصة وأن استغل الوقت وأن أراقب اولادي وأرى ما يدرسون وأعرف ماذا يتعلمون، فإذا رأيت أمراً يخل بالعقيدة أوالأخلاق فإنني سوف أبادر بإخراج ابني من هذه المدرسة.

وكانت جدة الفتاة اليتيمة التي نسينا أن نذكر سابقاً أن اسمها فاطمة قد كانت من الفريق الثاني الذي أدخل أولاده في هذه المدرسة منذ أن فتحت أبوابها.!!

ودخلت الفتاة فاطمة المدرسة وكانت مثال التلميذة المؤدبة الذكية التي تؤدي واجبها على أكمل وجه كما أنها لا تسبب أي مشكلة في المدرسة.. وقد أحبت الفتاة مدرستها وأحبت مدرسها... وكانت ترى في رمز العقل والعلم والسلوك النزيه.!!



الفتاة فاطمة ترى مدرسها الساحر يعلق إنساناً من قديمه
ويسلخ جلده فتفر وهي في غاية الخوف والقلق.!!

واستمرت فاطمة في مدرستها جادة محبه لزميلاتها.. محبوبة من زميلاتها وكانت دروسها هي شغلها الشاغل في النهار .. أما في الليل فإنها من شدة حبها لمدرستها كثيراً ما تستيقظ في منتصف الليل وهي فزعة مرعوبة.. خوفاً من أن يكون طال نومها.. وتأخرت عن الحضور إلى مدرستها في الموعد المحدد.!!

وفي ذات ليلة نامت على عادتها.. وفي آخر الليل استيقظت من نومها فرأت نور القمر في منتصف الشهر فظنت نفسها في الصباح.. فلم يكن منها إلا أن غسلت وجهها وهي مسرعة وأخذت شنطة دروسها.. ثم سارت إلى مدرستها.!!

وقد رأت الشوارع خالية.. ولكنها قالت في نفسها لعل خلوها هذه الساعة من باب الصدفة ووصلت إلى بيت مدرسها.. ووجدت الباب غير مغلق فدفعته ودخلت في الدهليز.!!

ثم نظرت أمامها داخل البيت.. فرأت ما يهول ويفزع.. رأت مدرسها قد علق إنساناً من رجليه.. وهو يسلخ جلده.! وعندما ملأت عينيها من هذا المنظر المرعب خافت على نفسها وتأخرت إلى الوراء وهي تجر الباب معها حتى صارت خارج الدار وعاد الباب إلى ما كان عليه.!!

ثم عادت إلى بيت جدتها مسرعة.. ورجلاها تصطكان.. وقلبها يدق دقات سريعة ... ومزاجها متقزز.!!

ورآها المدرس عند دخولها إلى بيته ورآها عند خروجها... وعرفها تمام المعرفة.. وخاف أن تكشف سره وأن تفضح أمره بأن تتحدث لأحد بما رأت .. فيشيع الحديث... ويفتضح

السر... وقد يكون في هذا هلاكه وتشريده من هذه المدينة التي استقر فيها ووجد فيها مجالاً واسعاً للعيش والاستقرار والهدوء.!!

ولم تحضر فاطمة إلى المدرسة في ذلك اليوم فقد لازمت الفراش وادعت أنها مريضة.. وفعلاً فهي مريضة.. فإن رجليها لا تكادان تحملانها.. ولهذا فقد بقيت ملازمة للفراش.. وجدتها تروح وتجيء إليها وتسألها عن أسباب هذا المرض المفاجيء فلا تجيبها الفتاة بشيء.!!

وأعطت الجدة فتاتها من بعض العقاقير التي عندها.. ولكنه لم تفدها بشيء.!!

وجاءت لها بقاريء يقرأ عليها آيات من القرآن فلعل الذي بها مس من الجان.. ولكن الفتاة بقيت على حالها.. ولم تشعر بأي تحسن.!

وتأخرت فاطمة عن المدرسة ثلاثة أيام على خلاف عادتها وفقدها المدرس وخاف من افتضاح أمره.. وذهب إلى جدة الفتاة ودق عليها الباب.. وسلم عليها فردت عليه التحية بأحسن منها ورحبت به وسألها عن فاطمة فقالت:

إن صحتها متدهورة... وأنها لا تدري ما هي أسباب هذا التدهور المفاجيء.. وقد جئت بمن يقرأ عليها.. كما أنني أعطيتها بعض الأدوية إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث لها تحسناً في صحتها.!

فقال المدرس اسمحي لي أن أقرأ عليها بعض آيات من القرآن فلعل الله يشفيها بسببها.! فشكرته الجدة على اهتمامه بفاطمة.. وسعيه لشفائها.!! وفتحت له الباب وذهبت مسرعة

إلى فاطمة فأخبرتها بقدوم المدرس وسؤاله عنها.. واهتمامه بشأنها... وأنه يريد أن يقرأ عليها بعض آيات من القرآن الكريم... فلعل الله يشفيها بسببها.!! وخافت الفتاة عندما سمعت باسم المدرس... وداخلها رعب شديد.. إلا أنها كتمته عن جدتها... وتظاهرت بأنه لا مانع لديها من دخوله عندها.!!

وجاء المدرس ودخل على الفتاة.. وصار يقرأ على فاطمة بعض آيات من القرآن وينفث عليها من ريقه.!! وفي هذه الأثناء قامت الجدة وذهبت إلى المطبخ لتعد ابريقاً من الشاي لتقديمه إلى المدرس.!

وانتهز المدرس هذه الفرصة.. فقال لفاطمة اسمعي.!! لقد رأيتك حينما جئت إلى المدرسة ليلاً.. وشاهدت ما كنت فيه، فإياك.!! إياك.!! ان تخبري أحداً بما رأيت فإنك إن فعلت ذلك فسوف تعرضين حياتك للخطر.!!

فوعدته الفتاة بأنها سوف تكتم السر ولن تخبر أي أحد كائناً من كان.. وأكد عليها كتمان السر وأكدت له أنها ستجعله نسياً منسياً.! وجاءت الجدة بالشاي فشرب منه المدرس حتى اكتفى ثم استأذن وخرج.!!

وبقيت الفتاة على سريرها لا تكاد تتحرك منه.. وألحت عليها جدتها بأن تقوم وتقعد وأن لا تستسلم للمرض ولا للأوهام.!

فصارت الفتاة تقوم وتتحرك في البيت حركة بسيطة.. وجدتها تسألها عن أسباب مرضها المفاجيء فلا تخبرها بخبر تطمئن إليه.! وبعد فترة بدأت فاطمة تهدأ نفسها.. وتعود إليها

صحتها.!!

وقالت لها جدتها اذهبي إلى المدرسة فقد تخلفت أياماً كثيرة فاعتذرت الفتاة بأن صحتها لا تزال ضعيفة وأنها تخشى إذا أرهقت نفسها أن يعود إليها المرض.

وسكتت الجدة يوماً أو يومين. ثم عاودت الإلحاح على فاطمة بالذهاب إلى المدرسة فاعتذرت فاطمة بأنها لا تستطيع وسألتها الجدة عن السبب.؟ فإن انصرافها عن المدرسة وعزوفها عن الدراسة أمر مفاجيء يلفت النظر.!

ولكن الفتاة قالت مبدأ الأمر إنه ليس هناك سبب ولكن الجدة تابعت إلحاحها.. مرة بعد مرة.. حتى وجدت الفتاة نفسها في مأزق حرج.. ولا مفر من أن تخبر جدتها.. بالخبر.! ولكنها أرادت أن تتأكد من كتمان جدتها للخبر.. لأن في إذاعته هلاكها.!

وقالت لجدتها إن لتخلفي عن المدرسة سبباً. ولكن في البوح به هلاكي .. فهل تعدينني بكتمانه.؟! فقالت الجدة إنني أعدك بذلك.. فأخبرتها فاطمة بخبر المدرس.. وكيف ذهبت إليه وماذا رأت.. ثم ماذا قال لها عندما جاء ليقرأ عليها.!

واقتنعت الجدة بأسباب التخلف عن المدرسة ... كما وعدتها بكتمان الخبر.. بحيث لا يطلع عليه أحد كائناً من كان.!!

وجاء الليل.. ولم تشعر الفتاة فاطمة إلا بيد قوية تنزعها من فراشها في منتصف الليل.. ثم تطير بها في أجواء السماء وهي لا تستطيع الامتناع.. كما أنها لا تستطيع أن تتكلم بكلمة

واحدة.!

ونظرت إلى هذا المخلوق الذي يطير بها فإذا هو مدرسها.. الذي أنبها على إذاعة الخبر رغم التأكيدات والتهديدات التي وجهها المدرس لتلميذته.!!

ولم يكن هناك مجال للفتاة لتعتذر فقد قضي الأمر ونفذ القضاء.. ووقع المحذورة ولم يبق إلا تحمل النتائج وترك الرياح تجري في اتجاهاتها والاتجاه حسب اتجاه هذه الرياح فإما أن تصل بالمرء إلى ساحل السلامة فينجو.!! أو تقذف به إلى الأعماق.!! فلا يزال تدفعه موجة وتسلمه إلى موجة أخرى حتى يلقى نهايته المحتومة.!!

واستسلمت الفتاة للأقدار.. وتركتها تجري في أعنتها وعندما توسط المدرس بالفتاة في مجهل من مجاهل الصحراء نزل بها. وأنزلها بالقرب من بئر ماء وتركها عنده ثم كر راجعاً إلى المدينة التي جاء منها.!!

وبقيت الفتاة عند هذه البئر لعل أحداً من المسافرين يرد عليها فيحملها معه إلى أي مدينة تستطيع العيش فيها.. وكانت فاطمة قد قاربت سن النضوج وهي في غاية الرقة والجمال.. إلا أن الفقر واليتم جعل هذا الجمال كالذهب في منجمه.. يحتاج إلى من يبحث عنه ثم يصفيه ثم ثم.... إلى آخره

وبينما كانت فاطمة في أفكارها وهواجسها.. وإذا برجلين مقبلين كل منهما على حصان.. وعندما رأوا سواد الفتاة من بعيد قال أحدهما للآخر فلنستبق إلى البئر وأينا سبق تكون تلك الكومة السوداء من نصيبه.!

وتسابق الفارسان.. فوصلها أحدهما قبل الآخر... وكان الذي وصل إليها شاب غني.. يستورد تجارته من العراق ويبيعها في مختلف بلاد نجد.. وأخذ الشاب هذه الفتاة وألبسها عباءته.. وأركبها على جواده وسار بها.!!

وصار يسألها وهما سائران عن اسمها وعائلتها وبلدها.. وكيف جاءت إلى هذه الصحراء النائية.؟! وكانت الفتاة تجيبه على كل سؤال يوجه إليها.. بأجوبة تخترعها من خيالها.. لأنها تخشى أن تخبره بأفعال هذا المدرس الساحر فيكون في ذلك هلاكها.!! أو شقاؤها من جديد.!!

ووصل التاجر إلى بلده .. ووصلت أحمال بضاعته بعد وصوله ببضعة أيام.. وكان الشاب التاجر لم يتزوج بعد.! وليس لديه في بيته إلا والدته وأخته فجعل هذه الفتاة الغريبة معهن.. فعاشت بينهن عيشة هادئة رضية.!!

وسأل الشاب والدته وأخته عن الفتاة وهل هي تصلح لتكون زوجة له.؟! فأخذت كل واحدة من الوالدة والأخت تثني على هذه الفتاة وتطرى جمالها ورجاحه عقلها وحسن تدبيرها.! الأمر الذي جعل الشاب يعزم على الزواج منها إذا وافقت هي على ذلك.!

وجاء الشاب إلى الفتاة ذات يوم وعرض عليها أن يتزوج بها فلم تظهر ممانعة.!!

فلم يكن من الشاب بعد هذا إلا أن أحضر الشهود والقاضي وعقد الزواج برضا الزوجين وولاية القاضي وشهادة الشهود.!!

ودخل الشاب على زوجته فأعجب بها أيما إعجاب...

ورأى منها .. وفيها أكثر مما سمع عنها.!!

وعاش الشاب والفتاة فاطمة في غاية السرور والسعادة وبعد أشهر معدودات ظهرت بوادر الحمل على فاطمة ففرح الشاب وفرحت فاطمة لأن الأولاد يقوون رابطة الزوج بزوجته.. ورابطة الزوجة بزوجها.!!

ثم أراد الشاب أن يسافر إلى البصرة ليأتي ببضاعة جديدة يحصل منها على ربح جديد.!

وأعد عدته للسفر.. وعندما تكاملت أدوات السفر ودع والدته وأخته وزوجته.. كما أنه أوصى والدته وأخته بأن يحرصا على زوجته.. وأن يحافظا عليها أكثر مما يحافظن على أنفسهن.!

وأبدت كل واحدة منهن استعدادها لما طلب.. لأنهن كذلك يحببن فاطمة مثل ما يحبها.. وهن معجبات بها مثل ما هو معجب بها.!

ولذلك فإن زوج فاطمة عندما سافر.. صارت والدته واخته يحرصن كل الحرص على زوجته فيأخذن خاطرها في النهار وتنام بينهن في الليل.. وتعيش معهن كأنها واحدة منهن.!!

وانتهت مدة الحمل وولدت فاطمة غلاماً جميلاً متكامل التكوين وفرحت فاطمة بهذا المولود الذكر كما فرحت أم زوجها وأخته.. ونامت فاطمة قريرة العين منشرحة الصدر في الليلة الثانية من ولادتها. وطفلها بجانبها.!!

ولم تشعر فاطمة في الليل إلا بشخص غريب يأتي إليها ويفقدها شعورها.. ثم يلطخ فمها ويديها بدم أرنب كان اصطادها من الصحراء.. ثم يعيدها إلى وعيها ثم يأخذ ولدها

ويطير به إلى حيث لا تدري.!!

واستيقظت أم الرجل وأخته ونظرن إلى فاطمة فرأين الدم في فمها وعلى يديها.!! وبحثن عن الولد الذي نمن وهو بجانب أمه فلم يرينه.. وسألن أمه عنه فلم تتكلم.!!

واستنتجت الأم والأخت نتيجة واحدة لا يتحمل المقام غيرها.. وهي أن فاطمة أكلت ولدها.!! وإذا كانت أكلت ولدها فليست هي أول والدة تأكل أولادها فالضباب يأكلن أولادهن والقطط تأكل أولادها.. والجراد يأكل بعضه بعضاً.!!

وسكتت الأم والأخت ولم يردن أن يناقشن الموضوع خوفاً من أن يحدث أمر يغضب فاطمة وهن لا يردن إغضابها فالأمر متعلق بها وبزوجها.. وشأن الولد المأكول يخصهما ويمسهما أكثر من أي واحدة منهن.!!

ولذلك فقد تجاهلت الأم والأخت هذا الموضوع... حتى كأنه لم يحدث وذلك انتظاراً لقدوم الزوج الذي له مطلق الحرية في أن يناقش الموضوع أو يتجاهله من جانبه كما تجاهلنه.!!

ومشت الأمور على منوالها السابق حتى قدم الزوج.!! فخلت به أمه وأخبرته بالمولود الجديد.. وأخبرته بكل ما جرى... وقالت تعليقاً على ما حدث إنني أخشى أن تكون زوجتك من أصل متوحش أو أنها ساحرة.!! أو أنها مسحورة.!!

وكان الرجل يحب زوجته حباً شديداً والحب يغطي العيوب حتى لو كانت مثل الجبال.!! ولهذا فقد تركها زوجها على حالتها الأولى ولم يسألها عن المولود بل ترك لها مطلق الحرية في أن تفاتحه في الموضوع أو أن تتركه نسياً منسيا.! والذي حدث أن فاطمة

تركت الموضوع نسياً منسياً.!!

واستمرت العلاقة بين الزوج وزوجته على عادتها... وحملت فاطمة مرة ثانية.. وجاء موعد سفر الزوج إلى البصرة للأخذ والعطاء والبيع والشراء..ورحل إلى البصرة وأوصى والدته وأخته بزوجته وحرصهم عليها.. وقال إن ما حدث سابقاً أمر لا يقلل من قيمتها ولا يجعلنا نشك فيها.. فالذي حدث له سر حتى الآن لم نطلع عليه.! فلنتمهل.!!

وأبدت الوالدة والأخت استعدادهما بأن يعاملاها بغاية الحشمة والإكرام وأن يحلاها المنزلة الرفيعة إكراماً لولدهما ورعاية لخاطره.!

وسافر الرجل فصارت الوالدة والأخت ينامان في غرفة واحدة وفاطمة تنام بينهم في الليل أما في النهار فإن هؤلاء النسوة الثلاث لا يكدن يفترقن.!!

وجاء موعد الوضع.. فوضعت فاطمة مولوداً ذكراً... أبيض جميلاً.. وفرحت به والدته.. وفرحت به جدته.. وفرحت به عمته وبقي بجوار أمه في الليل على العادة.!!

وجاء الصباح .. وإذا بالغلام الثاني غير موجود وإذا بالأم قد لطخ فمها ويديها بالدماء.. وإذا المدرس الساحر قد جاء بأرنب وذبحها وأخذ دمها ولطخ به فاطمة.. ثم أخذ ولدها وطار به إلى حيث لا يدري أحد.!!

ونظرت الجدة والعمة.. فرأتا هذه المرة مثلما رأتا في المرة السابقة ولم يداخلهما شك في أن هذه الزوجة تأكل أولادها ولكن كيف يستطيعون أن يقنعوا ولدهم.؟! إنها مهمة صعبة.. لأن

ولدهم يحب فاطمة حباً جماً.. ولا يريد أن يسمع فيها أي كلام يحط من قيمتها.. أو يقدح في سلوكها.!!

وجاء الزوج من سفره.. وخلت به والدته فأخبرته بما حدث وقالت معلقة على ما جرى: - إنني يا ولدي أخشى أن تكون هذه المرأة من آكلات لحوم البشر.!! فقد حصلت في المرة الأولى وحصلت في المرة الثانية.!! ولقد صرنا نخشى على أنفسنا من هذه المرأة.. ويداخلنا الرعب والخوف من قربها.!

فقال لها ولدها إنني أعرف المرأة تمام المعرفة.. وأعرف أخلاقها وطباعها وهي لا يمكن أن تأكل أولادها ولا غير أولادها.. ولكن في الأمر سراً لم يتضح بعد.!! وليس أمامنا إلا الصبر حتى ينجلي الموقف.. وتظهر الحقيقة.!!

وسكتت الأم على مضض.. لأنها تعرف أن ولدها إذا كان مقتنعاً بأمر فإنه لا سبيل إلى صرفه عنه مهما كثرت المحاولات.!

وسارت الأمور بين أفراد الأسرة على عادتها.. والرجل يعامل زوجته وكأن شيئاً لم يكن.. ولا يفاتحها في موضوع الأطفال.. كما أنها لا تتطرق إلى الحديث عن هؤلاء الأولاد معه.!!

وحملت المرأة للمرة الثالثة .. وسافر الرجل على عادته إلى البصرة وحان موعد الوضع..وولدت فاطمة ابنة اثنى وفرحت بها جدتها وعمتها وأمها.. وقالوا في أنفسهن لعل ولادة هذه الأنثى تكون نقطة تحول بالنسبة إلى ما يجري للأولاد السابقين.!!.!

وجاء الليل.. ولم تشعر فاطمة إلا بالمدرس الساحر في منتصف الليل. يأتي إليها ويلطخ فمها ويديها بالدم ويأخذ ابنتها

من بين يديها.. ثم يحاول أن يطير.. ولكنه في هذه المرة قال لفاطمة.. إذا كنت تريدين الخلاص مني ومن أخذي لأولادك فاطلبي من زوجك أن يشتري لك «لعبة الصبر» ثم بعد هذا الكلمة طار بابنتها وقد وعت كلامه.!!

واستيقظت الأسرة ولم يجدوا المولودة الجديدة.. كما أنهم رأوا فم أمها ويديها ملطخة بالدماء.. وشاهدوا المنظر المعتاد وسكتوا... إنه منظر غير مفاجيء فقد رأوا مثله مرتين سابقين.!!

وغسلت فاطمة فمها ويديها.. وسكتت على مصيبتها.. وكتمت حزنها.. وصبرت على وضعها المؤلم لأنه لا مجال لها إلا الصبر.!!

وجاء الزوج بتجارته.. وخلت به أمه وأخبرته بما حدث ولم تقل في حق زوجته أي شيء لأنها تعرف مقدماً أن كلامها لن يتكون له أي تأثير.!!

وعاش الرجل مع زوجته وكأن شيئاً لم يكن.. وجاء موعد سفره إلى البصرة لتجارته وبيعه وشرائه.. وتم الاعداد للسفر.. وسأل التاجر كل فرد من أفراد الأسرة عن الهدية التي يريدها من البصرة.!! وطلب كل واحد ما يريده من أشياء.

أما الزوجة فاطمة فإن زوجها عندما سألها عن الهدية التي ترغب في شراءها من البصرة قالت له إنني أريد أن تحضر لي «لعيبة الصبر» وسألها عن «لعيبة الصبر هذه كيف تكون فقالت فاطمة إنني لا أعرف إلا اسمها أما حقيقتها.. أما حجمها.. أما أوصافها.. فإنني لا أعرف عن ذلك شيئاً.!!

وسافر الرجل ووصل إلى البصرة.. وسأل أول ما سأل عن «لعيبة الصبر».. وكان تجار البصرة كلهم يعرفونه كما أنه يعرفهم.. وقد سبق أن باع معهم واشترى وسأل عدة تجار منهم فلم يجد عند أحد منهم جواباً شافياً.!!

وذهب إلى المسجد ذات يوم لأداء إحدى الصلوات وكان بجانبه شيخ تظهر عليه آثار النعمة وآثار الوقار إلا أنه لا يعرفه... وسلم زوج فاطمة على هذا الشيخ وأخبره بأنه رجل غريب... قدم إلى البصرة لمهمة خاصة ولكنه لم يجد من يساعده عليها.!!

وسأله الشيخ عن مهمته.. فأخبره أنه جاء لشراء حاجة تسمى «لعيبة الصبر» فقال الشيخ إن لعيبة الصبر هذه لا توجد إلا عند فلان بن فلان.. وهو في المكان الفلاني.. والذي أعرفه عن هذه اللعبة أنها فريدة في نوعها... وأنها قد طلبت منه بثمن باهض... ولكنه رفض بيعها لأنه يريد فيها ثمناً أكثر.!!

فشكر التاجر هذا الشيخ على هذه المعلومات القيمة التي زوده بها.. ثم ودعه وخرج من المسجد.. وذهب حالاً إلى مكان الشخص الذي لديه هذه اللعبة.. وسأل عنه حتى اهتدى إليه.!!

وسلم التاجر على الرجل.. وقال له لقد ذكر لي أن عندك حاجة اسمها «لعيبة الصبر» وقد جئت لشرائها.. فقال الرجل نعم أنها عندي.. وقد دفع إلي فيها مائة ألف ريال وأنا أريد أن يكون ثمنها مائة وخمسين ألفاً.!!

فقال التاجر أن هذا المبلغ باهظ بالنسبة إلي.. ولكنني أدفع لك فيها مائة وعشرين ألفاً.. فأصر صاحب اللعبة على طلبه..

فلم يكن من التاجر زوج فاطمة إلا أن اشتراها بحسب ما قال صاحبها.. ودفع له العربون .. وذهب فجمع جميع ما لديه من مال فلم يف بقيمة هذه اللعبة.!!

فذهب إلى بعض التجار الذي يعرفهم ويعرفونه ويثقون به ويثق بهم وطلب منه تكملة هذا المبلغ .. فرحب التاجر به وأجابه إلى طلبه.. وأعطاه المبلغ الذي أراده.!!

وأخذ التاجر المال.. وذهب إلى صاحب اللعبة فدفع إليه المبلغ المطلوب نقداً وعداً.. وجاء الرجل بلعبة الصبر فدفعها إلى التاجر.. فوجدها بيضاء في حجم بيضة الدجاج فلفها في خرقة نظيفة... ووضعها في أحد جيوبه.!! وخرج.. وأعد عدته للعودة إلى بلده وأهله.!!

وسار في طريقه حتى وصل .. ودهش أهله وأهل بلده.! إنه في هذه المرة لم يطل الغيبة.. كما أنه لم يحضر معه بضاعة كما هي عادته.!!

وسئل لماذا لم يأت ببضاعة كما هي العادة.. فأجاب بأنه صادف في طريقه جماعة من اللصوص وقطاع الطرق الذين أغاروا عليه.. وأخذوا جميع ما معه.. ولم يتركوا إلا راحلته وثيابه.!!

فهنأوه بالسلامة.. وأن المال سوف يعود.. ما دام قد سلم العود.!!

وجاء التاجر إلى زوجته فاطمة فأعطاها لعبة الصبر فأخذتها منه شاكرة .!! وانفتح أمامها باب الأمل في الخلاص من هذا المدرس الساحر..

وأخذت فاطمة هذه اللعبة وأخفتها عندها في مكان أمين..

وانتظرت حتى جاء الليل فخلت بنفسها وصارت تلعب بهذه اللعبة وتداعبها وتناغيها وتقذفها في الهواء ثم تتلقفها قبل أن تقع على الأرض.!

وتقول مخاطبة هذه اللعبة في هذه الأثناء:-

«يا لعيبة الصبر اصبري صبري ما أحد صبر صبري» واستمرت على هذه الطريقة حتى تعبت ونامت.. وكان زوجها قد راقبها من حيث لا تشعر ورأى ما صنعته وعلم يقيناً أن في الأمر سراً قد قرب انكشافها.!!

ونامت الأسرة تلك الليلة فرحة بقدوم عائلها.!! وجاءت تباشير الصباح فقام كل فرد من أفراد الأسرة والفرحة تملأ نفسه واستغرق كل فرد من أفرادها في أعماله التي يمارسها عادة.!!

وجاءت الليلة الثانية.. فذهبت فاطمة حين هدأت الأسرة وأوى كل فرد منها إلى فراشه... ذهبت إلى غرفتها الخاصة وأخرجت اللعبة... وصنعت بها في هذه الليلة مثل ما صنعت بها في الليلة الماضية.!!

وكان ذلك بمرأى من زوجها بحيث كان يراها ويسمعها وهي لا تراه.!!

ونامت فاطمة بعد أن تعبت من لعبتها وجاء زوجها من سهرته فنام بجانبها.!!

وجاءت الليلة الثالثة فصنعت فاطمة فيها مثل ما صنعت في سابقاتها.. غير أنها في هذه الليلة أحست وهي تلعب بلعبتها إحساساً داخلياً بأن هاك شيئاً سيحدث في هذه الليلة.

ونامت الفتاة وجاء زوجها فنام بجانبها واستغرق جميع أفراد

الأسرة في نوم عميق.! وجاء الصباح ..واستيقظت فاطمة على خلاف عادتها مبكرة.. وفتحت عينيها فإذا هي ترى أطفالها أمامها في الغرفة نائمين على فراش واحد.. الولد الأول فالثاني ثم المولودة الجديدة الأنثى.!!

وقامت فاطمة من فراشها مهرولة إلى فراش أولادها والغرفة بل الدنيا كلها لا تكاد تسعها من عظم فرحتها.. وكشفت عن وجه الأول فقبلته ثم عن وجه الثاني كذلك .. ثم أخذت المولودة الجديدة ووضعتها في حجرها وقبلتها.. ثم هزتها هزاً خفيفاً رفيقاً لتصحو من نومها.!!

فصحت الطفلة وألقمتها أمها حلمة ثديها وضمتها إلى أحشائها.. وعاشت في مشاعر غامرة من السعادة والسرور الذي لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنه.!!

ومحت ساعة لقائها بأولادها جميع ما صادفته في حياتها من متاعب وهموم لا حد لها.!! حتى أن من يراها يقول أن فاطمة لم يمر بها في حياتها ساعة حزن.!! ولم تتعرض في حياتها لأحداث سيئة مثيرة.!!

واستيقظ بعد فترة..زوج فاطمة وكان في العادة يستيقظ قبلها.. ولكنها في هذا اليوم استيقظت قبله ونظر يتلمسها بجانبه فلم يجدها.. وألقى بنظره في الغرفة فرآها هي وأولادها.!! وكذب نفسه باديء ذي بدء وفرك عينيه وقال لنفسه لعلي لا أزال نائماً وأن ما أراه حلماً وأماني كانت مكبوتة في حالة يقظتي فأطلق النوم عنانها...

ولكنه بعد فرك عينيه تيقن أنه يقظان.. وقام من فراشه مسرعاً والفرحة تملأ نفسه ورأى زوجته مشرقة الوجه ضاحكة الأسارير ملأى بالبهجة والحبور.!!

ولما وقف على رأس زوجته قبلها وقدم لها التهاني برجوع أولادها إلى فشكرته فاطمة على تهنئته برجوع الأولاد وهي بشرى ونعمة لا تخصها وحدها.. وإنما يشاركه فيها جميع أعضاء الأسرة.!!

إلا أن الأم التي هي فاطمة يخصها النصيب الأوفر من هذه الفرحة.. ثم تتدرج إلى الأب فالجدة.. فالأخت.!!

وذهب التاجر مسرعاً.. والبيت لا يكاد يسعه من السرور فأيقظ أمه وأخته على خلاف العادة فقامتا فزعتين خوفاً من أن يكون حدث ما ليس في الحسبان.. ولكن الرجل زف اليهن الخبر الجديد.! برجوع الأولاد سالمين إلى أمهم.!!

فسمعن هذا الكلام وهن بين المصدق والمكذب وقلن في أنفسهن لعله لا يزال نائماً وهو يحلم بأولاده.!! ولكن الرجل لم يترك لهن مجالاً للتردد والتفكير فأخذ كل واحدة بيدها.. وذهب بهن إلى فاطمة وهي في غرفتها وبين أولادها.!!

فرأين بأعينهن .. وأقبلن على الأم يهنئنها.. وأقبلن على الأولاد يقبلنهم.. وانتشر الفرح في البيت.. في جميع من بالبيت حتى كاد البيت على سعته أن يضيق بهم.. وأيقظت الأم أولادها الذكور.. وإذا كل واحد منهما يمشي على قدميه فقد بلغ الأول سنتين وأشهراً وبلغ الثاني سنة وأشهراً.. أما المولودة

الجديدة فليس لها من العمر إلا بضعة شهور.!!

وانتهت سويعات اللقاء المفاجيء وبدأت التساؤلات من كل فرد من أفراد الأسرة ما عدى فاطمة فإنها تعرف السر ولكنها لا تقوى على أن تبوح به.!!

بدأت التساؤالات كما قلنا كيف ذهب الأولاد.؟! وإلى أين ذهبوا.؟! وكيف عادوا وما هي اسباب أخذهم وما هي أسباب عودتهم.؟!!

ولكن الأمر بقي سراً مغلقاً.!! وترددت هذه التساؤلات فترة من الزمن.!! ولكنها حين لم تجد جواباً تبخرت وتلاشت مع مرور الأيام .!! وعاش التاجر مع زوجته فاطمة عيشة سعيدة كلها وفاق وسعادة ووائام.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت...!!



سبحونـــــة:

٢٢- قريـع ومـرت أبــوه

«رويت هذه السبحونة عن الشاب المهذب الابن محمد بن إبراهيم الجهيمان وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»..

جاء الليل وتوافد الأطفال إلى مكان جدتهم واحداً اثر واحد وكان مزاج الجدة في هذه الليلة غير معتدل فإن أحد أولادها الكبار المسافرين قد تأخر قدومه كما تأخرت أخباره.. ولهذا فقد انشغل بال الجدة من هذه الناحية ولم يكن عندها الليلة أية رغبة في تسلية أطفالها..

بل الواقع أنها في حاجة إلى من يسليها ويخرجها من أفكارها المتشائمة إلى دنيا الأمل والتفاؤل والانطلاق.!!

وتطوع أحد الأطفال عندما رأى جدته بهذه الحالة.. وقال إنني اليوم سوف أقص عليكم سبحونة قصها علي والدي منذ فترة من الزمن وهي سبحونه قريع ومرت أبو.!!

فوافق الأطفال على ذلك واستحثوا هذه المتطوع بالاسراع في

الشروع في هذه السبحونة.!!

فقال حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اللي مغنيه الله متزوج على بنت عمه.. وقد رزق منها بمولود ذكر.. وكان هذا الزوج سعيداً بزوجته وسعيداً بولده الصغير الذي اشتهر في كبره بقريع تصغير أقرع.!! لأنه كان في جانب من جوانب رأسه مكان خال من الشعر فلقبه الأطفال بقريع واشتهر بهذه اللقب حتى غطى على اسمه واسم عائلته.. وصار لا يعرف إلا به.!!

وأراد الله على والدة قريع فتوفيت بعد أن شب وحملته.. قدماه.! وصار يأكل إذا جاع ويشرب إذا ظميء ويذهب بعيداً عندما يريد أن يبول أو يتغوط.!!

كما أنه يعرف كيف يلبس ثيابه.. كيف يخلعها.!!

وعاش والده بعد زوجته وأم ولد قريع مدة طويلة من الزمن بلا زوجة.. وأحس بأنه لا مندوحة له عن الزواج فالبيت بدون زوجة كالبدن بلا روح.. والخير كثير والمال وافر.. وإذاً فليتزوج.!

وبحث عن مرأة حتى وجدها وتزوجها.. وكان موفقاً في زواجه هذه المرة كما كان موفقاً في زواجه في المرة الأولى فقد وفق إلى زوجة صالحة مدبرة لأمور بيتها أحسن تدبير.. كما أنها تمتاز بالعقل والرزانة والصبر الجميل.!!

وعاملت هذه الزوجة قريع معاملة لطيفة .. وعطفت عليه



قريع يستعد للدخول في تلك المعركة التي فشل فيها
مضيفوه..! وانهزموا فيها شر هزيمة.!!

ورعت شؤونه أحسن رعاية واكرمها.. فأحبها زوجها أكثر فأكثر عندما رأى معاملتها لولده وفلذة كبده.!!

وراحت السنين على العابدين .. ورزق والد قريع من زوجته الجديدة بعدة أولاد شغلوا أمهم استبدوا برعايتها وعطفها وحنانها.. حتى لم يبق مكان في قبلها لقريع.. ولم يبق عندها فراغ لخدمة قريع ولهذا فقد انصرفت عن قريع انصرافاً كلياً وجزئياً وانشغلت بأولادها ولا شيء غير أولادها.!!

وشعر قريع بهذا التحول.. ولكنه صار شاباً عاقلاً متزناً يقدر الظروف.. ويجاري الأوضاع السائدة ولا يحاول أن يسبب لوالده أو لأسرته أي متاعب أو مشاكل تكدر الصفو.. أو تغرس الأحقاد والكراهية في النفوس.!!

وصار قريع شاباً قوياً محبوباً من الجميع.. كما أن والده يثق به وبرأيه ويعتمد عليه في أمور كثيرة من تجارته.!! ورعياة من الوالد لولده قريع اشترى له حصاناً يركبه في روحاته وغدواته.. ويقضي عليه حاجاته.. وكلما تقدم الزمن بقريع ظهرت عليه بوادر النجابة وشمائل الرجولة.!!

أما أولاد الزوجة الجديدة فقد شبوا مدللين منعمين لم يحسوا في يوم من الأيام بأنهم في حاجة إلى التفكير في مستقبلهم.. أو أنهم في حاجة إلى أن يرفعوا من مستواهم أو يبذلوا جهوداً في خدمة والدهم وتجارة والدهم.!! فهذه أمرو لم تخطر على بال واحد منهم.!!

أما قريع فهو بخلاف ذلك.. يفكر في مستقبله ويحاول في كل مناسبة أن يكون الساعد الأيمن لوالده.. كما أنه يحاول أن

يكون أداة بناء حب ووئام في مجال أسرته وفي مجال مجتمعه.!!

ورأت زوجة الوالد هذا الوضع وساءها وأقض مضجعها.. فهي لا ترى زوجها يهتم بأولادها أو يعتمد عليهم في شيء.. بينما ولده قريع دائماً على لسانه فإذا أراد عمل شيء طلب قريع.. وإذا أراد بحث موضوع استشار قريع.. وإذا كان هناك مهمة عسيرة اختار لها قريع.. وبالجملة فإن الوالد في كل مناسبة يقول وين قريع.. رد قريع.. هات قريع.!!

وفكرت زوجة الوالد في هذا الوضع الذي آلمها وأقض مضجعها. فأولادها ليس لهم مجال في الأعمال.. ولا مجال لكسب ثقة والدهم ما دام قريع موجوداً.!!

وهي تريد لأولادها أن يتمرسوا بشوؤن الحياة.!! وتريد لأولادها أن يحوزوا ثقة والدهم.!! وتريد لأولادها أن يتحسن وضعهم الاجتماعي والثقافي.!!

ولا مجال لشيء من ذلك ما دام قريع موجوداً بين أفراد الأسرة.! وفكرت الزوجة تفكيراً جدياً في التخلص من هذا القريع.. إما بتشريد وإما بقتل.!!

وشغلت هذه الفكرة بالها.. وعاشت معها ليلاً ونهاراً ثم اهتدت أخيراً إلى طريقة الخلاص من قريع.. فقريع كثير الاسفار في مهمات والده.!! ولهذا فقد صممت على أن تدس له السم في الدسم.!!

وأراد قريع أن يسافر ذات مرة.. فعملت له قرصاناً وأسقتها بالسم وتأكدت بأنه إذا أكلها فسوف يموت حالاً فتتخلص الأسرة منه ويخلو الجو لأولادها.. وينفتح أمامهم باب العمل.. ولا يجد والدهم من يعتمد عليه سواهم فيدربهم على الأعمال.. ويبرصهم

بطرق التجارة.! وأخذ قريع تلك القرصان.. وسار فوق ظهر حصانه إلى مهمته التي انتدبه والده إليها... وعندما جاء موعد الطعام نزل في مكان مخصب ليرعى حصانه ويرتاح.!!

واستخرج الأقراص أو القرصان ليأكل منها.. وكان حصانه متجنساً أي عفريتاً في شكل حصان.. فأخبر قريع أن بالقرصان سماً وأن عليه أن يدفنها في الأرض.. وسوف يعوضه الحصان أحسن منها.!!

فدفن قريع تلك القرصان في الأرض لئلا يأكلها أحد فتقتله.. وجاء إليه الحصان بأحسن منها.. وانتهت هذه المحاولة بسلام وأنهى قريع مهمته .!!

ثم عاد إلى والده وزوجة والده فتعجبت الزوجة من سلامته.. وتسألت بينها وبين نفسها كيف نجا من موت محقق.؟!...

وصممت الزوجة على أن تعمل محاولة ثانية وثالثة ورابعة وأن تتابع المحاولات حتى تنجح في واحدة منها.!!

وأراد قريع أن يسافر في مهمة ثانية لوالده.! فأخذت زوجة الوالد أثواب قريع وغسلتها.. ثم أسقتها السم.. بحيث أنه إذا لبسها وعرق اختلط العرق بالسم فقضي على قريع.. وسار قريع في طريقه.!!!

وعندما أراد قريع أن يغير ملابسه.. أخبره الحصان بأن تلك الملابس النظيفة مشربة بالسم وأن عليه أن يدفنها في الأرض وسوف يأتي له الصحان بأحسن منها.!!

فأخذ قريع تلك الملابس ودفنها في الصحراء.. وجاء إليه الحصان بملابس جديدة عوضاً عن الملابس المسمومة.!! وفكر قريع في وضعه مع زوجة والده.. لقد ظنها محاولة واحدة ناشئة

عن مؤثرات طارئة ثم تزول .!!

ولكن تلك المحاولة استمرت وانقلبت إلى محاولات.!! ولا شك أن تلك المحاولات سوف تستمر.. وتتخذ اشكالاً متعددة.. وقد يكون من تلك المحاولات شيء في غياب الحصان فتحل الكارثة..

وقريع لا يستطيع أن يعمل مع زوجة والده أي عمل يسيء إليها وهو لن يقول لوالده.. لأن والده يحب زوجته ويرضى عنها كل الرضا.!! ولو أخبر قريع والده بما تصنعه ضده فقد لا يصدقه.. وقد يصدقه فيحدث في الأسرة مشاكل قد تؤدي إلى تفككها.! وفرقها.!!

وهذا شيء لا يريده قريع ولا يرضاه لأسرة والده.. ولهذا فقد رأى أن أسلم طريق هو أن يترك أسرته.. وأن يسافر إلى بلد بعيد يلتمس فيها الرزق.. ويبتعد فيها عن المشاحنات والمنغصات التي يتعرض لها في وطنه وبالقرب من أسرته.!!

وهكذا وقع .. فقد واصل قريع سفره حتى أتى إلى مدينة كبيرة عامرة فنزل عن ظهر حصانه في ضاحية من ضواحيها ثم أطلق لحصانة العنان ليذهب إلى حيث شاء.!!

ولكن الحصان أعطى قريعاً خاتماً ذهبياً.. وقال له البس هذا الخاتم في إحدى أصباع يدك اليمنى.. فإذا أردت حضوري في اي وقت فأدر الخاتم إلى بنصر يدك اليسرى ثم أدره فيها ثلاث مرات.. أكون في دوره الخاتم الثالثة عندك.!!

وبعد هذا ذهب الحصان في حال سبيله.!! وخل قريع إلى تلك المدينة الكبيرة.. وصار يتجول في شوارعها باحثاً عن عمل... ولكنه لم يجد عملاً.. فصار إذا جاع ذهب إلى أحد البيوت الكبار فاستضافهم فيعطونه أكلاً وشرباً.. ثم يذهب

يتجول وينظر في عمرات هذه المدينة وتجارتها.. ويحاول أن يتعرف بأهلها.. أويعرف شيئاً عن أهلها.!!

وجاء ذات يوم دقت فيه نواقيس الخطر.. وضربت فيها الطبول ليجتمع الرجال المقاتلون.. لأن خطراً يهدد البلد.. واجتمع الشباب المسلحون حول تلك الطبول.. بجوار قصر أمير المدينة.. وصاروا يرقصون رقصة الحرب التي هي «العرضة».!!

وكان لأمير هذه المدينة ابنة في غاية الروعة والجمال.. بل أن المشهور أنها أجمل فتاة في المدينة بلا مدافع ولا منازع.!!

ولهذا فإن الشباب عندما يجتمعون في مثل هذه المناسبة بجوار قصر الأمير ينتهزونها فرصة للتنافس في اللعب بالسيف وتحريكه حركات سريعة وبارعة.. كما يتفننون في رقصاتهم البديعة.. ويحاول كل واحد من شباب المدينة أن يكون أرشق القوم.. وأحسنهم حركة ولعباً.!! لعل ابنة الأمير تراه فتعجب به... وقد تحبه.. فيكون هذا شافعاً له فيما لو خطبها من والدها واستشارها.!!

وعندما تجمع شباب البلد ومقاتلوه أخبرهم الأمير بأن مواشيهم من ابل وغنم قد أخذها «الحنشل» أي اللصوص وقطاع الطريق.!! وأن عليهم أن يتبعوا آثار هؤلاء الحنشل حتى يلحقوا بهم ثم يقاتلونهم حتى يستردوا المواشي من ابل وغنم..! ومشت الطبول بأصواتها التي تهز جدران المدينة.!! ومشى الشباب خلفها.. وركب الفرسان خيولهم.. وساروا في طلب اللصوص.!!

وما هي إلا سويعات حتى لحقوا بالقوم.. وإذا هو جيش عرمرم.. لا قبل للمقدمة بمقاتلته.. فصبروا حتى لحق بهم بقية المقاتلين.. وصارت بين الفريقين عدة جولات انهزم في آخرها

فرسان أهل البلد ومقاتلوها.!!

ووصلت أول فلول المعركة إلى البلد وانتشر الخبر بأن اللصوص هزموا مقاتلة البلد وأخذوا أموالهم ومواشيهم وذهبوا بها..!!

وسمع قريع بهذه الأنباء السيئة.. فلم يكن منه إلا أن يخرج إلى ضاحية من ضواحي البلد.. ثم يخرج خاتمة من أصبع يده اليمنى ويضعه في بنصر يده اليسرى ثم يديره ثلاث دورات.!! فوجد حصانه في نهاية الدورة الثالثة أمامه.!!

وطلب قريع من حصانة أن يحضر له عدة الحرب وأن يعود بها إليه مسرعاً.. وفي مثل لمح البصر.. ذهب الحصان ثم عاد.. وأدوات الحرب معه.. فلبسها قريع ثم ركب حصانه ووجهه إلى جهة ميدان المعركة.!!

ورأى المنهزمون هذا الفارس الذي يتجه إلى ميدان المعركة بكل ثقة وشجاعة فعادوا يتبعون أثره ليروا ماذا يصنع أمام هؤلاء الخصوم الأقوياء الشجعان.!! وواصل قريع سيره إلى القوم.. وصار يتقدم إليه بخطوات ثابتة.. حتى رأوه ورآهم وصاروا يسمعون كلامه وهو يسمع كلامهم.. فخاطبهم قائلاً:-

دعوا مواشي المدينة تعود إلى مراعيها.. فسمعوه.!! وجعل بعضهم يلتفت إلى بعض ويرسل إشارات الهزء والسخرية.. فمن هو هذا الفارس الذي يستطيع أن يرغمهم على ترك المواشي لتعود إلى أهلها ومراعيها.؟! وكرر قريع نداءه هذا عدة مرات.. إلا أنه لم يجد فيهم إلا اشارات الهزء والسخرية.!!

فلم يكن من قريع إلا أن أطلق لحصانة العنان وشق القوم نصفين.. وخرج من الجانب الآخر بعد أن جندل على الأرض

عدة فرسان من شجعان القوم ثم حرف الحصان ثانياً بعد أن جمع القوم صفوفهم واستعدوا للقائه.. فأطلق قريع لحصانة العنان مرة ثانية.. وشق القوم نصفين.. وجندل من الأعداء عدة فرسان.!! فتزعزعت ثقة القوم بأنفسهم ورأوا فارساً لا كالفرسان يصول ويجول بين صفوفهم ويقتلهم بالجماعات.!! حتى قتل خيار فرسانهم.!!

فلما رأوا ما لا قبل لهم به ولوا الأدبار.. وكان المنهزمون من شباب المدينة وفرسانها قد تراجعوا إلى ميدان المعركة فلما رأوا فعل هذا الفارس فيهم.!! ورأوا أنهم قد ولوا الأدبار قويت عزائمهم.. وتبعوا القوم المنهزمين يقتلون ويأسرون.!! وينهبون.. ويغنمون.!! وكان أمير المدينة من جملة الفرسان المنهزمين الذين عادوا إلى ميدان المعركة عندما رأوا هذا الفارس المغوار..

وانتهت المعركة.. وأحب أمير المدينة أن يعرف هذا الفارس الذي أعاد إليهم مواشيهم ورد إليهم كرامته.. لأن العربي يقدس الشجاعة والشجعان في الأعداء.!! فما بالك بها إذا صارت من الأعوان والأصدقاء.!!

ولحق أمير المدينة بهذا الفارس.. ولكنه حاول الهرب والاختفاء. إلا أن أمير المدينة ألح في طلبه.. وبعد أن عجز عن اللحاق به أو التعرف عليه.. وأعياه الطلب دفع بفرسه بقوة حتى قرب منه ثم جرحه في يده اليمنى جرحاً خفيفاً ليكون علامة يعرف بها هذا الفارس الشجاع.!!

وعاد شباب القرية ورجالها.! والمواشي معهم وخيول الأعداء تقاد أمامهم.!! وكل رجل يذكر أنه قتل من الأعداء بضعة رجال من فرسانهم.. وكل منهم يذكر أنواع الشدائد التي مرت عليه

وكيف تغلب عليها.!!

أما قريع فإنه عندما عاد الناس ودخلوا إلى البلد عاد حتى وصل بحصانه إلى ضاحية من ضواحي المدينة فنزل من فوق صهوته وترك فوق ظهره عدة الحرب.. وأطلق له العنان وتركه يذهب إلى حيث يشاء.!!

وكانت ابنة الأمير تراقب من قصرها الرائح والغدي.. وقد رأت قريعاً عندما ركب فرسه أولاً وتبعه المنهزمون.. ثم بعد وقت غير طويل عاد القوم بمواشيهم ثم عاد قريع آخرهم.. وقد عرفت الفتاة أنه هو الفارس الوحيد الذي هزم الأعداء. وتركهم بين قتيل وشريد وأسير.!!

وكانت ابنة الأمير هذه قد شغلت أفكار الناس جمالها وكان كل من تقدم لوالدها يخطبها ترفضه الفتاة.. وكان والدها الأمير قد أعطاها وعداً بأن لا يزوجها إلا بمن تختار وترضاه.!!

ولهذا فقد قال لها والدها بعد هذه المعركة ان بين رجالنا رجل شجاع هو الوحيد الذي يستحقك وتستحقينه.. وإنني سوف أعمل دعوة عامة لأهل البلد وشبابها ورجالها.. وعليك أن تراقبني الداخلين وتتفرسي فيهم.. لتعرفي من بينهم هذا الشاب الشجاع.!!

فشكرت الأميرة والدها على اهتمامه بشأنها.. وحرصه على أن يكون زوجها ذروة في الرجولة والشجاعة والأقدام.

وأقام الأمير حفلة عظيمة تحوي جميع ما لذ وطاب من أنواع الأطعمة.. ودعا إليها رجال المدينة وشبابها.. ووقف الأمير عند الباب يستقبل ضيوفه ويرحب بهم ويصافحهم واحداً واحداً.!

أما الأميرة فهي تراقبهم من مكان خاص بحيث تراهم ولا يرونها.. وكانت الأميرة تتفرس في الوجوه.!! أما الأمير فهو يبحث عن تلك العلامة الفارقة التي وسم بها الفارس.. وهي الجرح الخفيف الذي في كفه اليمنى.!!

وتكامل المدعوون دون أن يجد الأمير تلك العلامة.. كما أن الأميرة من جابنها لم تر بين الداخلين فارس أحلامها.!!

وانتهت الحفلة.. وتفرق المدعوون. ودخل الأمير على ابنته وسألها عمن تتختاره من هؤلاء الشباب والرجال الذي مروا أمامها.. وكانت الأميرة قد عرفت فارس أحلامها فهو شاب مغمور ليس مع هؤلاء الذين حضروا الحفل .!!

ولم تلاحظ الفتاة أنه تخلف عن الحفل إلا قريع.!!

ولذلك فإن والدها عندما سألها أو طلب منها أن تسمي فارس أحلامها.. قالت انه قريع فدهش والدها وصدمه هذا الاختيار الذي هو في نظره غير موفق .!! ولكنها أصرت على رأيها.!!

فقال لها والدها.. إنه شاب مسكين يستجدي طعامه من المحسنين! ينام في بيت رب العاليمن .! ثم ماذا يكون موقفي أمام أبناء عمك وأشراف قومك الذي طلب كل منهم أن أزوجك إياه ورفضت طلبهم بناء على رغبتك عنهم.. وعزوفك عن الارتباط بهم.؟!

فقالت الأميرة إنني لا أريد إلا قريعاً وليقل الناس ما يقولون.. فهذا الأمر يخصني وحدي.. ويمس حياتي ومستقبلي وسعادتي.. وليتكلم الناس وليشمتوا أول الأمر.. إلا أنني واثقة أن كل فتاة في المدينة سوف تحسدني على حسن اختياري مستقبلاً.!!

فضحك منها والدها ضحكة مليئة بالهزء والسخرية والرثاء.!! ولكنه أمام رغبتها وتصميمها لا يستطيع إلا إجابة طلبها.!!

ولذا فقد طلب الأمير أحد القضاة وطلب قريعاً من المسجد الذي كان يأوي إليه.. وقال له إنني سوف أزوجك ابنتي التي وقع اختيارها عليك.!!!

فتعجب قريع وظن أن الأمير يسخر منه.. ولكنه رأى القاضي والشهود.. فقال أن رأي الأمير موفق وأمره نافذ وهذا شرف لي لا يعادله شرف.. أن يختارني لأكون زوجاً لابنته.!!

وانتهى عقد الزواج.. وجاء الليل فزفت الأميرة إلى قريع بدون احتفال ولا أفراح ولا طبول.!! وخصصوا للعروسين غرفة قذرة فرشوها بأحط الأثاث .. وأردئه .!!

ونظر قريع للغرفة وأثاثها ونظر إلى الأميرة .. وانقباض خاطرها. فأخذ خاتمه من يده اليمنى.. ووضعه في بنصر يده اليسرى وأداره مرتين وعندما انتهى من إدارته في المرة الثالثة وجد الحصان أمامه وجهاً لوجه.!!

فطلب منه تأثيث الغرفة بأحسن أثاث.. وتضميخها بأحسن العطور.!! واحضار طعم وشراب من أفخر الأطعمة والأشربة فلبى الحصان طلبه وغاب فترة قصيرة ثم عاد ومعه جميع ما طلبوا كما أن معه خمس فتيات أبكار كلفهن بتنظيف الغرفة وترتيب الأثاث الذي أحضره والقيام بخدمة العروسين.!!

وبعد وقت قصير صارت الغرفة كأنها قطعة من الجنة بنظافتها ورائحها الطيبة.. وأنواع المأكولات التي لا أشهى منها وبعد ذلك غادر الحصان والفتيات غرفة العروسين وتركوهما

وحدهما بعد أن وضعوا كل شيء أمامهما.

وجاء الصباح.. وأقبلت أم الأميرة لترى العروسين ولتظهر الشمات بابنتها التي اختارت فلم تحسن الاختيار.!! ودفعت باب غرفتهما بقوة لأنها تعرف أنه لا يفتح إلا هكذا.!! فاندفع الباب أمامها بسهولة ما كانت تعهدها.. حتى كادت أن تسقط على وجهها.!

وعندما نظرت إلى الغرفة رأت منظراً عجباً.. في الأثاث والتنسيق والروائح الطيبة فدهشت أيما دهشة.. وخرجت مسرعة وذهبت إلى والد الأميرة لتخبره بما رأت.!!

فلم يصدق الأمير ما قالت له زوجته.. وظن أنها تهذي.!! وتهرف بما لا تعرف.!! وتصف شيئاً ليس في دنيا الواقع وإنما هو في دنيا الخيال.! ولكن الزوجة قادت زوجها حتى أدخلته في الغرفة ورأى بأم عينيه ما رأت.!!

فدهش الأمير كما دهشت زوجته.. وباركوا للعروسين وتمنوا لهما حياة طيبة.. ثم تركوهما.. وذهبوا وهم لا يصدقون بما رأوا.! ولكنه الواقع الذي لا مراء فيه.!!

وفي وقت الظهر جهز الغداء للعروسين.. وطلبا ليتناولاه مع بقية أعضاء الأسرة.. وجاءت الأميرة وزوجها قريع وهو بحالة غير الحالة التي عرفوها عنه.. فملابسه نظيفة.. ووجهه مشرق.!! وتصرفاته موزونة.. وأخلاقه رفيعة.!!

أنه غير قريع الذي عهدوه فقيراً حقيراً يأكل طعامه من حسنات المسلمين وينام في بيت رب العالمين.. ولا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد.!! ونظر الأمير نظرة فاحصة إلى يده اليمنى.. فلعله الفارس الذي أنقض مواشي المدينة.!!

وإذا بالأمير يرى آثار الجرح وقد ربط عليها.. فسأله الأمير عن هذا الجرح فحاول أن يخفي سببه.. ولكن الأمير عرف كل شيءً فتغيرت نظرته إلى قريع .. وكبر أمامه.. وقال له لقد عرفت الآن أنك الفارس الذي أنقذ مواشي أهل البلد ورد إليهم كرامتهم وأنت تستحق ابنتي.. ولكن أخبرني ما هي قصتك وأين بلدك.. وإلى أي قبيلة تنتسب.؟!

فقص عليه قريع قصته .. وأخبره بسبب تركه أهله وعشيرته.. فقال له الأمير ولماذا أخفيت نفسك هكذا.!! وجعلت نفسك مسكيناً يستجدي الناس.؟!

فقال قريع لقد أردت أن أعرف أهل هذه البلدة.. فإن أعجبتني أخلاقهم ومكارمهم أقمت بينهم.. وإلا رحلت دون أن يعرفوني.!!

ورحب به الأمير في بلاده.. وقال إننا سوف نقيم حفلة عظيمة وسوف ندعوا كبار أهل المدينة ونعرفهم بك ونعرفك بهم.. فإن معظمهم غاضبون من جراء زواجك بابنتي.. ولكنهم إذا عرفوك على حقيقتك فسوف يصوبون تصرفي تجاهك.!!

وأمر الأمير بعمل حفلة كبيرة يدعى إليها كبار أهل البلد وأصحاب الحل والعقد فيها.. وجاء موعد الحفلة وتوافد كبار أهل المدينة إلى قصر الأمير الذي له عدة أبواب.. وكان أحد هذه الأبواب إلى القصر يمر بحظيرة ووحوش مفترسة.. ودخل قريع من هذا الباب بطريق الصدفة.. والوحوش في طريقه إلى القصر.!!

ورآه الناس مقبلاً من هذا الطريق المخوف.. فصاحوا به وطلبوا منه أن يرجع من حيث أتى لئلا تفترسه الوحوش..

ولكن قريعاً استمر في طريقه غير هياب ولا وجل.. ورأته تلك الوحوش يمشي في طريقه بكل ثقة واطمئنان .. فلم تعترض طريقه.. بل صارت تنظر إليه وتحرك أذنابها.. كتحية له.!!

وتعجب أهل البلد من جرأة هذا الشاب الذي لم يعرفوا أنه قريع لأنه تغير عما يعهدونه شكلاً وموضوعاً.!! وسأل المواطنون أميرهم في هذا الغريب.؟! فأخبرهم باسمه ونسبه وبلده.. كما أنه أخبرهم بأنه زوج ابنته وأنه الفارس الذي لحق بالقوم ورد أولهم على آخرهم وفعل بهم الأفاعيل حتى انهزموا وتركوا ما أخذوه.. وما ملكوه ونجا من نجا منهم بنفسه.!!

فارتفع قريع في نظر القوم.. وكبر في نفوسهم.. وقاموا إليه يصافحونه ويهنئونه بالزواج.. وكان قريع يصافحهم ويبشّ في وجوههم ويشكرهم على تهانيهم.!!

وعاش قريع مع زوجته في أسعد حال وأنعمها.. وكان أهل البلد يجلونه ويحترمونه.. كما أن أمير البلد يثق به ويعتمد عليه في كثير من شؤون إمارته.!! وكبر الأمير وثقل سمعه وضعف نظره.! وقل تحمله لأعباء الحكم.. فأسند الأمر إلى قريع لأن الأمير ليس له أولاد ذكور يعهد إليهم بالإمارة.!!

وقام قريع بشؤون الإمارة على أحسن وجه.. وصار محبوباً من أهل البلد لرفقه بهم وتواضعه أمامه.. وتوقيره لكبيرهم وعطفه على صغيرهم.!!

ثم مرض الأمير مرض الموت فعهد إلى قريع بالإمارة .. ووافق كبار أهل المدينة على أن يتولى قريع أزمّة الأمور لمدينتهم.. فهو كريم..وشجاع وحليم.. وعادل.. وبالجملة فقد اجتمعت

فيه خصال الزعيم القائد.!!

وقدر الله على الأمير بعد وقت قصير فتوفي.! وقام قريع بشؤون الإمارة أحسن قيام .. وأحبه أهل البلد وتعاونوا معه بكل ما يستطيعون من عون .. وكان قريع يقابل هذه العواطف النبيلة من أهل البلد بعواطف أنبل منها وأشرف.!!

فكان لا يمضي في أمر من الأمور دون أن يستشيرهم.!! وكان عادلاً في أحكامه .. فلا يميل به الهوا يمنة ولا يسرة.!! وكان شهماً كريماً وإنساناً بكل معنى الكلمة.!!

ولهذا فقد كانت الإمارة في عهده ثابتة الأركان.!! قوية البنيان.!! وقد التف حولها جميع سكان البلد من صغير وكبير.!! وأتحدت كلمتهم.. وصفت نفوسهم.. حتى صار جيرانهم من أرباب المدن الأخرى يغبطونهم على أميرهم الجديد.. بل يحسدونهم عليه.!!ومكث قريع بين ظهراني هؤلاء القوم محبوباً.. وزوجته الأمير في غاية من السعادة والهدوء وراحة البال.. إلا أن قريعاً في يوم من الأيام تذكر أهله وبلاده وعشيرته وحن إليهم.. واشتاق إلى رؤيتهم.. فوالده لا بد أنه كبر سنه.. وهو لا يدري هل لا يزال على قيد الحياة أم انتقل إلى جوار ربه.. واخوانه لا يدري كيف نشأوا.؟ ولا كيف أحوالهم المعيشة.؟!

ولهذا فقد أخبر زوجته بأنه يرغب في زيارة أهله لفترة قصيرة ليتفقد أحوالهم.. وإذا كان لديهم رغبة فإنه سوف يأتي بهم... فحبذت زوجته رأيه وتمنت له رحلة طيبة وعوداً حميداً.. ثم جعل له نائباً ارتضاه كبار أهل البلد ليدير شؤون الإمارة في غيابة.!!

وأحب قريع أن يذهب إلى أهله كما خرج منهم بدون خدم

ولا حشم ولا قرقعة ولا ضجيج .. ولهذا فقد خرج إلى ظاهر البلد حتى اختفى عن الأنظار فأدار خاتمه في بنصر يده اليسرى ثلاث مرات ولم تنته الدورة الثالثة إلا والحصان يمثل أمامه..!!

فأخبره قريع بنيته وطيته.. فغاب الحصان لحظة ثم عاد بجيمع لوازم السفر.. وسار قريع في طريقه إلى إلى أهله ووطنه بلا قرقعة ولا ضوضاء.!!

وعندما وصل.. وجد والده قد كبر سنه وتضاءلت قواه ورق عظمه وتغضن جلده ولم يبق لديه قوة للعمل.!! كما أن أولاده من زوجته الأخيرة لم يكن فيهم من يعتمد عليه الوالد في التجارة والبيع والشراء والأخذ والعطاء..!!

ولهذا فقد صفي الوالد تجارته وجعلها نقوداً في خزينته الخاصة وصار ينفق منها على أسرته وهي تنقص ولا تزيد حتى قاربت على النفاد.. وجاء قريع إليهم وهم على هذه الحالة وسلم على والده وسلم على اخوانه.

وقد كان مجيئه إليهم مفاجأة لهم فقد كانوا يظنون أنه هلك. كما أنهم لا يعرفون سبباً مقبولاً لهربه.. ما عدى زوجة والده. فانها كانت تفكر أن خطتها نجحت في القضاء عليه.!!

والذي فرح بقدوم قريع فرحاً شديداً هو والده الذي أحس بحاجة شديدة إلى الرعاية والعطف والحنان.!!

وسأل الوالد ولده عن أحواله فأخبره بأنها من أفضل الأحوال.. وشرح له الوضع الذي يعيش فيه.. ففرح الوالد فرحاً كثيراً بالحالة المشرفة التي يعيش فيها ولده ثم سأله عن سبب هربه.؟!

فأخبره بما جرى من الزوجة المحترمة .. وأنه رأى أن أسلم

طريق هو أن يذهب بمفرده وأن يكتم سره في نفسه لئلا يحدث في الأسرة تصدع وشقاق يؤدي إلى تفرقها وشتاتها.!!

وشعرت زوجة والد قريع بذنبها.. الذي كان غطى عليه النسيان. وعلمت أنه هو سبب هرب قريع من والده ووطنه.. ولهذا فقد اعتذرت إليه وأظهرت ندمها على ما حصل منها.!! وطلبت من قريع أن يبيحها ويحللها.!! من تلك الإساءة التي دفع إليها الطيش والأنانية.!! فقبل قريع عذرة زوجة والده.. وأخبرها بوضعه في المدينة التي يعيش فيها.!! وقال لها أنه عازم على أخذ جميع أفراد الأسرة معه إلى مقره الجديد.!! ليقوم بواجبه نحو والده ونحو اخوانه ونحو زوجة والده التي لا يكن لها إلا التقدير والاحترام.

ووافقت الزوجة على السفر كما وافق الوالد أيضاً... أما الأولاد فلا رأي لهم فهم مجرورون بالتبعية.!! وقرر قريع أن يجهزوا أنفسهم في خلال أسبوع.. يأخذون مالهم.. ويدفعون ما عليهم ويعدون أنفسهم للرحيل .!!.

أما قريع فإنه ليس في حاجة إلى استعداد للسفر.. لأنه ليس عليه إلا أن يطلب الحصان.!! فيهيء له كل ما يريد خلال لحظات معدودات.!!

وانتهى الأسبوع وتم كل شيء واستعد كل فرد من أفراد الأسرة للرحيل.. وأدار قريع خاتمه في بنصر يده اليسرى ثلاث مرات.. وحضر الحصان فطلب منه قريع أن يهيء رواحل بعدد المسافرين.. كما طلب منه إحضار جميع ما يلزم للسفر من مأكل ومشرب.. وخدم وأدوات .!!

ولم تمض لحظات .. بعد اصدار هذه التعليمات.. حتى صاركل شيء حاضراً.!! وسافرت الأسرة.. وقريع راكب على حصانه وهو يسير تارة في المقدمة وتارة في المؤخرة.. وتارة بجوار والده يحادثه ويؤانسه .. وتارة يبتعد عنهم قيلاً باحثاً عن صيد.!!

ووصلت الأسرة إلى مقر الامارة.. واستقبل قريع واسرته استقبالاً حافلاً.. وأنزل قريع أسرته في قصر كبير مستقل.!! وفيه كل ما تحتاجه الأسرة.!! وذهب قريع إلى زوجته فاستقبلته بشوق وفرحة.!!

وعاش الجميع في سبات ونبات.! ورزق قريع من زوجته الأمير الكثير من البنين والبنات.

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

مما قالت صيته التميمية

تـقـول صـيتـه واعـيـوني سـهـيرة

أنـا عـيـوني عـن كـرا الـنـوم شراد

شـفـي سرور ولا تـمـنـيـت غـيره

عـلى الـنـقـا مـا يحلـقـن كـل نـقـاد

قـلـبـي كـمـا بير تـزايـد حـفـيره

ذولي مـصـاديـر وذولـيك وراد

يـا مـا حـلا شـوف الـعـشير لعـشيره

لا صـار مـا جـا.. بين الاثـنين مـيعـاد

عن كتاب «شاعرات من البادية»

سالفـــــة:

٢٣- الرجـــل المـــزواج..!

«رويت هذه السالفة عن الشاب محمد بن عبدالمجيد
وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

اجتمع الأطفال عند جدتهم ليلاً وكان فيهم فتاة صغيرة سمعت سالفة الرجل المزواج فأحبت أن تسمعها ثانية فقالت لجدتها قصي علينا سالفة الرجل الكثير الزواج وما جرى له مع إحدى الفتيات الذكيات.!!

فقالت الجدة حباً وكرامة.. وقد صادف هذا الطلب هوى في نفسها.. لأن في هذه السالفة شواهد كثيرة على قوة المرأة وعلى أنها إذا أرادت شيئاً نالته.. وإذا صممت على بلوغ هدف بلغته.!! وقالت الجدة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال المزواج المطلاق.. الذي لا يكاد يتزوج حتى يطلق .!! واشتهر أمر هذا الرجل بكثرة زواجه وطلاقه.. حتى صار

حديث الناس.!!

وكان هناك جملة من الفتيات جالسات في الشتاء في مكان مشمس. يتحدثن بمختلف الأحاديث.. وجرهن الحديث إلى هذا الرجل المزواج المطلاق.!! فقالت واحدة من هؤلاء الفتيات.. إن السبب في سلوكه هذا الطريق هو أنه لم يجد فتاة تفرك الشوك بيديه.؟!

ولم يفهم الفتيات ما أرادت زميلتهن .. ولكنها أردفت قائلة:- إنني اقصد أنه لم يجد فتاة تعطيه درساً قاسياً حتى يترك هذا الملك الشاذ الذي ينطوي على الأنانية وعدم المبالات.!!

وكان الرجل المزواج في هذه اللحظة ماراً في طريقه إلى حانوته وبيعه وشرائه فسمع هذه الفتاة وعرفها وعرف أهلها.. واهتم الرجل بهذه الفتاة التي تتحدث بهذا الحديث.. وجرح شعوره تحديها.. وقال في نفسه.. وما هو الدرس الذي تستطيع فتاة مثلها أن تلقنه إياه.؟!

ودفُع الرجل بهذا التحدي إلى أن يذهب إلى أهل الفتاة وأن يخطبها منهم.. وكان رجلاً غنياً مشهوراً في البلد ومحبوباً فيها ومحترماً من الجميع.. وليس فيه من العيوب إلا كثرة الزواج وكثرة الطلاق.!!

ولما فاتح الرجل والد الفتاة في أن يزوجوه بها.. رحب به الوالد.. وقال إنه من جهته موافق وأنه سوف يحاول اقناع الفتاة وأمها بهذا الأمر.. واتفق الخاطب والمخطوب منه على وعد يعطي فيه الكلام النهائي في هذا الأمر.!!

وتفرق الرجلان.. وذهب والد الفتاة وأخبرها بهذه الخطبة وطلب رأيها.؟! فقالت إن الأمر راجع إليك أنت ووالدتي فإذا اتفقتم على أمر فأنا موافقة عليه.!!

وذهب الوالد إلى زوجته والدة الفتاة وأخبرها بالخاطب والخطبة وأخبرها بما قالته ابنته عندما استشارها في الأمر.. فقالت الأم أن ابنتي لا تزال صغيرة وتحتاج إلى شيء من الصبر.. سنة أو سنتين...

فقال الوالد إننا سوف نعطيه الموافقة ونطلب منه الصبر.!

فوافقت الأم على هذا الراي.. وذهب الرجل إلى التاجر وأخبره بموافقة جميع أفراد العائلة.. وأخبره أن الفتاة صغيرة وأنهم يطلبون منه أن يتأخر زواجه بها سنة أو سنتين.!!

فقال الرجل إنني موافق على رأيكم.. وأنا أريد أن نعمل عقد الزواج.. ثم نأخذ أمورنا بالتدريج حسب ما ترون .. فعقد للتاجر على الفتاة .. وصبر فترة غير طويلة من الزمن.. ثم عرض عليهم أن تنتقل زوجته عنده إلى بيته.. وأنه على الشرط الذي بينهم وبينه.!!

واستشاروا الفتاة.. فقالت أنها لا ترى مانعاً من هذا الانتقال.. فانتقلت الزوجة إلى بيت زوجها بعد حفلة زواج عادي بسيط.!!

وكانت كلماتها التي قالتها لصويحباتها لا تزال ترن في أذني الزوج.. وقد تزوجها لا لجمالها.. ولا لحسبها.. ولا لمالها..

وإنما تزوجها مدفوعاً بذلك التحدي الذي سمعه منها.!!

وجاء أول يوم إلى بيته فقال لها إنني سوف أذهب إلى عملي وآتي وقت الغداء .. ومعي خمسة من الضيوف الذين دعوتهم لمشاركتي فيه.. فأرجو أن لا أعود إلا والغداء منته.. والنار مشوبة.. والقهوة جاهزة..!!

وذهب الرجل إلى عمله بعد أن ألقى على زوجته هذه التعليمات وأقفل الباب على الفتاة.. ولم يترك عندها حطباً ولم يترك عندها ماء.!! وقال الزوج في نفسه إنني سوف أرى ماذا ستصنع.!!

وبحثت الفتاة عن الماء فلم تجد.. وبحثت عن حطب فلم تجد.. وصعدت إلى السطوح وحدرت على جارتها دلواً وطلبت منها أن تملأها ماءً فملأتها جارتها فجذبتها إليها.. وانحلت هذه المشكلة وبقيت مشكلة الحطب.!!

وبحثت .. وفكرت فلم تجد إلا ودكاً فأذابته..ثم جاءت بلفه من القطن فأروتها من ذلك الودك.. وأوقدت النار في هذا القطن شياً فشيئاً بحسب حاجتها.. وجهز الغداء.!! فانصرفت إلى أعداد القهوة.. فصنعتها .. وجهزتها وجعلتها بجوار النار.!! ولم يأت موعد الغداء إلا وكل شيء جاهز.!!

وجاء زوجها من السوق.. وليس معه ضيوف وإنما جاء وحده.. وهو يريد أن يرى ماذا صنعت زوجته.!! وفتح الباب ودخل وهو يعتقد أنه سوف يراها محتارة تبكي في أحد أركان البيت.!! إلا أنه وجدها بخلاف ما كان ينتظر.. فقد وجد الطعام جاهزاً والقهوة جاهزة.. والبيت نظيفاً.. والأثاث مرتباً.!!

ودهش الرجل مما رأى.. ولم يسألها عن وسائلها الخاصة التي أوجدت بها حلول تلك المشاكل... وأعجب بفتاته.. بذكائها وبنشاطها بحسن ذوقها.. ولكنه أراد أن يمتحنها بمشكلة أكبر من سابقتها.. وفكر في الأمر ووجد الطريق إلى ما يريد.!!

قال الرجل لزوجته ذات يوم إنني أريد أن أسافر لبعض شؤوني الخاصة.. وسوف تطول سفرتي وتمتد إلى ما يقرب من سنتين وأنا أريد أن لا آتي من هذ السفر إلا وأنت قد ولدت غلاماً والفرس قد ولدت فلوه.!!

وألقى الزوج هذا الكلام على زوجته.. وهو كلام يجب أن تسمعه وأن تنفذه وأن لا تناقشه فيه.!! وبدأ الرجل يستعد للسفر بعد أن عين اليوم الذي سوف يسافر فيه.!!

وكان عند الرجل حصان يريد أن يسافر عليه وفرس سوف يبقيها عند زوجته.!!

وخرج الرجل لبعض شؤونه وأقفل الباب على زوجته وأخذ المفتاح.!!

ولبست الفتاة أحسن ثيابها وتعطرت وتزينت .. وصعدت إلى السطوح فقفزت منها إلى سطح مجاور ثم قفزت من هذا السطح المجاور إلى الشارع وذهبت إلى عجوز تعرفها.!!

ودخلت على العجوز.. وقالت لها إنني أحب فلاناً.. وأريد أن أخلو به في بيتك.!! كما أحب أنه إذا خلا بي أن تأخذي فرسه فتدخلينها على الحصان الذي في المكان الفلاني فإذا مكثت عنده نصف ساعة تخرجينها.. وتعيدينها إلى مكانها الذي كانت فيه.!! وإذا فعلت ذلك فإن لك عندي مكافأة ترضينها.!!

وكان الرجل الذي هو زوج الفتاة يحب النساء حباً مفرطاً.. ولذلك فإن العجوز عندما ذهبت إليه وأخبرته بخبر هذه الفتاة.. استجاب حالاً.. ومشى معها حتى أدخلته عليها.. وأخذت حصانه فأدخلته على الفرس.!!

ومكث الحصان عند الفرس.. ومكث الرجل عند الفتاة التي هي زوجته ولكنه لا يعلم أنها زوجته.!! فقد كانت في مكان مظلم.. وحاول أن يراها ولكنها كانت متحفظة فقد قالت له إنني امرأة مستورة ولا أحب أن يعرفني أحد.!! وقد أحببتك من حيث لا تدري.. وسوف أبقى على حبك إلى ما شاء الله.!! ولكنني أريد أن أبقى مجهولة بالنسبة إليك.!!

ولم يرد الرجل أن يحرجها.. ما دامت تريد أن أن تبقى مجهولة.. وما دامت تحبه.. وهي بناء على هذا الحب سوف تتيح له الفرصة لنيل مراده منها.!!

الا أنها قبل أن تمكنه من نفسها طلبت منه مهراً لهذا الحب فقال لها اطلبي ما تشائين.. فقالت إنني لا أريد مادة فأنا قد أعطاني الله وأغناني.. ولكنني أريد منك رمزاً لمبادلتي هذا الحب.!!!

فقال الرجل وما هو .؟! فقالت الفتاة أنه خاتمك هذا الذي في اصبعك.! فخلع خاتمه من اصبعه وأعطها إياه.!! فأعطته المرأة ما أراده من نفسها ومكث معها سويعات كانت تعمره السعادة.. ويحس بأنه عثر على كنز ثمين لم يكلفه أكثر من خاتم بسيط لا أهمية له ولا خسارة في فقده.!!

وعندما انتصف الليل طلب منها أن تمكنه من نفسها مرة

ثانية ولكنها قالت إن كل شيء في هذه الحياة بثمن.. وأنا لا أريد منك إلا شيئاً بسيطاً فقال الرجل وما هو.؟! فقالت أنه عقالك الذي تلبسه على رأسك.. ولكنني أريد أن تكتب اسمك عليه.!!

فكتب اسمه على العقال وناولها إياه فمكنته من نفسها.. ونام بجوارها وعندما جاء آخر الليل قام.. وطلب منها ما يطلبه الرجال من النساء.. فقالت إنني لا زلت على مبدئي أن كل شيء في هذه الحياة بثمن وأنا أريد في هذه المرة أن تعطيني عصاك مكتوباً عليها اسمك.!!

فكتب اسمه على العصا وناولها إياها.. فأعطته ما أراد.!! وقرب الفجر فودعها وخرج من عندها وسار إلى منزله.. بعد أن أخذ من الفتاة موعداً بعيداً باجتماعه بها.!!

كما أنه قال لها إنني على كثرة ما تزوجت من النساء لم أضاجع امرأة أحسن منك.. ولا أعرف برغبات الرجال.. وامتلاك نفوسهم.!!

وخرج الرجل فسبقته الفتاة إلى البيت.. وجاء إليها يودعها فقد أزمع الرحيل وتمت الاستعدادات للسفر.!! فودعته وكأن شيئاً لم يكن.!!

وسافر الرجل.. وجعلت الأيام تمر فتكون أسابيع والأسابيع تكون أشهراً والأشهر تكون سنوات وانقضت السنتان.!!

وعاد الرجل من سفره.. وهو في غاية اللهفة ليرى ماذا

حدث بعده.!!

وعندما وصل إلى بيته وجد في حجر زوجته غلاماً.!! ووجد بجانب الفرس فلوة.. فأخذ منه العجب كل مأخذ وجعل يفكر في هذه المرأة التي كلما أراد أن يعجزها في أمر ذللت العقبات ونفذته كما يريد.. وكما يطلب .!! إلا أن الشيء الذي لا يمكن أن يقبله هو أن تلد له غلاماً دون أن يجامعها فهي صغيرة وقد اشترط عليه أهلها أن لا يقربها لمدة سنتين.!!

وأهمه أمر الغلام الذي سوف يحسب عليه مع أن لا يتذكر أن له دوراً في إيجاده .. إلا أن الرجل كان حكيماً وقد رزق الكثير من الأناة والتبصر في أموره.!!

وبقي الرجل قلقاً إلا أنه ضبط أعصابه.. وقال في نفسه إنني سوف انتظر حتى ينجلي الموقف.!! ليكون تصرفي على هدى وبصيرة.!!

وكان الطفل قد كبر وصار يغدو ويروح في البيت ويملأه حركة.. صياحاً في بعض الأوقات ..!! وألبست المرأة طفلها الخاتم في اليوم الأول.. ولكنه لم يلفت نظر الأب.. ثم جاء اليوم الثاني فأعطته العصا يلعب بها.. وفيها اسم زوجها.. فلم تلفت نظره..

وجاء اليوم الثالث. فألبست طفلها العقال.. وجاء إلى والده فنظر إلى العقال.. فإذا هو يجد اسمه فوقه عندئذ صحا بعض الصحوة.. وبحث عن الخاتم والعصا وفحصهما فوجدهما

مطبوعين باسمه.!! فصار يفكر في أمر هذه الفتاة من أين حصلت على هذه الأشياء.. وقد أعطيت لامرأة أخرى غيرها.!!

وقال الرجل لنفسه إنه لا بد من مفاتحه الفتاة في هذا الأمر ومناقشتها فيه حتى تتضح الحقيقة وينجلي ليل الشك.

وطلب الرجل زوجته وسألها عن الخاتم والعصا والعقال من أين حصلت عليهن.؟! فأخبرته زوجته بما فعلت في تلك الليلة التي سافر في صباحها.!! وذكرته بكلام جرى بينه وبينها عندما خلى بها في بيت العجوز ووصفت بعض الحركات التي كانت في تلك الليلة.!!

وبالجملة فقد قصت على زوجها كل شيء من دقيق وجليل مما حدث.!! حتى تيقن أن المرأة التي نام معه في تلك الليلة هي زوجته بلا شك ولا ريب.!! كما أخبرته بأنها طلبت من العجوز أن تدخل حصانه على فرسه في تلك الليلة.. فتحقق جميع ما أراده وطلبه.

وعندما سمع الزوج من زوجته هذا الكلام انجلى عن نفسه هم عظيم كان يشغل باله.. ويديم بلباله.. وسألها عن تصرفها أول ما جاءت إلى بيته.. ومن أين جاءت بالماء.. ومن أين جاءت بالحطب.! فأخبرته أنها جاءت بالماء من جارتها.!!

أما الحطب فهو خليط من الودك والخرق التي وجدتها في البيت.!! فأعجب الرجل بزوجته.. وارتفعت في نظره.. وعرف أنه تزوج زوجة ذكية عاقلة مدبرة.!!

وهذا فقد صمم على أن تكون هي الزوجة الوحيدة التي تبقى في ذمته.. وأبطل عادة الزواج والطلاق التي كان يتبعها من قبل.!!

وعاش الرجل مع زوجته في سبات ونبات.. ورزق منها الكثير من البنين والبنات.!!

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت.!!

قالت شاعرة مجهولة

قـلـبـي إذا قـالـوا فـهـد يـضربـونـه
لـكـن يـضرب لاهـج الـديـد فـهـاد
مـا تحتـمـل خـضر الجرايـد مـتـونـه
لـو هـو قـوي ويحمـل الـضرب وش عـاد
اللي كـمـا روب المـعـيـدي سـنـونـه
بـالـذكـر وإلا مـا نـعـرف ابـن الأجـواد
مــومــي لهتــاش الخلا في ردونــه
يـا عـنـك مـا كـفـه بـخـيـل عـلى الـزاد

من كتاب «شاعرات من البادية»



سالفـــــة:

٢٤- سعيد وعمته..!

«رويت أصل هذه السالفة عن الشاب محمد الرشيد العبد الله وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

قال أحد الأطفال للجدة بعد أ تحلقوا حولها ليلاً قصي علينا سالفة سعيد وعمته أو زوجت أبوه.!!

فقالت الجدة حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي عنده ولده الذي قد ماتت أمه وعنده زوجته الشابة الجديدة التي يحبها ويغليها ويأتي لها بكل ما تريد ولا يرد لها طلباً مهما كان صعب المنال.!!

وكان الطفل الذي ماتت امه يعيش في رعاية زوجة والده والتي كانت تقسو عليه وتعامله معاملة خشنة.. وتكلفه من العمل ما لا يطيق .. إذا تقاعس أو أخل بعمله أقل خلل أسمعته زوجة والده مالا يرضاه من سيء القول وبذيئه .!!

كما أنها كانت تشكوه على والده في كثير من الأحيان فيأخذ الزوج كلامها القبول فيقسو على ولده ويوبخه وقد يضربه في بعض المرات.!! وتذكر الطفل أمه.. وما كان يجد في جانبها من عطف وحنان.!! وما كان يلقى في ظلها من رعاية وعناية.!! وكيف كانت تقف حاجزاً قوياً بينه وبين والده إذا أراد أن يقسو عليه أو يكلفه من العمل مالا يطيق.!!

أما الآن فإنه لا عون له.. ولا مدافع عنه.. ولا راحم له إلا الله.. ولذلك فقد تذكر والدته وأحس بالخسارة الكبيرة التي خسرها عندما فقدها.. وبكى بكاءاً مراً خفف عنه بعض آلامه.. ونفس عن نفسه بعض همومها.!!

وفكر في أن يذبح أضحية لأمه في عيد الأضحى كنوع من الذكرى ورد الجميل .. ولكنه ليس عنده نقود فهو يعمل مجاناً عند والده وزوجة والده .. لا يأخذ مقابل عمله أي شيء اللهم إلا السباب والشتائم والمعاملة الجافة.!!

وإذاً كيف يحصل على المال ليشتري هذه الأضحية.؟!

وخطرت فكرة على باله.. وهي أن يذهب كل يوم بعد خروجه من المدرسة إلى الصحراء فيجني من أعشابها ما يستطيع حمله ثم يأتي به فيبيعه على أرباب المواشي.!!

وأعجبته الفكرة وبدأ في تنفيذها . وبدأ بجمع النقود.. ويضيف بعضها إلى بعض القليل يكون الكثير كما أن التمرة إلى التمرة تكون تمراً.!!

وتجمع لدى الشاب مبلغ لا بأس به.. وذهب إلى السوق واشترى خروفاً صغيراً نصفه أبيض ونصفه الآخر أسود وكان تجاور هذين اللونين غريب جداً ولافت للنظر فقل أن يوجد مثل هذيه اللونين في خروف واحد.

وصار سعيد يعتني بخروفه ويطعمه أحسن طعام ويلاحظه ملاحظة تامة.. حتى شب وكبر جسمه وكثر شحمه وصفا لون شعره فازداد سواد شعره الأسود وازداد بياض شعره الأبيض.! فصارت العين لا تمل من النظر إليه.!!

وكان لوالد سعيد مزرعة يعمل فيها طيلة ساعات النهار على الرغم من كبر سنه.. وكان يحب زوجته إلا أنها كانت لا تحبه.. ولذلك فقد كانت لا تمكنه من نفسها إلا إذا دفع إليها مقداراً من المال معيناً .. وكان يجيب طلبها ويحقق رغبتها.!!

إلا أنه في بعض الأحيان لا يوجد عنده المال المطلوب لأنه فقير وليس لديه شيء من مصادر الرزق إلا مزرعته التي لا تدر عليه إلا مبالغ ضئيلة لا تزيد عن تكاليف معيشة الكفاف له ولأسرته.. ولذلك فإنه كان في كثير من الأحيان تبقى رغباته الجنسية مكبوتة في نفسه.!!

وقال الوالد لولده ذات يوم يا سعيد فقال نعم يا والد فقال إذا جهز غدائي فأت به إلي في المزرعة فإن لدي أعمالاً كثيرة هناك لا أستطيع معها أن آتي إلى البلد لتناول غدائي في البيت.!!

فأجاب الولد أباه على أتم الاستعدادا..وجاء موعد الغداء

فأخذه سعيد وذهب به إلى والده في المزرعة.. وعندما فتح الباب ودخل في المزرعة رأى والده من بعيد وهوفوق الحمارة.. فخجل سعيد واستبشع هذا المنظر واستغرب من والده أن يصنع مثل هذا الصنيع.!!

وانتظر فترة من الزمن ولكن والده أطال البقاء على حالته.. فلم يكن من سعيد إلا أن ابتعد قليلاً ثم وقف في مكان منزو وجعل ينادي يا أبتاه.! وسمعه والده وهو فوق الحمارة.. فقال له والده يا سعيد خلك بعيد.!!

وبقي سعيد بعيداً حتى انتهى والده من عمله وجاء يسعى إليه وأخذ منه الغداء وتركه يعود إلى المدينة.. وعاد سعيد إلى المدينة.. وهو متعكر المزاج مما رأى.!!

وعندما دخل إلى البيت سمع صوت عمته زوجة والده تحادث شخصاً غريباً فأنصت إلى حديثهما.. وسمع ما يقال وعرف من يتكلم.. وإذا هو صحيب العمة أو حبيبها.!! وهي معه على حالة غضب منها الولد.. ومما زاد في غضبه أيضاً أنها تتحدث مع حبيبها وتحوك الحيل لأخذ هذا الخروف الذي أعده الشاب ليكون أضحية لوالدته التي يذكرها ويترحم عليها كما أحس بمعاملة سيئة .!! أو قسوة زائدة عن الحد.!!

وسمع سعيد عمته تقول لحبيبها أن خاطري متعلق بهذا الخروف وأمنيتي الوحيدة هي أن آكل من لحمه في وقت قريب.!! فقال لها الحبيب أن ذلك سهل جداً فما عليك ألا أن تتظاهري بالجنون.!

وسوف يدعوني زوجك لأقرأ عليك.. وعندئذ أقرر أن الجني الذي فيك قد كلمني وكلمته واتفقنا على خروجه.. وأن لا يعود ولكن بشرط أن يذبح خروف نصفه أبيض ونصفه أسود.. وأن تطعم المرأة من لحمه وتسقى من مرقه.. وهي بمجرد ما تعمل ذلك يزول عنها هذا المس من الجنون إلى أبد الآبدين.!!

وسمع سعيد هذا الكلام.! وعلم بما يحاك حول خروفه من مؤمرات.! وما يدبر له من هلاك سريع.!!

وقال سعيد منادياً بأعلى صوته من في الدار يا عمتي.!!

وسمعته العمة فقالت سريعاً يا سعيد خلك بعيد.!! وبقيى سعيد بعيداً عن عمته وحبيبها.. بل أنه خرج وترك لهما البيت.. بعد أن عرف كل شيء عنها وعن حبيبها وعما يبيتونه من أمر بشأن خروفه.!!

وجاء الليل وتظاهرت المرأة بالجنون.. وجاء زوجها فانزعج من هذا الحادث .!! وقلق أشد القلق على زوجته وبحث عن قاريء يقرأ عليها القرآن ليخرج منها الجني فلم يجد إلا حبيبها.. وذهب مسرعاً فاستدعاه.!!

وجاء الحبيب وجعل يقرأ عليها وينفث مدة طويلة من الزمن ثم خرج إلى الزوج فأخبره بأنه كلم الجني.! وأن الجني كلمه.. وأنه قال إنني لن أخرج حتى يذبح خروف نصفه أبيض ونصفه الآخر أسود.. وبحثوا عن خروف هذه صفته.. فلم يجدوا إلا خروف سعيد.!!

وقال الوالد لولده أعطني خروفك لنذبحه لعمتك وسوف أعوضك عنه بخروف أحسن منه.!! فقال الولد لوالده أن خروفي لا يوجد له مثيل.! وإنني قد نويته أضحية لوالدتي.! ولهذا فإنني لا أحب أن أغير نيتي ولا أن أفرط في خروفي.!!

وعاود الوالد البحث في البلد عن خروف آخر فلم يجد.. وعاد إلى ولده ملحاً عليه في أخذ الخروف.. ونتيجة لإلحاح الوالد أجاب سعيد بأنه لا مانع لديه من إعطائهم الخروف ولكن على شرط أن يعوض عنه حالاً فقال الوالد وما هو العوض الذي تريده عن خروفك.

فقال سعيد أنه البستان.. وتحت ضغط الضرورة أجاب الوالد ولده بأنه موافق على ذلك.. ليخرج من هذه المشكلة الحاضرة أما المستقبل فهو بيد الله.!! كما أن الوالد يعرف أن الولد وما يملك لوالده.. وقال سعيد لوالده اكتب لي كتاباً بأن البستان ملك لسعيد.. وكتب الوالد وأشهد على نفسه بذلك.!! وانتهت المفاوضات وذبح الخروف وبديء في اعداد لحمه للأكل وقطع ووضع في قدر فوق النار.!!

ولكن خاطر سعيد متعلق بهذا الخروف.. كما أنه لا يرغب أن تأكل منه زوجة والده.!! وفكر في طريقه يحرم بها هذه المرأة المحتالة من أكل لحم هذا الخروف.!! وكان حبيب الزوجة قد أكد عليها بأن يدعى للأكل من لحم هذا الخروف عندما يكون جاهزاً.!!

وجهز الأكل .. وتماثلت المرأة للشفاء قليلاً.. وقالت

لزوجها ادعو فلاناً الذي قرأ علي القرآن.. ليحضر هذه الوليمة فإن له فضلاً علي وهو سبب شفائي جزاه الله خيراً.!!

وأرسل الوالد ولده سعيداً ليدعو الحبيب .!! وذهب سعيد إلى الحبيب.. وقال له إن والدي يدعوك لتناول طعام الغداء.!! وبعد ذلك سوف يقتلك.. وإذا لم تحضر فإنه سوف يأتي إليك.!! فسأل الرجل عن السبب.؟!

فقال سعيد ان والدي أخبرني بأنه حضر أمس إلى البيت وأنت فيه واطلع على كل شيء وسمع كل شيء دار بينكما.. فقال الرجل إذاً فاعتذر لي من والدك وقل له إنني مشغول ولا يمكنني الحضور...

وذهب سعيد إلى والده.. فأخبره بأن الرجل يعتذر بأنه مشغول.. ولكن السبب الحقيقي هو أن يريد حضورك أنت بنفسك لتدعوه إلى هذه الوليمة.. وحبذت الزوجة هذا الرأي وحملت زوجها عليه.!!!

وذهب الزوج ليدعو صاحب زوجته.. وعندما رآه الرجل مقبلاً عليه خشي على نفسه فخرج هارباً.. وتبعه الزوج يناديه ولكن الرجل استمر في هرب لأمر لا يدري به الزوج.!!

وعاد والد سعيد بعد أن يئس من اللحاق بحبيب زوجته.! أما سعيد فإنه عندما ذهب والده لعمته أو زوجة أبيه إن والدي سوف يضربك .. وبعد الغداء سوف يقتلك.!! فقالت الزوجة ولماذا .؟!

فقال سيعد أن والدي حضر بالأمس وعشيقك عندك وسمع جميع ما درا بينكما هو الآن قد ذهب لقتل عشيقك وبعد عودته سوف يقتلك.. فخافت المرأة وجمعت ملابسها وما خف من متاعها ثم أخذت الجميع وذهبت مسرعة إلى بيت أهلها.!!

وعندما حضر والد سعيد إلى البيت لم يجد زوجته فيه.. فسأل ولده أين الزوجة.؟! فقال سعيد انها خرجت إلى البستان أمس ورأت أمراً أغضبها وأثار أعصابها.!! وقد جمعت ملابسها وما خف من متاعها وحملت الجميع ثم ذهبت إلى بيت أهلها.!!

فبهت الرجل وكثرت هواجسه ووساوسه.. إلا أنه لا غنى له عن زوجته فلم يكن منه إلا أن ذهب إلى أهل زوجته ليسترضيها وليعتذر إليها.. وليتنصل من ذلك الانحراف إذا أمكنه ذلك..! أو يعلن توبته وعدم العودة إلى مثله في المستقبل.!!

وعندما ذهب الأب.. وخلا البيت لسعيد قام إلى خروفه الذي قد استوى فأكله كله بعد أن حرم منه كل المتآمرين عليه.!! وشتت شملهم.. وشردهم على أقبح وجه وأرذله.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



أبو عباة وشريكه في البئر

كان بين أبو عباة رحمه الله وبين جار له في داره بئر مشتركة بينهما تقع بين البيتين ويحق لكل واحد من الجارين أن يمنح من ماء هذه البئر ليشرب أو يغسل أو يعمل بالماء ما يشاء.. ورأى أبو عباة أن جاره يستفيد من هذه البئر أكثر مما يستفيد هو .!!

وأراد أن يتخلص من هذه الشراكة في البئر بأي وسيلة.. وفكر قليلاً فرأى أنه لو أراد بيع هذه البئر بدون الدار لم تشتر.!! كما أن جاره لا يمكن أن يشتري نصيبه من هذه البئر لأنه لا حاجة له في الشراء فهو يستفيد من هذه البئر كل الاستفادة بدون شراء.!! وإذاً فما هو الحل.؟!

سأل أبو عباة نفسه هذا السؤال ثم ترك لها مجال التفكير ومجال العمل.!!

وعثر أبو عباة على الحل وذهب إلى شريكه في البئر.. وجاره في المنزل.. وقال له إنني أريد أن نقسم هذه البئر التي بيني وبينك.. فقال الجار وكيف نقسمه.؟! فقال أبو عباة نقسمه نصفين.. كل واحد منا يتصرف في نصيبه كما يشاء.!!

فقال الجار إننا لا نستفيد من هذه القسمة شيئاً.. بل إننا سوف نخسر تكاليف هذا التقسيم بدون فائدة تجنيها.. فقال أبو عباة بلى إنني سوف أجنى فائدة من وراء هذه القسمة.. التي لا بد منها.!!

فقال الجار وماذا تريد أن تصنع بنصيبك من البئر إذا قسمناها غير أن تستقي منه الماء وهذا الأمر متوفر لك الآن.؟!

فقال أبو عباة إنني أريد أن أستعمل نصيبي من البئر لأمر ثان غير شرب الماء.!!

فقال الجار وما هو.؟! فقال أبو عباة إنني سوف أجعل نصفي من هذا البئر كنيفاً وموضعاً لفضلات البيت.؟!

فقال الجار ولكن صنيعك هذا يحرمني من الاستفادة من نصيبي في البئر.!! فقال أبو عباة أنا لا شأن لي بك.؟ وعليك إذا كنت تريد الاستفادة من الماء أن تعمل الاحتياطات اللازمة لفصل نصفي عن نصفك فصلاً تاماً محكماً.. وبهذا تستفيد أنت من نصيبك في البئر كما تشاء.. وأنا أستفيد من نصفي من

البئر كما أشاء!!

وحاول الجار أن يقنع أبو عباة بأن هذه القسمة غير ممكنة.. وأن العمل لفصل النصفين واستفادة كل واحد من الشريكين كما يشاء غير منطقية ولا معقولة.! ولا سيما إذا كان يريد أن يعمل نصيبه مرحاضاً.!!

وصمم أبو عباة على رأيه.. وقال إنه لابد من تنفيذه وهو سوف يعمل من يومه على رمي فضلات البيت في نصيبه من البئر.. ثم سوف يتبع ذلك خطوة ثانية وهي أن يجعل منه مرحاضاً.!!

ورأى الجار تصميم أبو عباة على فكرته.. وأنه لا مجال لتحويله عن هذه الفكرة.. وعرض الجار على جاره أن يشتري نصيبه من هذه البئر .. بالثمن المناسب.!!

فوافق أبو عباة على هذا الرأي.. ودخل الجاران في مساومات انتهت بأن يدفع الجار لأبو عباة مبلغاً محترماً من المال أكثر من قيمة نصفه أضعافاً مضاعفة.!!

وقبض أبو عباة الثمن وترك لجاره الحرية الكاملة في أن يفصل تلك البئر عن بيته ويجعلها كلها تابعة لداره.!!

وهكذا ربح أبو عباة.. وكسب الصفقة واستراح من تلك البئر التي كانت مصدر قلق .. وتنافس وخصام .. على الدوام.!!

قالت الشاعرة مداهن

نطيت رأس الرجم وأوميت بالخمس
وأقـول يـا هـجـر الـنـيـا ويـن خـلي
خـلي عـقـدني عـقـدتين بـلا لمـس
وأنـا عـقـدتـه عـقـدة مـا تحل
كان أمس مثل اليوم واليوم مثل أمس
وإن كـان بـاكـر مـثـلـهـن زاد غـلي

عن كتاب «شاعرات من البادية»



سالفـــــة:

٢٥- الصديقين الهاربين من أهلهما

«رويت هذه السالفة عن الشاب محمد الرشيد
وكتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

في هذه الليلة لم يكن أحد مستعداً أن يأتي بسوالف أو حكايات وكان في الأطفال طفل لم يسمع منه الأطفال قصصاً منذ أن عرفوه.. وقد تبرع هذه الليلة بأن يقص عليهم قصة الشابين الهاربين من أهلهما فرحب الأطفال كلهم كما رحبت الجدة.! وأنصت الجميع وبدأ الطفل قائلاً:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الشابين في إحدى القرى.. عند أهلما .. وكان كل شاب قد أعياه التعب من الأعمال الكثيرة التي يكلف بها.. والمهمات الصعبة التي يلقيها أهله على عاتقه بحيث لا يأتي المساء إلا وهو ملقى على الأرض من شدة التعب والإجهاد والاعياء.!!

وشكا كل صديق إلى صديقه ما يلقى من مشقة وتعب

ونظراً في أمرهما.. وإذا وضعهما سيبقى هكذا إلى ما شاء الله.. وهو وضع لا يطيقان الصبر عليه.!! ولهذا فقد فكرا في الهرب من أهلمهما إلى إحدى البلاد النائية التي يبحثان فيها عن عمل مناسب يدر عليهما رزقاً.!!

واتفقا على هذا الرأي وصمما عليه وبدأ كل واحد منهما يعد نفسه.. وبدآ يترقبان الفرصة لتنفيذ هذا الرأي.! وسنحت لهما الفرصة ذات يوم.. حيث وجدا قافلة سوف تسافر إلى إحدى مدن الخليج العربي .. فسافرا معها وتعلقا بها. وصارا يعملان مع أرباب القافلة مقابل معيشتهما وحمل متاعهما.!!

وكان صاحب القافلة مسروراً بوجودهما معه وعونهما له.. كما أنهما مسروران بمساعدته مقابل ركوبهما وطعامهما وحمل متاعهما.!!

ووصلت القافلة إلى إحدى مدن الخليج.. ودخل الشابان إلى المدينة وبحثا عن عمل فلم يجدا.! وأراد أن يركبا إلى الغوص ولكنهما صغيران.. ولم تمض لهما تجارب في هذا المجال ولهذا فإنهما لم يجدا مجالاً.!!

وبقيا مدة وهما يتسكعان في الأسواق بدون علم.. ولا نقود.. ولا معيشة مريحة.. وفكرا في أمرهما ماذا يصنعان.. هل ينتقلان إلى بلدة أخرى غير هذه البلدة.؟! لكن أحدهما قال إننا نخشى أن لا نجد في البلدة الأخرى مجالاً للعمل.. فهذه المدينة التي نحن فيها هي أكثر البلاد تجارة وحركة وعملاً.!!

واتفقا على أن يبقيا في هذه المدينة مهما كانت الأحوال..

وطال مكثهما بلا عمل.. وضاقا بهذا الفراغ والحاجة التي يعيشان فيها.. وكان أحد الشابين أسمر يقرب إلى السواد وكان زميله أبيض.. ولهذا فقد عرض الشاب الأسمر على صديقه أن يدعي أن زميله عبد مملوك وأن ينزل به إلى سوق الرقيق فيبيعه بالرزق المقسوم.!!

واقتنع كل واحد منهما بصواب هذا الرأيى.. كما اتفقا على أنه بعد بيع العبد.. عليه أن يهرب من أعمامه في خلال الثلاثة الأيام الأولى.. وأن يجتمع بزميله في مكان اتفقا عليه خارج المدينة ثم يهربان بالمال إلى أهلهما وبلدهما.. وإذا مضت ثلاثة ايام ولم يأت إليه زميله المبيع.. فإنه في حل من الرحيل إلى أهله بالمال الذي حصل عليه.!

وذهب الصديقان إلى سوق الرقيق.. وسلم الشاب الأشقر زميله الشاب الأسمر إلى دلاّل في سوق الرقيق.! وأمره بأن ينادي عليه ويبيعه بالرزق المقسوم.!! ونودي على الشاب وتزايد فيه الراغبون وأخيراً جاء أحد التجار ودفع فيه ثمناً طيباً.!! وبيع العبد عليه وقبض الشاب الثمن.. وخرج إلى المكان المتفق عليه.!!

أما العبد الذي اشترى فإنه عندما ذهب إلى أعمامه وجد عندهم أكلاً طيباً ومناماً مريحاً.. وكسوة فاخرة.!! ولكنه مع هذا حاول الهرب إلا أنه لم تتح له فرصة للهرب فقد كان أسياده يراقبونه مراقبة شديدة بحيث أنه لم يجد فرصة للهرب طيلة الثلاثة الأيام المتفق عليها.!

وسافر الزميل بالمال إلى أهله.. ووصل واستقبله أهله وأقاربه بالترحاب.. كما استقبله زملاؤه بسرور وتنافسوا على دعوته إلى منازلهم فمنهم من يدعوه إلى القهوة ومنهم من يدعوه إلى الطعام.. ومنهم من يدعوه إلى السمر والمؤانسة.!!

وسأله أهل الشاب الثاني عن ولدهم فقال لهم لقد وصلت أنا وإياه إلى المدينة الفلانية ثم افترقنا لطلب المعيشة.. فأما أنا فقد اشتركت مع أحد مراكب الصيد وقد يسر الله لنا درة اصطدناها في قاع البحر فكان فيها غنى جميع أهل المركب.. وأما زميلي فقد سألت عنه عندما أردت أن أجيء إليكم فلم أعثر له على خبر.!!

وحزن أهل الشاب عليه.. ولكنهم لم ييأسوا.! وجعلوا يسألون عنه الغادي والرائح.. ويوصون على السؤال عنه.. كل من شرق أو غرب .!!

أما الشاب الأسمر فقد خضع للأمر الواقع ورضي بالعبودية التي اختارها كطريق للعيش.!! وكان سيده رجلاً تاجراً كبيراً وله خدم وحشم وعبيد وعبدات .. وكان الجميع يعيشون في رغد من العيش كما أنهم لا يكلفون من الخدمة إلا بما يطيقون ويسهل عليهم.!!

ولهذا فقد كان كل واحد من هؤلاء الخدم والعبيد راض بالحالة التي هو فيها.. فلا شكوى ولا تذمر.!! وعاش هذا الشاب في ذلك الجو الراضي المطمئن.. فرضي واطمأن.. واستمرأ المعيشة وطاب له الجو.!!

كما أن سيده بعد فترة زوجة بجارية كانت عنده.. فازداد الشاب رضا.. وازداد استقراراً ورزق من زوجته بأولاد.. وكان سيده يحبه ويعتمد عليه.. ويثق برأيه.. كما أنه يرى فيه بوادر الجد والإخلاص.!

واتسمر العبد على وضعه حتى نسي أهله أو كاد ينساهم.! وماذا يذكر من أهله أو عند أهله غير شظف العيش.. والتعب وصك الكعب.. أما هنا فهو معزز مكرم آكل شارب متزوج.. مأخوذ الخاطر يعمل في حدود طاقته .. لم يكلف في يوم من الأيام عملاً لا يطيقه.!!

وكان هذا الشاب الذي اختار الرق ورضي به طريقاً في الحياة يحاذر أن يمشي في الأسواق الرئيسية من المدينة خوفاً من أن يراه بعض من يعرفه فيكتشف أمره.. ويدل عليه أهله.!!

فكان هذا الشاب أو هذا العبد الذي يمكن أن نسميه مباركاً كما سماه سيده.. كان مبارك إذا اضطر إلى السير في أحد الشوارع الكبيرة يتلثم لئلا يعرف... ولا يبدي من وجهه إلا عينيه مبالغه في الاختفاء عن أعين العارفين.!! والشامتين.!!

ولكن ما كتب في اللوح المحفوظ كائن .. لا بد أن يكون فقد كان مبارك ذات يوم جالساً في حانوت من حوانيت المدينة.. ومر به جماعة هو يعرفهم كما أنهم يعرفونه.. ورآهم مبارك وتجاهلهم وبعد أن قام مبارك جاء إلى صاحب الحانوت واحد منهم فسأله عن اسم الجالس فأخبره بأنه مبارك.!! فقال له الرجل إن هذا ليس هو اسمه الحقيقي.!!

فقال صاحب الحانوت إنني لا أعرفه إلا بهذا الاسم.. وذهب الرجل إلى أصحابه فأكد لهم بأن ذلك الشخص الجالس هو الشخص المفقود.! ولكنه قد غير اسمه.! وغير شكله.! وأراد أن لا يعرف.!!

والمهم أن الرفقة اختلفوا فيه فمنهم من يقول إنه الشاب المفقود ومنهم من يقول إنه غيره.!! وبقوا يومهم ذلك.. وعادوا من الغد ومروا بصاحب الحانوت.. وإذا مبارك جالس عنده على عادته.. وعليه آثار الغنى والنعمة.. كما أن السعادة وراحة البال بادية على أساريره.!!

وسلم عليه الرجل الذي عرفه.. فرد عليه السلام وقال له إنني مشبه عليك أو مشتبه فيك وأرجوك المعذرة بالنسبة إلى هذا التطفل.! فقال الرجل تفضل واسأل عما تريد.. فقال السائل أنا فلان بن فلان من البلد الفلانية.. وقد عرفتك وأنك فلان بن فلان الذي سافر إلى هذه البلد لم يعد إلى أهله وقد انقطعت أخباره عنهم.. ولهذا فإنني قد عرفتك وأريد أن أتأكد من معرفتي.!!

وتكلم مبارك فأخبره بأن اسمه مبارك.. وأنه من أهل هذه البلد وأنه لا يعرف أحداً من غير أهل هذه البلد.. وقد يكون فيه شبه بينه وبين الرجل الذي ذكره.. ولكن الله سبحانه قادر على أن يخلق من الشبه أربعين كما يقولون.. ولهذا فإنه يؤكد أنه ليس هو الشخص الذي يعرفونه.!!

وخجل الرجل وذهب في طريقه هو وأصحابه بعد أن سمع

كلام الشاب.. ومبارك وتأكد من لهجته بأنه هو الشاب المفقود.! إلا أن أصحابه ألزموه بالذهاب لأنه ليس في يده اي برهان على ما يقوله.. ودفع الرجل الرهان الذي كان اتفق عليه الرفقة سابقاً.! مع أنه يعرف أن الحق معه.. وأن الشخص هو الشخص المفقود.!!

وعاد الرجل إلى صاحب الحانوت في وقت لم يكن فيه مبارك موجوداً .. وسأل عن اسم الغلام وأهله.. فأخبره صاحب الحانوت بأنه لا يعرف إلا اسمه مبارك.. وأنه لا يعرف له اباً ولا أماً.. كما أن معرفته به ليس لها إلا سنتان فقط.. وكان الشاب مفقوداً منذ سنتين.!!

فازداد يقين الرجل بأن مباركاً هذا هو الشاب المفقود.. واشترى الرفقة ما يريدون من هذا المدينة.. ثم خرجوا منها متوجهين إلى بلدهم وأهليهم ووصلوا البلد.. وكان أهل الشاب المفقود قد جعلوا مكافأة لمن يدلهم على ولدهم.. أو يأتهيم بأخبار تدل عليه.!

وذهب الرجل إلى أهل الشاب وكان والداه وأخوته موجودين فأخبرهم بالخبر.. وقص عليهم جميع ما سمع ورأى.!! فتأكدوا بأن هذا هو ولدهم الذي فقدوه وبحثوا عنه طويلاً فلم يعثروا له على خبر.!!

وأعطوا الرجل نصف المكافأة وابقوا نصفها الآخر حتى تتحقق أخباره.!!

وبدأ أخوة الشاب يستعدون للسفر بحثاً عن أخيهم بعد أن

أخذوا جميع الأخبار المعلقة به من ذلك الرجل الذي رآه.!!

ورحل الأخوة متجهين إلى البلد التي فيها أخوهم ووصولا وضربوا خيمتهم في ظاهر المدينة.. ودخلوا إلى البلد ومشوا في الشارع الذي وصف لهم.!! وفي الموعد الذي حدد لهم ومر الأخوة بذلك الحانوت .. فرأوا الشخص الجالس مع صاحب الحانوت فعرفوه وعرفهم.. وقام ليسلم عليهم.. وتقدموا للسلام عليه.!!

وسأل كل واحد أخاه عن حاله بالعبارات الروتينية المألوفة كيف أنت وكيف حالك.؟! أجابهم بأنني طيب وبخير وأنتم كيف أنتم وكيف حالكم.؟! وانتهت هذه الكلمات التقليدية .. ومشى الأخ مع إخوانه. وخرجوا به إلى رحالهم.. بطوعه واختياره.!

وسألوه عن الوضع الذي هو فيه.. وعن الظروف التي أدت إلى هذا الوضع فأخبرهم بكل ما جرى.. وأنه متزوج وقد رزق أولاداً من زوجته وأن سيده يكرمه غاية الإكرام ولا يبخل عليه بأي شيء يطلبه منه.. وبالجملة فهو لا يحس بأي أمر يزعجه أو يقلق راحته.!

فقال له إخوته إننا نريدك أن تذهب معنا فوالدك ووالدتك هناك في قلق دائم من أجلك.. وقد اتسع هذا القلق حتى شملنا كلنا.. وعلينا أن نسعى جميعاً للخلاصك من الرق فإن الرق كريه وممقوت ولا يختاره على الحرية ذو عقل سليم.!!

فقال لهم أخوهم يا إخوتي وماذا أعمل في بلدي وعند

والدي ووالدتي.. إنني لا أتذكر من حياتي السابقة عندهم إلا التعب وصك الكعب.. والحاجة والعوز.. فكيف تريدونني أن أترك هذه النعمة التي أنا فيها وأذهب معكم إلى ذلك الشقاء الذي قاسيته طويلاً.!!

وألح الأخوة على أخيهم .. بأنه لا بد أن يتفق معهم على الخلاص من الرق.. والذهاب معهم إلى والديه.. وأكثروا عليه في ذم الرق وذكر عيوبه.. وجمال الحرية حتى مع الجوع والشقاء.!

ولكن الشاب قال لهم لا تكثروا علي الكلام فكم من مملوك عاد مالكاً.. وكم من عبد ساد أحراراً.!! ثم ماذ أطلب في حياتي أفضل مما أنا فيه.. فأنا محفول مكفول وكل ما أريده موجود.!!

فأنا مرتاح البال في حاضري.. ومطمئن البال على مستقبلي.. لا أحمل هماً .. ولا أفكر في مشكلة فعيشتي مكفولة.!! ومشاكلي محلولة..!! وجسمي مرتاح وبالي منساح.!!

وعندما انتهى الشاب من كلامه قالوا له لا بد أن تذهب معنا إلى والديك إما دواماً وإما مؤقتاً وهذا أمر لا بد منه.. فقال وكيف أفتاح سيدي في الموضوع فقل له إخوته.. لا تفاتحه أنت .. بل أعطنا موافقتك على الذهاب معنا ونحن نفاتحه.. ونتفق معه على كل ما يريد.!!

وأجاب الشاب بالموافقة على كلام إخوانه شبه مرغم.!! وذهب الأخوة إلى سيد الشاب وقالوا له إن مباركاً أخوناً وهو

حر.. وقد تسرب إليه الرق بطريقة غير مشروعة.!! وعلى أي حال فنحن نريد أن نفديه.. وأن ننقذه من الرق الذي يعيش فيه.!

فقال التاجر.. لقد اشتريته من سوق الرقيق شراءاً صحيحاً ولدي على هذا الشراء شهود ووثائق مصدق عليها وصحيحة شرعاً وعرفاً وهذا الشاب أنا لا أعتبره عبداً مملوكاً.. وإنما أعتبره ابناً عزيزاً وقد زوجته.. وأطلقت يده فيما يريد وأكرمته غاية الإكرام.. ومع ذلك فإن الأمر راجع إليه إذا كان يريدكم فليذهب معكم وإذا كان يريدنا فلا سبيل لكم عليه.!!

وسأل الأخوة أخاهم أمام التاجر فقال إنني أريد أهلي وإخوتي.. قال ذلك حياء من إخوته.. وبناء على ما اتفقوا عليه.!!

وكان التاجر شهماً كريماً.. فقال ما دام الأمر كذلك فإنني سوف أحسب المدة التي مكثتها عندنا ونقدر لك راتباً شهرياً فيها.. ثم نجمع استحقاقك في هذه المدة ونسقط منها الثمن.. ثم ندفع لك الباقي.!!

فوافق الجميع على هذه الخطة.. وحسبت المدة وقدرت الرواتب وخصمت منها القيمة وبقي للشاب مبلغ زائد عن القيمة أضاف إليه التاجر مبلغاً مثله من عنده.. ثم دفعه إلى الشاب كما أنه أعتق الجارية التي زوجها إياه وأولادها وسمح لهم بالسفر مع والدهم.!

وعاد الجميع إلى أهلهم سالمين غانمين منتصرين.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سـالفـــة:

٢٦- شاب لم يتزوج حتى عرف مكايد النساء

«رويت أصل هذه السالفة عن التاجر الوجيه الأخ صالح العيسى وقد كتبتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

قال الأطفال لجدتهم عندما اجتمعوا عندها ليلاً قصي علينا سالفة الشاب الذي أراد والده أن يزوجه فقال له إن النساء عندهم مكر ومكائد.!! وأنا لا أريد أن أتزوج حتى أعرف مكايد النساء ومكرهن.!!

فقالت الجدة حباً وكرامة:-

هنا وهاك الواحد والواحد لله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الغني الذي لم يرزق من الأولاد إلا ولداً واحداً.. وقد أحبه والده ووجه كل عطفه وبره وعنايته إلى هذا الولد.. فلما كبر أحب والده أن يزوجه.. فبحث له عن زوجة جميلة وذات حسب ونسب فوجدها.!!

وعرض على ولده أن يتزوج لأن الوالد يهمه استقامة ولده واستقراره ليكون أهلاً لتولي شؤون أسرته.. وتدبير تجارته وتنميتها حتى تبقى الأسرة محتفظة بمركزها ومكانتها المرموقة في البلد.!

ولكن الشاب قال لوالده:- يا والدي إنني أعرف أن النساء عندهم مكر.. ولديهن مكائد.! ولذلك فإنني لا أرغب في الزواج حتى أعرف بطريقة عملية مكر النساء وحبائلهن.. حتى لا أقع في شيء منها.!!

وأراد الوالد أن يصرف ولده عن هذا الرأي .. ولكن الشاب كان متشبثاً برأيه ومصراً عليه.!!

فتركه والده يعمل برأيه .. وقال الشاب إنني لا يمكن أن أعرف شيئاً مما أريد في بلادي .. ولكنني قد أعرف الكثير إذا سافرت إلى بلاد أخرى.!!

وجهز الوالد ولده بكل ما يحتاجه .. وتركه يسافر إلى حيث شاء.!

وسافر الشاب .. وجعل ينتقل من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مدينة قهارة من مدن الخليج.. فحط رحاله فيها.. واستأجر بيتاً واسعاً وسكن فيه وأخرج راحلته إلى الصحراء مع أحد أبناء البادية.. الذي يسكن في ضاحية من ضواحي المدينة.!

وجعل الشاب يتجول في شوارع المدينة ويتسكع في

أزقتها... لا يدري كيف يصل إلى ما يريد.!! ورأته امرأة يتسكع فعلمت أنه رجل غريب.. وسألته المرأة عم يبحث؟ فقال إنني رجل غريب وشأني غريب.!!

فسألته المرأة عن شأنه فقال لها إن والدي رجل غني وأراد أن يزوجني ولكنني قلت له كيت وكيت فوافق والدي على رأيي وقد جئت إلى هذه البلد من أجل هذا الغرض.!

فقالت له المرأة :- وهذا هو كل ما تريده.؟! فقال الشاب نعم.!! فقالت له المرأة اتبعني حتى أريك داري.. وأعين لك وقتاً تأتيني فيه.!! وتبعها الشاب حتى أرته دارها وقالت له إذا جاءت الساعة الواحدة ليلاً فدق علي الباب.. فقال سمعاً وطاعة.!!

وذهب الشاب فلما جاء الوقت المحدد عاد إلى بيت المرأة ودق عليها الباب وكان زوجها في الدار وفتحت الباب للشاب وسلمت عليه بحرارة بالغة.. وقالت مرحباً بأخي محمد وسمع زوج المرأة بالحركة والكلام والقادم الجديد.!! فجاء مسرعاً فقدمت إليه الزوجة هذا القادم قائلة:-

أخي محمد قادم من أهلي وبلدي وأخوتي.! وكانت المرأة غريبة في هذه البلد وأهلها وأخوتها في بلاد أخرى.. والزوج يعرف بعضهم ويخفى عليه البعض الآخر.!!

فلم يكن من الزوج إلا أن صافح الضيف الجديد واحتفى به حفاوة بالغة وأكرمه غاية الإكرام لا من أجله ولكن من أجل زوجته وذهب إلى السوق واشترى منه كلما يحتاجونه لضيافة

ضيف عزيز على الجميع.!!

وقدمت للضيف القهوة والشاي والعشاء والفواكه... وانتهى كل شيء وجاء وقت النوم فقالت المرأة لزوجها اسمح لي هذه الليلة لأبقى مع أخي.. وأسأله عن الأسرة واحداً واحداً.!! لأعرف أخبارهم وأحوالهم.!!

فوافق زوجها على هذا الرأي وبقيت المرأة عند الشاب ونام زوجها على فراشه وحيداً.!! وجاء منتصف الليل.. وأراد الشاب أن ينال من المرأة... ويأخذ منها ما يريد غصباً.. فصاحت المرأة واستيقظ زوجها من نومه .. وجاء يعدو مسرعاً إليهما.!

وجمد دم الشاب في عروقه وأيقن بالشر.. وقال في نفسه لقد وقعت في الشرك وجاء الزوج حتى وقف أمامهما.. والشاب لا يكاد يتحرك من الخوف والرهبة.!!

قالت الزوجة لزوجها وهي تتظاهر بالحزن.. ويتناثر من عينيها قطرات من الدمع.. لقد أخبرني أخي بأن والدي قد توفي وكان هذا الخبر مفاجأة لي غير سارة فلم أملك نفسي.!! وصحت ورفعت صوتي بلا شعور مني.... وإنني آسفة على إيقاظك من نومك.. وإزعاجك في وقت راحتك.!!

فجلس زوجها بالقرب منها يعزيها في والدها.. ويقول لها إن هذا هو مصير الدنيا ونهايتها.. وعلينا الصبر والاحتساب .. وانتظار الثواب.. من رب الأرباب.!!

وصار الزوج يتكلم بمثل هذا الكلام حتى كفت الزوجة عن البكاء.. وهدأت أعصابها.. ثم تركهما الزوج وذهب لينام.. وبقي الشاب والزوجة فترة من الوقت يتحدثان.. مختلف الأحاديث ... ثم أراد الشاب أن ينال من المرأة ما يريد.!

ولكنهاصاحت أيضاً بصوت مزعج. وصحا زوجها على ذلك الصوت فجاء إليهما مسرعاً فإذا الزوجة تبكي بكاءمراً.... والدموع تسيل على خديها.. فقال لها زوجها ما الخبر.؟!

فقالت لقد أخبرني أخي محمد بأن والدتي من شدة حزنها على والدي قد مرضت مرضاً شديداً عاقها عن الحركة وأفقدها شهوة الطعام والشراب.!! وقد انهارت أعصابي سابقاً من جراء صدمة الحزن على والدي وجاءت المصيبة الثانية وإن كانت أخف إلا أنه لم يبق عندي أية مقاومة.!!

وصارت المرأة تنشج بالبكاء.!! فطيب الزوج خاطر زوجته وقال لها لا تيأسي من رحمة الله فقد تكون والدتك الآن قد شفيت وعادت إليها صحتها.!! ويكون بكاؤك وحزنك لا محل له من الإعراب.!!

فكفكفت الزوجة دموعها.. وتمالكت نفسها وسكتت عن النشيج وذهب الزوج وتركهما.. فابتعد الشاب عن الزوجة وقرر أن لا يقربها وأن لا يتحرش بها لئلا تكون الثالثة فلا ينجو.!!

ومكث الشاب في هذا البيت حتى الصباح.. وكان لهذه الزوجة أخت متزوجة في المدينة أيضاً فجاءت لزيارة أختها

وقدمت إليها الشاب على أنه أخوها محمد فسلمت عليه بحرارة بالغة وسألته عن أهلها واقاربها وأصدقائها.!

هذا والزوج يسمع كلما يدور: فلم يتطرق إليه أي شك في أن هذا الشاب أخ لهاتين الأختين.!! وافطر الجميع وخرج الزوج تاركاً المرأتين مع أخيهما المزعوم.!!

وأخذت الأخت الجديدة يد أخيها وخرجت هي وإياه... وذهبت به حتى أرته بيتها.. وقالت له إن زوجي الآن في البيت.. ولكن إذا جاء الليل وصارت الساعة الثانية.. فاستأجر حماراً.. وقف في هذا المكان.. وأشارت إلى المكان الذي تريده.. وسوف آتيك.. ويكون لي معك شأن سوف تعرفه.!!

وفهم الشاب ما أرادت المرأة .. وذهب في طريقه وجاء الموعد المحدد.. واستأجر حماراً ووقف في المكان المطلوب.!!

وذهبت المرأة إلى زوجها بعد أن عاد من صلاة العشاء وقالت له.. أتذكر يوم مرضت منذ سنتين .. فقال الزوج نعم أذكر ذلك فقالت لقد نذرت إن شفاني الله أن أطحن صاعين من الدقيق بيدي وأخبزهما بيدي.. وأتصدق بهما على المساكين بيدي.!!

وقد نسيت هذا النذر وانشغلت عن الوفاء به.. حتى نمت البارحة فلما انتصف الليل أتاني آت في المنام وأيقظني وقال لي بصوت مؤثر ومخيف.!! هذه العبارة:-

«أوفي بنذرك إلا وردتك قبرك».!!

وبعد أن سمعت هذا الكلام قمت من نومي خائفة مذعورة.! وصممت عل أن أوفي بنذري غداً.. وسوف أطحن صاعي البر هذه الليلة وسوف آتي بالرحا من جارتنا العجوز لإتمام هذه المهمة.!!

فقال لها زوجها ولكن طحن الصاعين سوف يشغلك طول الليل.. وسوف يزعجني صوت الرحا فلا يتركني أنام.!! فقالت الزوجة إذاً فاسمح لي هذه الليلة أن أذهب إلى جارتنا العجوز فأطحن عندها هذين الصاعين.. وهي سوف تساعدني وتسليني إلى أن أتم مهمتي التي سوف تستمر طوال الليل.!!

فسمح لها زوجها وأخذت الصاعين.!! وذهب الزوج لينام.. ولبست الزوجة ثياباً رثه.! وأخذت صاعي الحنطة معها.. وذهبت إلى جارتها العجوز وقالت لها إنني أريد أن تكلفي ابنتك بطحن هذين الصاعين.. وأنا سوف أذهب لزيارة أختي.. فإن جاء زوجي يسأل عني فقولي له إنها عند الرحا تطحن ما معه من الحنطة.!!

فوعدتها العجوز بتنفيذ ما أرادت .. وكلفت ابنتها بالطحين فشرعت فيه وذهبت الزوجة إلى الشاب الواقف في انتظارها بحماره فركب على الحمار.. وقالت اذهب إلى دارنا ودق الباب على زوجي فإذا خرج إليك فقل له:-

يا اللحية الغانمة أنا رجل غريب في هذه البلدة وعابر سبيل... ولم أصل هنا إلا ليلاً فإذا تكرمت علي وسمحت لي بالإقامة عندك أنا وزوجتي هذه الليلة فإنني أكون لك من

الشاكرين.!

وهكذا كان وفتح الرجل الباب.! وأدخلهما في إحدى الحجر هو وزوجته.. التي كانت كاشفة وجهها.. وقال الضيف لمضيفة نرجوا أن تعطينا قليلاً من الماء وقليلاً من الحطب لنطبخ عشاءنا.!!

وجاء صاحب البيت بالماء والحطب.. ورأى زوجة الرجل.!! فإذا هي تشبه زوجته تماماً .!! إنه لا فرق بينها وبين زوجته إلا بالملابس .! فملابس هذه رثة.. بينما ملابس زوجته نظيفة ومن نوع طيب.!!

وذهب المضيف إلى غرفته.. وحاول أن ينام ولكن الوساوس تكاثرت عليه.. وحدثته نفسه بأنه قد يكون من الممكن أن هذه المرأة هي زوجته وتمدد على فراشه طلباً للنوم ولكن النوم قد هجره هذه الليلة.!!

وقام من فراشه .. وذهب إلى الشاب وزوجته. فلما وقف أمامهما قال لهما هل لكم من حاجة فشكراه.!! وأخبراه بأنه ليس لهما اي حاجة.!! ونظر إلى المرأة في هذه الأثناء فإذا شبهها وتقاطيع جسمها وحركتاها كل ذلك يشبه زوجته.! ولكنه استعاذ بالله من الشيطان الرجيم... وذهب من عندهما بعد أن أيقن الشاب بأن أمرهما قد انكشف.. وأن مضيفهما قد عرف كل شيء.!!

وأراد المضيف أن يذهب لفراشه لينام.. ولكن نفسه القلقة لم تساعد .. ولهذا فقد لبس ثيابه... وذهب إلى بيت العجوز

التي قالت له زوجته بأنها سوف تطحن الحنطة عندها.. ودق الباب ففتحت له العجوز.. وسألها عن زوجته.!!

فقالت إنها عندي.. وهي تطحن الحنطة الآن.. وسمع الزوج صوت الرحا.. وأيقن بأن زوجته عند العجوز.. وأن زوجة الشاب تشبهها والله سبحانه قادر أن يخلق من الشبه أربعين.!!

وعاد الرجل إلى بيته واستلقى على سريره.. وحاول أن ينام.! ولكن هيهات أن ينام.. فقد تكاثرت الوساوس على نفسه.. وتصارعت الشكوك في ذهنه.!! على الرغم مما قام به من تحريات.. وما توصل إليه من نتائج.!

وبقي الرجل يتقلب على فراشه من جنب إلى جنب.. حتى قرب الصباح.. فقام الرجل بلا نوم ولا راحة.. وجمع الشاب أثاثه.. ومتاعه وتهيا هو وزوجته للرحيل قبل طلوع الفجر واستأذن من مضيفه بالرحيل.. وشكره على ضيافته وودعه.. وأركب زوجته على حماره وسار بها في طريقه لاتمام رحلته.!

وعندما حاذت الزوجة بيت العجوز نزلت من فوق ظهر الحمار وتركت الشاب يذهب في طريقه ودخلت عند العجوز وغيرت ملابسها وأخذت الطحين معها وجاءت إلى بيتها.!! فوجدت زوجها في انتظارها عند الباب.!!

وعندما رآها .. شرع في عتابها.. وقال ماذا عملت معي هذه الليلة.. لقد بت قلقاً .!! تكاثرت علي الوساوس بسبب

الوحدة.. ولهذا فإنني لم أنم هذه الليلة.. فقالت له زوجته.. إنني مثلك فقد بقيت طوال ليلي أطحن هذه الدقيق عند جارتنا العجوز.!!

وعزم الشاب على العودة إلى أهله وبلاده.. وشد الرحال لهذه الرحلة وسار في طريقه.. ومر بمضارب قوم من القرويين واستضافهم فرحبوا به وأضافوه أكرم ضيافة وجاء الصباح فتفرق الرجال والنساء في أعمالهم.!! وتركوا عند الشاب امرأة لتقوم بشؤونه حتى يرحل وسألته المرأة الموكلة به عن حاله وعن بلده وعن أسباب سفره فأخبرها بكل شيء.. وأنه غني وأنه لم يخرج من بلده عن حاجة.. وإنما خرج ليعرف شيئاً من مكايد النساء قبل أن يتزوج.!!

وعندما علمت المرأة بمرامه.!!

دعته إلى نفسها فامتنع .. فقالت إن لم تجبني إلى طلبي رفعت صوتي بالصياح وزعمت أنك راودتني عن نفسي.!

فأصر الشاب على الامتناع من إجابة طلبها فرفعت صوتها صائحة وجاء القوم من أعمالهم مسرعين.!! بعضهم يحمل فأساً وبعضهم يحمل محشاً وبعضهم يحمل عصى.. وأيقن الشاب بالشر وسقط على الأرض مغمى عليه.!! والتف القوم حول المرأة والشاب وسألوا المرأة عن سبب صياحها.! فقالت لقد سقط ضيفنا مغمي عليه وخشيت عليه من هذا الإغماء ورفعت صوتي حتى تحضروا وتعالجوه.!!

وسمع الشاب هذا الحديث .. فزاليه بعض الخوف وبدأ

يعود إلى حالته الطبيعية شيئاً فشيئاً واطمأن القوم على سلامة ضيفهم فتفرقوا في أعمالهم وقالت المرأة للشاب أرأيت أن حياتك أو موتك كان يتوقف على كلمة مني.. فلو قلت إنك راودتني عن نفسي لكان مصيرك الموت لا محالة.!!

فقال الشاب إن كلامك صحيح.. وقد عرفت بعض مكائد النساء.. وأنا عائد إلى أهلي وبلدي بدروس بليغة.. وتجارب مثمرة.!

وودع الشاب مضيفية.. وواصل السير في طريقه إلى أهله.. وعندما وصل وجد والده في مرض الموت.!! فلم يبق إلا بضعة أيام حتى فارق الحياة الفانية إلى الحياة الباقية.!!

وحل الشاب في محل والده في بيعه وشراه وتنمية أمواله فهو الوارث الوحيد لهذه الثروة.!!

وفكر الشاب في الزواج فلم يجد أفضل من الفتاة التي خطبها له والده.. فعزز هذه الخطبة وتم الزواج وبني الشاب لزوجته منزلاً منفرداً محاطاً بسور عال ومركب عليه باب من حديد ليس له إلا مفتاح واحد .. لا يفارق جيب هذا الشاب.!!

فإذا جاء إلى زوجته فتح الباب ودخل ثم أغلقه عليهما فإذا خرج أغلق الباب ووضع المفتاح في جيبه وترك زوجته في هذه المنزل الذي ليدها فيه كلما تحتاج إليه.!!

وعاش مع زوجته محباً ومحبوباً.. وكان الشاب قد سجل في مفكرة في جيبه خلاصات مما حدث له من تجارب لتبقى ذكرى.! ورأت الزوجة أن زوجها يحتفظ بهذه المفكرة ويحرص

عليها.. ويهتم بها اهتماماً زائداً.!

ونام الزوج ذات يوم وتسللت الزوجة من عنده وأخذت المفكرة من جيبه.!! وقرأت كلما كتب فيها واطلعت على أسرار زوجها التي كان يخفيها.. وعلمت بالأسباب التي جعلت زوجها يطيل الأسوار ويغلق الأبواب.!!

وحز ذلك في نفسها.. أن ينظر زوجها إليها نظرة شك وارتياب وأن يحمل في فكرة وفي مفكرته هذه التجارب التي تجرح شعور المرأة.. وتخدش كرامتها.!!

وفكرت الزوجة فيما تصنع.. هل تخونه على مبدأ المثل «إذا قيل لك يا حمار فانهق» أم تفاتحه في الموضوع وتجره إلى الحديث في هذا الشأن ثم تثبت له خلاف ما سجل.؟!

أم تسلك طريقاً عملياً في هذا السبيل .. وتلقي على زوجها درساً ولو كان جافاً.!! لتزيل هذه الأفكار من ذهنه.؟!

وأخيراً قررت الزوجة أن يكون الدرس عملياً.. ونام الزوج ذات يوم بعد الغداء.. وقامت المرأة إلى ثياب زوجها فأخذت المفتاح من جيبه.. وذهبت إلى أن وقفت عند السور ونظرت من خلال ثقب في الباب إلى شاب يمشي في الشارع.. فكلمته وكلمها.. واتفقت معه على موعد يأتي إليها فيه.!!

ودست إليه المفتاح.. وقالت إنني أريد منك أن تصنع نظيره الآن ثم تعيد إلي المفتاح القديم وتترك عندك المفتاح الجديد.. لتفتح به الباب... إذا جاء الميعاد وتدخل إلي.!!

وسارت الزوجة في الخطة التي رسمتها خطوة خطوة وعلم الزوج بما وقع.. وعلم بالدوافع إليه.. وكان غضباناً فعاد إليه

هدوءه وطمأنينته وذهب إلى الشاب فأخذه بيده وأخذ منه المفتاح ثم أخرجه من الدار بلا ضجة ولا ضوضاء.!! وجاء الصباح.. وطلب الزوج عمالاً كلفهم بهدم السور وخلع باب الحديد.!! ودفع مفاتيح الدار إلى زوجته لتفتح الباب متى شاءت وتغلقه على نفسها متى شاءت.!!

وعاش التاجر مع زوجته عيشة سعيدة كلها ثقة وأمان واطمئنان.!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

مما قالت عجايب الصخرية

قالت عجايب بنت مروي شبا الزان

حيث أن أبويه ناشد عن خوالي

ما أريد أنا (الجربا) ولو ساق الاضعان

لو جاب غرسات الحسا للشمال

ما أريد أنا باشة حلب وابن شعلان

مافي حليتلهم ولا هم رجالي

أريد أنا ولد الحريشا سليمان

ذابح طوابير العساكر قبالي

عن كتاب «شاعرات من البادية»

سالفـــــة:

٢٧- الزوج المغفّل مع زوجته الذكية

«رويت أصل هذه السالفة عن فضيلة الشيخ محمد الهويش وكتبتها بأسلوبي الخاص»

قال أحد الأطفال لجدته قصي علينا سالفة الزوجة الذكية وزوجها وابن عمها المغفل.! فانتصبت الجدة في جلستها وتحمست لهذه السالفة فيه تثبت قدرة المرأة وشجاعتها.!! التي تفوق الوصف.. وصواب تقديرها للأمور.. ولهذا فقد بدأت الجدة بالسالفة حالاً وهي في غاية من الراحة والنشاط.. قالت الجدة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اللي متزوج بابنة عمه.. وكان سعيداً بزوجته.. لأنها تحمل عنه جميع أعباء البيت ومشاكله كما أن الزوج فيه كثير من الطيبة أو التغفيل.!! وكانت زوجته تعرف منه ذلك..

ولهذا فهي لا تعتمد عليه إلا في الأمور الواضحة البسيطة.. وهو مطيع لأمرها.!! وتابع لرأيها.. ولذلك فهي قانعة به.. وراضية

بأن يكون نصيبها من الرجال .. وكانت هذه الزوجة تمتاز بعقل راجح وجمال باهر.. ورأي صائب .!! وشخصية قوية.!!

لهذا فقد تلاشت شخصية الزوج وبرزت شخصية الزوجة في كل شأن من شؤون الأسرة..

وجاء ذات يوم احتاجت فيه الأسرة إلى بعض الحاجات... وتطلعت الزوجة حواليها فلم تجد عندها نقداً وكان عندهم بقرة حلوب قد ولدت عجلاً.. وكبر العجل وسمن قليلاً .. وصار إذا بيع يأتي بقيمة طيبة.!!

فقالت المرأة لزوجها اذهب بهذا العجل إلى السوق وبعه وأت بثمنه لنشتري به بعض حاجات البيت.. فربط الرجل حبلاً في رقبة العجل وصار يقوده متجهاً به إلى جهة مجتمع أهل البلد (المجلس) الذي يبيعون فيه ويشترون .. ويأخذون ويعطون.!!

وعندما خرج الرجل من بيته الذي يبعد عن المجلس قليلاً... رآه ثلاثة من جماعته العيارين.. وقال بعضهم لبعض هذا فلان رجل مغفل.. ويمكن أن نخدعه ونأخذ ثوره ونأكله.!!

واتفق الثلاثة على خديعة الرجل وأخذ ثوره منه.! واتفقوا على الطريقة .. وذهب أحد الثلاثة مسرعاً .. ووقف للرجل في طريقه وعندما مر به سلم عليه.. فرد عليه العيار التحية.!! وقال له أين تريد بهذا الكلب يا فلان.؟!

فقال له إنه ليس كلباً ولكنه عجل أريد بيعه.! فقال العيار لا إنه كلب .. ومشى كل واحد من الاثنين في طريقه.. ومر صاحب



العيارون يخدعون الزوج المغفل.. ويقولون له واحداً إثر واحد أين تذهب بهذا الكلب.!؟ بينما الذي مع عجل.!!

العجل بالرجل الثاني أو العيار الثاني فسلم عليه فرد العيار التحية.. وقال يا أبا فلان أين ستذهب بهذا الكلب.؟! فقال الرجل إنه ليس كلباً ولكنه عجل أريد أن أبيعه في السوق.. فقال العيار أتبيع كلباً ومن يشتري منك الكلب.؟!

ورد عليه صاحب العجل بأن هذا العجل من نتاج بقرتهم.. فهم الذين ولدوه وتلدوه.. وربوه حتى بلغ هذا المستوى من الكبر... ولكن العيار عقب على كلام الرجل .. بأن قال.. إنه كلب وقد استغربت من سيرك بهذا الكلب لتبيعه.. وثق أنك إذا وصلت إلى السوق فسوف يتعجب منك كل من فيه.!! وسوف يكون حديث أهل المدينة.!! وموضع تندرهم .. وفكاهتهم.!!

وكاد الرجل أن يصدق كلام العيار الثاني.. والتفت إلى العجل ليتأكد من أنه عجل .. ورآه فعاد بعض الثقة ولكن كلام العيارين قد أثر عليه.. إلا أنه حاول أن يتجاهل قولهم.. وأن يسير في طريقه إلى السوق ومر بالعيار الثالث فسلم عليه فرد عليه العيار التحية بأحسن منها ثم قال له:

يا فلان من أين أتيت بهذا الكلب الذي معك وإلى أين تريد أن تذهب به.؟ فقال الرجل إنه ليس كلباً ولكنه عجل.!! فقال العيار ماذا تقول.!؟ أتسمي الكلب عجلاً.؟! إنني أخشى أن يمسعك أحد فيتهمك في عقلك .. ويتندر بك أمام الناس.!!

قال العيار هذا الكلام وذهب وتركه .. وصار يراقبه من

بعيد لبعيد.. ولم يبق عند صاحب العجل شك في أن الذي معه كلب. وخاف أن يكون ضحكة لأهل البلد.. فسار بالعجل قليلاً... حتى وصل إلى مكان منزو فأطلق العجل ليذهب إلى حيث يشاء.!!

وكان العيارون يترقبون هذه الفرصة وعندما اختفى الرجل.! أخذوا العجل وذهبوا به وذبحوه وطبخوه وأكلوه.!!

أما الزوج المسكين فإنه عاد إلى زوجته وجعل يلومها ويقرعها كيف تخدعه وتعطيه كلباً لبيعه على أنه عجل.!!

وتركت الزوجة زوجها حتى أفرغ كلما عنده من الكلام... وعلمت أنه خدع.. وأخذ عجله منه بهذه الطريقة البارعة.!! وقالت الزوجة لزوجها من قال لك إنه كلب.. فقال الزوج بغضب وانفعال إله ليس واحداً الذي قال لي هذا الكلام.!! ولو كان واحداً لما صدقته... ولكنهم ثلاثة كل واحد منهم صادفته منفرداً وقال لي هذا الكلام.!

فقالت الزوجة لزوجها هون عليك .. واترك الأمر لي فإنني سوف أعيد العجل.. وسوف تعلم أنه عجل وأنهم خدعوك حتى تركته لهم.!!

وبدأت المرأة تفكر في الطريقة التي تنتقم بها من هؤلاء الثلاثة واهتدت إلى ذلك.. فالرجل يمكن أن تصطاده المرأة بجمالها ودلالها.. وإطماع الرجل في نفسها.. ولذلك فقد أعدت أحسن ملابسها فلبستها. واستعارت حلياً من جاراتها فتحلت به.. وتعطرت.!

ثم خرجت قاصدة المكان الذي يجلس فيه هؤلاء العيارون في السوق يتصيدون .. ويتعرفون حركات الناس وسكناتهم... ومرت المرأة بهم وقد أظهرت بعض جمالها.. دلالها.. وكلمها واحد منهم.!!

فقالت إنني لم أخرج إلا لأتعرض لكم.. ولكنكم ثلاثة.. ومجيء ثلاثة دفعة واحدة قد يثير الشكوك ويلفت النظر.. ولكن أئتوني واحداً واحداً في بيتي بعد صلاة العشاء من كل ليلة.! فزوجي يذهب في هذا الوقت لبعض أصحابه ويسهر معهم إلى منتصف الليل.

فاتفقوا على الموعد وذهبت المرأة في طريقها وقد وقع الفار في المصيدة.. واختلف الثلاثة أيهم يكون أولاً لأن كل واحد منهم يريد أن يحوز قصب السبق.. وأن تكون له الليلة الأولى لأن الليالي المتأخرة قد يحدث فيها بعض الموانع التي تحول دون المراد.!! والتي قد لا تكون في الحسبان.!!

وكاد الرفاق الثلاثة أن لا يتفقوا ولكن واحداً منهم قال نجعل الأمر بالقرعة فأينا يكون سهمه الأول تكون الليلة الأولى له ثم تكون الليلة الثانية للثاني حسب القرعة أيضاً.!!!

والليلة الثالثة تكون للأخير .. واتفقة الرفاق الثلاثة على هذا الرأي وعملت القرعة وعرف الأول والثاني بها ومضت ساعات النهار بطيئة متثاقلة.. وصاحب الدور الأول يترقب دخول الليل وحلول الموعد بصبر نافد وشوق جارف.!!

جاء الليل وأزف الموعد ولبس الرجل أحسن ملابسه..

الثوب الجديد ونعال الصختيان والساعة الذهب.. والخاتم الفضي..!! ولما حل الموعد كان هذا العيار عند الباب فدقه دقاً خفيفاً ففتحت له المرأة.!! واستقبلته هاشة باشة وأدخلته إلى غرفة النوم وقالت له:

اخلع ملابسك وتهيأ حتى أذهب إلى الحمام وأعود إليك قريباً.. وأراد الرجل أن يمد يده إليها أو يقبلها ولكنها صدته برفق وقالت لو لا تعجل فلدينا ساعات طوال سوف تنال أربك فيها.!!

وكانت قد أخبرت زوجها بالخطة.. ورسمت له دوره فيها كاملاً.. ولهذا فبعد دخول الرجل عليها بخمس دقائق جاء زوجها فدق الباب.. وجاءت المرأة مسرعة إلى الرجل وقالت له لقد عاد زوجي على غير عادته.. فقد يكون نسي بعض حاجاته التي سوف يأخذوها ثم يخرج.! وكان العيار قد خلع ملابسه ولم يبق عليه إلا ثوب خفيف للنوم.!!

وأخذت المرأة هذا العيار وسارت به مسرعة.. وبحثت عن مكان فإختفائه فلم تجد إلا التنور... فقالت إختفت هنا لحظة حتى يخرج زوجي.. وتكوم الرجل في التنور وجعلت المرأة فوق التنور صحناً.! مبالغة في إخفاء العيار.!!

ثم ذهبت المرأة مسرعة إلى الباب لتفتحه وزوجها يدقه بعنف وشدة ودخل الرجل وهو يتظاهر بالثورة والغضب وقال لزوجته كيف تتركينني عند الباب هذه المدة الطويلة .؟! فقالت له زوجته:-

إنني كنت أعجن العجين لأعمل لك العشاء.. وقد تأخرت أغسل يدي من بقايا العجين.!! ونظر الزوج إلى التنور فقال لزوجته.. ولماذا لم توقدي التنور حتى الآن.؟!

فقالت المرأة لقد انشغلت بالعجين.!

فقال الزوج هيء العجين بسرعة وسوف أوقد النار في التنور.! وجاء الزوج الحطب ووضعه في التنور ثم صب عليه قليلاً من الكاز وأوقد فيه النار.!!

وعندما أحس العيار بحرارة النار.. قفز من التنور مسرعاً وسار يعدو إلى الباب لا يلوي على شيء.. حتى خرج من تلك الدار بعد أن أكلت النار شعر رأسه.. وبعد أن خلف في الدار كل ملابسه الجميلة التي أعدها لهذه المناسبة النادرة.!!

وذهب العيار إلى بيته فنام.. وجاء الصباح والتف عليه رفقته يسألونه عن ليلته كيف قضاها.. فجعل الرفيق يصف الرفاقة ما بهرهم وأسال لعابهم من جمال المرأة وحسن عرشتها.. وكرم ضيافتها.!

وقال لهم إنني أريد أن أشتري ليلة أي واحد منكم بالثمن الذي يطلبه .!! مهما كان غالياً .!! ولكن كل واحد منهم لا يريد أن يبيع هذه المتعة بأي ثمن.!!

ولهذا فقد جعل الذي عليه الدور ينتظر قدوم الليل وحلول الموعد بشوق ولهفة.. ويتخيل نفسه في أحضان هذه الفتاة اللعوب يتمتع بها كما يشاء.!!

وجاء الليل وقرب الموعد فلبس الرجل أحسن ملابسه وتزين بأحسن زينة.. وذهب إلى البيت في الموعد المحدد ودق الباب دقاً خفيفاً فتحت له المرأة بهدوء واستقلبته ببشاشة.!!

وقادته إلى غرفة النوم وقالت له مثل ما قالت لرفيقه السابق.! وبعد خمس دقائق من دخوله.. ودق زوجها الباب فجاءت الزوجة إلى العيار مسرعة.. وقالت له لقد عاد زوجي على خلاف عادته.. ولعله يريد أن يأخذ حاجة من البيت ثم يعود إلى سهرته عند رفاقه.. فتعالى معي لأخفيك حتى يخرج.!!

وسلمها الرجل قياده وسارت به وبحثت عن مكان تخفيه فيه فلم تجد إلا هندولاً للأطفال.. فقالت له نم هنا وسوف أغطيك وأخفيك حتى يخرج زوجي.. ونام الرجل في الهندول.!!

وذهبت المرأة لتفتح الباب لزوجها الذي يدق الباب دقاً متواصلاً وعندما فتحت له الباب تظاهر بالغضب وسبها وشتمها.. وقال كيف تتركيني عند الباب كل هذا المدة ؟!

وقالت المرأة معتذرة لزوجها لقد كنت عند طفلي أنيمه على الهندول وهو يصيح.. فاذهب إليه وهز به الهندول لينام.. وأنا سوف أحضر لك ما تريد.!!

وذهب الزوج إلى الهندول وكشف وجه الطفل في الظلام وتحسس فمه فوجد فيه أسناناً.!! فقال لزوجته لقد نبتت أسنان طفلنا قبل الأوان.. وإنني أخشى أن يكون أضحوكة بين الناس فاعطيني الكلبتين لأخلع أسنانه.!!

وأسرعت المرأة بالكبتين إلى زوجها وشرع في خلع أسنانه.. وعندما خلع عدة أسنان أحس الرجل بالألم.. وأحس بالدماء تنزف من فمه.. فقام من فوق الهندول بلا شعور .. وصار يعدو إلى جهة الشارع من حر ما يجد.!!

وانتهى دور العيار الثاني .. وجاء الصباح والتف زملاء الثاني عليه يسألونه عن ليلته كيف قضاها.؟! وجعل الرجل يثني على نفسه.. ويصف ما جرى له من أنس ومسرة.. بحديث يسيل اللعاب... وذلك لإغراء الثالث بأن يسعى في نفس طريقهم ليصيبه مثلما أصابهم.!!

ومضى النهار على الثالث بطيئاً.. وهو في كل لحظة ينظر إلى الساعة كم بلغت.!! وجاء الليل وأزف الموعد.. ولبس الرجل أحسن ملابسه.. وتنظف وتعطر وسار إلى الموعد وهو يمني نفسه بأحلى الأماني.!! ويعدها بليلة أنس نادرة المثال.. وأنه سوف يكون أسعد من رفيقيه.. وسوف يحظى من هذه المرأة اللعوب بما لم يحظ به زميلاه.!!

وسار في الموعد المحدد إلى بيتها بخطوات مرحة.. ووصل عند الباب فدقه دقاً رقيقاً ففتحت المرأة الباب.. وأدخلت الرجل وأراد أن يعمل بعض الحركات فأوقفته عند حده.!! وقالت إن الوقت أمامنا طويل.. وأخذت يده فقادته إلى غرفة النوم.. وقالت له:

اخلع ملابسك وأنا سوف أغيب عنك فترة قصيرة من الزمن في الحمام ثم آتي إليك.!!

وذهبت المرأة للحمام.. وشرع الرجل يخلع ملابسه.. حتى لم يبق عليه إلا ثوب النوم.!! ودق الزوج الباب وجاءت المرأة مسرعة إلى الرجل.. وقالت لقد عاد زوجي إلى البيت على خلاف عادته.! فتعال لأخفيك حتى يخرج.!!

وأخذت الرجل بيده وقادته لتخفيه عن زوجها..ودارت في البيت فلم تجد ما تخفيه فيه إلا زريبة البقرة.. فقالت للعيار اخلع ثوبك وقف على يديك ورجليك في ظل البقرة حتى لا يظنك من يراك إلا عجلاً.!!

قالت له هذا الكلام وذهبت لتفتح لزوجها الباب.. ودخل زوجها يهدر ويزمر.. ويقول كيف تتركيني عند الباب...وماذا تعملين في البيت وسمع العيار هذا الحديث الصاحب فصنع من نفسه عجلاً يقف على أربع.. وذلك مبالغة في إخفاء نفسه.!!

وقالت المرأة معتذرة لزوجها لقد كنت عند البقرة.!! ألاحظها عند ولادتها.!! وأبشرك أنها أنها جاءت بعجل كبير سوف يعوضنا عما فقدناه سابقاً.!!

وذهب الزوج إلى العجل ليراه.. ولكن الزريبة ظلام... ولا سبيل الرؤية.. ولكن هناك اللمس الذي يستطيع به أن يعرف حجم العجل.. وسمنه وطوله وعرضه.!!

وذهب الزوج يتحسس العجل.. ويتفقد أطرافه.! وعندما مر بيده على مؤخرة العجل لم يجد له ذنباً ... فقال لزوجته إن العجل ليس له ذنب.. وهذا شيء غير معقول.. كما أنه يعتبر نقصاً فاضحاً لي الحيوان أن يكون بلا ذنب.!!

وطلب الرجل من زوجته وتداً وفهراً ليركب للعجل ذنباً.!! وجاءت زوجته بالوتد وبالفهر.. فأخذهما الزوج وجعل يدق الوتد في مؤخرة العجل ليكون له ذنباً.. وعندما أحس العيار بآلام الوتد واختراقه للجلد واللحم.!! قام بحركته لا شعورية .!! وصار يعدو حتى خرج من بيت الرجل.. وذهب إلى بيته شبه عريان.!!

وضمد جراحه ونام.! وجاء الصباح واجتمع الرفقة الثلاثة.! وقد مرت تلك الأدوار الأليمة على كل واحد منهم.. ولم يبق مجال للكتمان.!!

وقال الأول لقد خدعتنا المرأة وانتقمت منا شر انتقام.! وأذلتنا غاية الإذلال.! وقص كل واحد من الرفقة الثلاثة ما جرى له معها.! وما صنعت به هي وزوجها .. وما تركا فيه من آثار بليغة .... في نفسه وفي جسمه.!!

واستمع كل واحد من الرفقة الثلاثة لما يقول صاحبه وعلم الثلاثة أنهم خدعو ا ومكر بهم.!! وقال بعضهم لبعض إننا يجب أن ننتقم.! يجب أن نأخذ بثأرنا.. ولكن ما هي الطريقة لهذا الانتقام.؟!

وقال أكبرهم إن الأمر بحتاج إلى ترو وتفكير فإذا اهتدينا إلى الطريقة واقتنعنا جميعاً بجدواها شرعنا في تنفيذها.! وافترق الرفقة على أن يفكر كل واحد على حدة ثم يعرض نتيجة أفكاره.! وما توصل إليه على رفاقه.!! ثم يستعرض الرفاق الثلاثة تلك الطرائق ويختارون منها أفضلها وأسرعها تنفيذاً .!! وأشدها مفعولاً.!

واجتمع الرفقة بعد فترة وعرض كل منهم ما يرى ... وأخيراً اتفقوا على رأي خلاصته.. أن يستأجروا أرضاً قد أحيطت بسور.. وهي ملاصقة لبيت الزوجة وزوجها.. وأن يخرقوا الحائط على المرأة ليلاً .. ثم يدخل الثلاثة فيقضون أربهم من هذه المرأة .!! ويستردوا حاجاتهم منها.!!

واستأجروا المكان فعلاً وشرعوا في نقب الجدار حتى لم يتركوا منه إلا قشرة رقيقة تركوها ليخرقوها في الوقت المناسب.. وأحست المرأة بالأصوات والحفر.!! وأيقنت بالشر.! وأخبرت زوجها فقال لها الرأى ما ترين.!!

وذهبت المرأة إلى السوق فاشترت سكيناً حاداً يقص العظم فضلاً عن اللحم.!! وجاء الليل.. وقرب الوقت المحدد لاختراق ما بقي من الحائط والهجوم على هذه المرأة.!! وكانت المرأة قد استعدت هي وزوجها لاستقبال هؤلاء الزوار الغير مرغوب فيهم.!!

ونقبوا الحائط .. وأدخل أولهم رأسه وكانت المرأة جاهزة بسكينها فقطعت رأس الرجل.. ثم قبضت على يديه وجرت جسمه إلى داخل دارهم.!! وأسلمته إلى زوجها ليجره بعيداً..

وجاء دور الثاني وصنعت به المرأة كما صنعت بصاحبه وجاء دور الثالث .. فكان مصيره مصير رفيقيه.!

وانتهت المعركة بنجاح باهر للمرأة وزوجها.. وقتل المهاجمون الثلاثة .. ولكن أجسام القتلى بقيت هي المشكلة التي لا يعرفون كيف يتخلصون منها.؟!

وفكرت المرأة قليلاً.. وقالت لزوجها هل لديك القدرة والشجاعة لتنقلهم واحداً واحداً إلى المقبرة.. وتخلصنا منهم.؟! فقال الزوج إنه ليس لدي القدرة الكافية للقيام بهذه المهمة.!!

وفكرت الزوجة ماذا تصنع .؟! وأخيراً اهتدت إلى الطريقة فقد قامت ووضعت كل واحد من العيارين في كيس من الخيش وضمت رأسه إلى جسمه وربطت عليه.. فصار لديها ثلاثة أكيسا مربوطة.!!

وفتحت باب الدار وكان في البلد موسوس أو مجنون فيه بصيص من عقل... وكان هذا المجنون إذا جاء الليل أخذ يذرع شوارع البلدة رواحاً ومجيئاً.!

وانتظرت المرأة قليلاً حتى مر بها فاستوقفته وقالت له: - إن زوجي مات في هذ الليلة المظلمة وقد كفنته بما تيسروصليت عليه.. وأنا أريد أن أدفنه في هذه الليلة.! وأن يرتاح في قبره كما أنني لا أستطيع أن أرتاح أو أنام وهذا الميت يجاورني في البيت وأنا وحيدة لا أنيس لي.!!

فأخذ هذا المجنون النخوة وقال أنا أحمله وأدفنه في أحد القبور المهجورة .. فقالت المرأة ولدي لك مكافأة سخية وهي جنيهان ذهبيان.. وكان للجنية الذهبي في ذلك الزمان شأن وأي شأن فيما بالك بالجنيهين.!!

ودخل المجنون إلى البيت ليحمل الجنازة على ظهره وقربت له المرأة العيار الأول فحمله على ظهره .. فأوصته المرأة بأن يدفنه جيداً لئلا يعود إليها فقد اسقاها المر في حياتها معه ونغص

عليها عيشها.. وهي تخاف أشد الخوف من أن يعود إليها.!!
فتعهد المجنون بأن يدفنه وأن لا يعود.!!

وذهب المجنون بهذه الجنازة يحملها على ظهره.. ووصل إلى المقبرة ووجد قبراً مهجوراً فألقى بالجثة فيه وهي لا حراك بها.!! وقال في نفسه إنه لا حاجة لدفنها وليس من المعقول أن يحيى الميت مرة ثانية ويعود إلى زوجته .. وإنما كلام هذه الزوجة مجرد أوهام ومخاوف لا ظل لها من الحقيقة.!!

وعاد الموسوس إلى الزوجة ليأخذ أجره.. وعندما دق عليها الباب فتحت له.. وقالت ألم أقل لكل أدفنه.!! اردم عليه تراباً وصخوراً لئلاً يعود.؟! ودهش الموسوس.. عندما رأى نفس الجثة في مكانها الذي حملها منه.!! مع أنها لم تكن جثة العيار الأول التي حملها.!!

وقال الموسوس إنني في هذه المرة سوف أردم عليها بالصخرو والتراب.. وحملها الموسوس ثانية وذهب بها حتى وصل إلى المقبرة ووجد قبراً مهجوراً فالقى بالجثة فيه ثم رمى عليها التراب حتى ساوى القبر بالأرض.!!

وعاد إلى الزوجة .. وإذا هي قد وضعت العيار الثالث في المكان المعهود.. وعندما دق الموسوس الباب فتحت له..وقالت ألم تردم عليه صخوراً.؟! فقال الموسوس إنما ردمت عليه بالتراب.!

فقالت الزوجة لقد عاد.!! ولن يمنعه من العودة إلا الردم عليه بالتراب والصخور فحنق الموسوس.. وحمل الجثة الثالثة..

وذهب بها إلى المقبرة ورمى بها في قبر مهجور.. ثم ألقى عليها الصخور والتراب ودعس على ذلك بقدميه لتلتحم الصخور بالتراب فلا يكون هناك مجال للهرب من القبر مرة ثالثة.. وعاد الموسوس إلى الزوجة ليستوفي أجره..

وعندما دخل في سوقها.. وكان الوقت آخر الليل.!! رأى مؤذن المسجد.. وقد خرج يتوكأ على عصاه ويلف جسمه في عباءة تشبه كيس الخيس.!! ولم يشك الموسوس عندما رآه أنه هو الزوج المنكود قد هرب من القبر للمرة الرابعة.!!

فانطلق إليه وحمله على ظهره وقال المؤذن: ماذا دهاك وإلى أين تريد أن تذهب بي؟! دعني أذهب إلى المسجد لأرفع أذان الفجر..!! فقال الموسوس:-

دعني من ألاعيبك فقد شغلتني طيلة هذه الليلة كلما أردت الخلاص منك.. عدت إلى حيث كنت.!!

فقال المؤذن ماذا تقول.. فقال الموسوس أنه لا كلام بيني وبينك.. فقد عرفت أخبارك بما لا مزيد عليه.. وقد كلفتني هذه الليلة بجهد كبير.. ولكنك هذه المرة لن تفلت من المصدية.!!

وعندما وصل الموسوس إلى هذا الحد من كلامه.. كان قد وصل إلى بئر عميقة مهجورة لا ماء فيها.!! وقد صارت مأوى للفضلات والحشرات.. فألقى المؤذن في هذه البئر ثم عاد مسرعاً إلى المرأة ليأخذ أجرة.!!

ودق عليها الباب ففتحت له.. وقال لها لقد كنت صادقة في تخوفك من عودة هذا الزوج المنحوس.!! فإنني عندما دفنته في المقبرة.. في المرة الثالثة وعدت إليك.. وجدته قد سبقني بالعودة إلى دارك.!! ولولا أنني أسرعت .! وأدركته لكان وصل إليك قبلي.!!

لكنني في هذه المرة كنت أسرع منه.!! وقد رميته في بئر عميقة لن يصل إلى قعرها وفيه عرق ينبض .!! وسوف تتكسر يداه ورجلاه فلا يستطيع حراكاً.. وسوف تأكله الحشرات في قاع البئر .!! سريعاً.!!

ونقدت الزوجة للموسوس أجرة .. وذهب في حال سبيله.. وتخلصت المرأة من هؤلاء العيارين الثلاثة.. من مكايدهم.. ومن تبعات قتلهم.!! وعاشت مع زوجها في راحة وهدوء.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

كلمة الختام

ها قد انتهيت - أيها القاري الكريم - من قراءة المجموعة الثالثة من الأساطير .. فأرجو أن تكون قد استمتعت بهذه القراءة.. وأن تكون عشت مع خيالات هذه الأساطير وأحلامها سويعات ممتعة.. هذا ولا يفوتني في كلمة الختام أن أزف إليك بشرى.!! بأن المجموعة الرابعة من هذه الأساطير سوف تصدر كالمعتاد في صيف العام القادم.!! الله يلحقنا وإياك كل خير.!! ويجنبنا وإياك كل ضير.!! فوداعاً الآن.. وإلى لقاء جديد.! في هذا الموعد الذي لست أظنه ببعيد.!!



جدول لإيضاح الكلمات الشعبية

الكلمة الشعبية	إيضاحها	السطر	الصفحة
	حرف الألف		
أذرى	يعني أحاذر وأخشى	١٦	٦٢
أقشر يوم	يعني يوم فيه شدائد وصعاب	٢	٢١٥
	حرف التاء		
تعرشه	أي تنهشه	٢١	٣٠
تردح	تضرب بقدميها بقوة	٥	٤٩
التفافيق	أي ناقلي التفق نوع من السلاح	١٥	١٢٠
تحاديد	اي ليس هناك سدود تمنعنا من الرحيل	٨	٢٧٢
تجلوى	أي هجر بلاده ولجأ إلى بلاد أخرى	١٢	٢٧٢
تحرتكم	يعني توقعت مجيئكم	١٢	٢٨٤
تفرك	بمعنى تدعك	٦	٣٣٠
	حرف الخاء		
خويه	يعني رفيقه	٢	٣٣
الخبارة	هي بيت الجرذ.. الفأر الصحراوي	١٤	٢٣٦
خطوى	أي بعض		

الكلمة الشعبية	إيضاحها	السطر	الصفحة

حرف الراء

رعاعه	يعين مرتجف خائف	١٢	١٩
ريفى	أي ربيعي ورخائي	١٩	٩٨
الرجم	برج المراقبة	٤	٣٥٠

حرف السين

سختيان نعال	نعال صنعت من جلد ممتاز ناعم	٦	٢٦
سريبة	يعني حثالته وبقاياه	٨	٢٨
سدي	يعين سري وما أخفيه	٦	١٠٣
سوهاجة	يعني راحلة أصيلة	٩	١٢٨

حرف الشين

شماغ - غترة	نوع من البسة الرأس	٩	٢٨
شيلتها	الشيله غطاء لراس المرأة خفيف	٦	٤٨
الشيليه	رقصة شعبية كانت معروفة	٧	٤٨
شيفة	يعني غوله	٤	٤٩
شامت	بمعنى غزفت ونفرت	١٣	٥٠
شفي	أي رغبتي ومناي	١٤	٧٤
الشوق	يعني الزوج - أو الحبيب	١٢	١٢٠
شطنها	الشطن هو الغرب بحباله والابة التي تجذبه	١٥	٢٧٢

الكلمة الشعبية	إيضاحها	السطر	الصفحة

حرف الطاء

طياحة	أي مواشيه الهزيلة	١٤	٧٤
طرياك	أي ذكرك والسماع بإسمك	١٩	٩٨
طمحوني	أغروني بهجره ومقاطعته	١٣	١٢٠
ططر	كلمة لا معنى لها وإنما هي من أسماء العفاريت	١٢	١٨٩

حرف العين

عونك	يعني ما بالك	٤	٣١
عنوتكم	أي مراحكم ومجيئكم	١٠	٢٨٤
عمته	يعني زوجة والده	٢	٣٣٩
العيارين	جمع عيار وهو المخادع المحتال	١٤	٣٧٦
العفن	سيء السلوك		

حرف الفاء

فلات	أي لا يلتزمون برعاية الأخوة		
فهق وتوريد	يعني تقديم وتأخير	١٤	٢٧٢
فهاد	اسم رجل جلاد شرس	٩	٣٣٨

حرف القاف

قيلان-عباءه	يعني نوع ممتاز من العبآت	٨	٢٨
القفه	هي وعاء من خوص أعلاه ضيق	١١	٣١
قزت-عين	بمعنى أنها لم تنم	١٠	٥٠

الكلمة الشعبية	إيضاحها	السطر	الصفحة
القحوم	هي السمينة من الإبل أو الغنم	٢٠	٢١٤
قبالي	بمعنى أمامي وبمرائ مني	١٧	٣٧٣

حرف الميم

الكلمة الشعبية	إيضاحها	السطر	الصفحة
ما هوب	أي ليس	٨	١٩
مير	يعني إلا أن	٩	١٩
المناعير	الرجال البارزون	٩	١٩
مرعز-عقال	يعني عقال من صوف ممتاز	٩	٢٨
مسطاح	خشبة تعلق من طرفيها وتوضع فوقها الثياب	١١	٣١
معايده	هي الإبل التي تخرج الماء من البئر	١٤	٣٢
المتجنسة	هي الغولة تتقمص جسد غيرها	٢	٤١
مريتي	يعني زوجتي	١٧	٤٦
مكيتي	يعني أليتي أو عجزي	١٨	٤٦
مار	يعني إنما	١١	٥٠
محشوم	مكرم-معزز	١٥	٦٢
المظاهير	هي الإبل المحملة بالعوائل	١٧	٧٤
مدهل	يعني مربي ومكان إقامه	٧	١٠٣
مناحي	جمع منحاه وهي طريق النواضح لإخراج الماء	١٠	١٠٣
مسهاج	تسلطن عليه وركبن فوق اكتافه	٧	١٢٨
المقصورة	هي البرجد يكون في ركن المنزل	٨	٢٧

حرف النون

الكلمة الشعبية	إيضاحها	السطر	الصفحة
فنُكَتِّف	التكتيف هو ربط اليدين من خلف	١٨	١٥
نزرته	تكلمت عليه بشدة وعنف	١٢	١٩

الكلمة الشعبية	إيضاحها	السطر	الصفحة
النقا	يعني على الوضوح والطرق المشروعه	١٥	٣٢٨
نطيت	بمعنى علوت وصعدت	٤	٣٥٠

حرف الواو

ويش	يعني ماذا	١٣	١٩
ولوال	أي هواجس وأفكار مقلقه	١١	٥٠
وش عاد	بمعنى لم يكن بذلك شذوذاً	١١	٣٣٨
وضحى	أي الناقة البيضاء		

حرف الهاء

هافي الحشا	أي دقيق الخصر	١٣	١٩
هلت	بمنى تساقطت	٩	٢٣
هراج	يعني متكلم	١٧	١٢٨
الهجاهيج	يعني الإبل القوية السمينه	٦	١٢٩
هيف	صفة للكريم الذي يذبح لضيوفه	٢٠	٢١٤
هتاشالخلا	يعني طارق الليل	١٤	٣٣٨

حرف الياء

ينطح	بمعنى يتحمل الأمور الكبار	١٣	٦٢
يايوه	يعني يا أماه	٥	١٠٣
يتل	يعني يجر بقوة قاهرة	٧	١١٠
ينصاه	يعني يقصده	١٧	٢١٤
يسني	بمعنى يركب ويسير	١٥	٢٧٢
يا عنك	أي دع عنك	١٥	٣٣٨

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مطابع الحميضي
تلفون: ٤٥٨١٠٠٠ - فاكس: ٤٥٩٢٢١٧